الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

١٨٠/١٥
٢١

منهج الشيخ محمد بن يوسف أطفيش في تفسيره "همميان الزاد"

سليمان بن علي بن عامر الشعيلي

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف فضيلة الاستاذ الدكتور
فضل حسن عباس

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير
في التفسير بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية

أيار ١٩٩٦م

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٧/٥/ ١٩٩٦م وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الاستاذ الدكتور / فضل حسن عباس	مشرفا	أ. د. فضل حسن عباس .....
الدكتور / أحمد نوفل	عضوا	.....
الدكتور / أحمد فريد	عضوا	.....

ملخص الرسالة

منهج الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في تفسيره "هميان الزاد"

سليمان بن علي بن عامر الشعيلي

إشراف

الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس

بدأت هذه الرسالة بتمهيد فيه تعريف بإمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلامهم، وهو العلامة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش – رحمه الله– الاباضي مذهبا، والجزائري مولدا ومسكنا. وتحدثت بايجاز عن نشأته وتعليمه، وعن حياته العلمية والعملية، وعن مواقفه من الاستعمار، ثم عن آثاره.

ثم تناولت الدراسة منهج الشيخ – رحمه الله– في تفسيره الأول "هميان الزاد إلى دار المعاد" فأبانت عن مصادره في هذا التفسير، كثرتها، وتنوعها وكيفية تعامله مع هذه المصادر، ولخصت منهجه العام الذي سار عليه في تفسيره.

وكشفت الدراسة بعد ذلك عن مدى اهتمام الشيخ بالتفسير بالمأثور، وطريقته في الاستشهاد بالحديث بأقسامه الصحيح، والضعيف والموضوع. وذكرت كذلك بعض المسائل التي تدخل تحت مسمى "علوم القرآن" وكيف وظفها الشيخ –رحمه الله– لخدمة المعنى وإيضاحه.

وعنيت الرسالة بمناقشة بعض القضايا العقدية التي وردت في التفسير والتي كان للشيخ موقف منها مع محاولة للتركيز على نقاط الالتقاء والاتفاق وتجنب الخلاف ما أمكن. ثم استعرضت بعض الظواهر النحوية، والصرفية، وما ورد من صور بلاغية في هذا التفسير، واهتمت أيضا بالمسائل الفقهية، وطريقة الشيخ في تناولها، وأظهرت الرسالة ما في هذا التفسير من قصص وإسرائيليات كثيرة، وخلصت إلى ان الشيخ –رحمه الله– كان جامعا في تفسيره هذا أكثر منه محققا.

شـــكر وتـقـديـــر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيه الذي ختم به الرسالات وبعد ،،،

فاعترافا مني لأهل الفضل بالفضل، لا يسعني إلا ان أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى صاحب الفضيلة، استاذي الدكتور/ فضل حسن عباس، الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وفتح لي صدره قبل أن يفتح لي بيته ومكتبته، فجزاه الله عني خيرا، كما وأتقدم بشكري الجزيل إلى أستاذي الجليلين عضوي لجنة المناقشة الدكتور أحمد نوفل ، والدكتور أحمد فريد على تفضلهما بالموافقة على قراءة الرسالة.

أسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء،

الباحث

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

****

قرار لجنة المناقشة ..... ب

شكر وتقدير ..... جـ

فهرس الموضوعات ..... د

ملخص باللغة العربية ..... ح

الفصل التمهيدي.

- المقدمة ١-٥
- الحياة السياسية والعلمية في عصر الشيخ. ٧
- نسبه وولادته. ٨
- تعليمه. ٩
- حياته العلمية والعملية. ١٠
- موقفه من الاستعمار. ١١
- أشهر تلاميذه. ١١
- أشهر تآليفه. ١٣
- تعريف بتفسيره همیان الزاد إلى دار المعاد. ١٥

الفصل الأول : أولا – مصادره في التفسير.

- تمهيد ١٨
- المبحث الأول : مصادره من كتب التفسير. ١٩
- المبحث الثاني: مصادره من كتب معاني القرآن..... ٣١
- المبحث الثالث: مصادره في القراءات. ٣٤
- المبحث الرابع: مصادره في علوم القرآن..... ٣٥
- المبحث الخامس: مصادره في القصص القرآني..... ٣٧

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

- المبحث السادس: مصادره من كتب الحديث..... ٣٩
- المبحث السابع: مصادره في اللغة..... ٤٣
- المبحث الثامن : مصادره الفقهية..... ٤٩
- المبحث التاسع: مصادره في العقيدة..... ٥٢
- المبحث العاشر : مصادره في السيرة والتاريخ ٥٢

ثانيا : المنهج العام في تفسير الهميان..... ٥٤

خاتمة مقارنة بالتيسير ٥٨

الفصل الثاني : منهجه في التفسير بالمأثور

- تمهيد. ٦٠
- المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن..... ٦١
- المبحث الثاني: التفسير بالحديث الشريف..... ٦٦
- المبحث الثالث: التفسير بأقوال الصحابة والتابعين..... ٨٠
- خاتمة مقارنة بالتيسير..... ٨٣

الفصل الثالث : منهجه في علوم القرآن.

- المبحث الأول : المكي المدني..... ٨٨
- المبحث الثاني : الناسخ والمنسوخ..... ٩٣
- المبحث الثالث : اسباب النزول..... ٩٤
- المبحث الرابع : القراءات..... ١٠٣
- خاتمة : مقارنة التيسير..... ١٠٩

الفصل الرابع : منهجه في العقيدة.

- تمهيد ١١٢

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

****

- المبحث الأول : الصفات وعلاقتها بالذات..... ١١٣
- المبحث الثاني : الآيات المتشابهات وموقف الشيخ منها..... ١١٦
  - معنى المتشابه..... ١١٦
  - الوجه..... ١١٨
  - اليد..... ١١٩
  - المجيء..... ١٢٢
  - الساق..... ١٢٣
  - الفوقيه ١٢٦
  - الاستواء ١٢٩
- المبحث الثالث : خلق القرآن. ١٣٢
- المبحث الرابع : الرؤية ١٣٦
- خاتمة : بين الهميان والتيسير..... ١٤٠

الفصل الخامس : منهجه في علوم اللغة.

- تمهيد ١٤٣
- المبحث الأول : الاشتقاق والأوزان الصرفية..... ١٤٤
- المبحث الثاني : معاني المفردات..... ١٤٧
- المبحث الثالث : الإعراب..... ١٤٨
- المبحث الرابع : الصور البلاغية في تفسيره..... ١٦٠
  - البيان ١٦٠
  - المعاني ١٦٨
  - البديع ١٧٤

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

****

- المبحث الخامس : الشواهد في تفسيره ١٧٦
- خاتمة : مقارنة بالتيسير ١٨٦

الفصل السادس : منهجه الفقهي في التفسير.

- المبحث الأول : مصادر التشريع عند الاباضية ١٩٠
- المبحث الثاني : منهجه في عرض مسائل الفقه ١٩٤
- خاتمة مقارنة بمنهجه في التيسير ٢١٠

الفصل السابع : الاسرائيليات في تفسيره

- تمهيد ٢١٢
- المبحث الأول : المبهمات والقصص التي ليس لها صلة بالعقيدة. ٢١٣
- المبحث الثاني : القصص ذات الصلة بالعقيدة والتي لم يعقب عليها ٢١٥
- المباحث الثالث: القصص التي تناولها بالنقد والتعقيب. ٢١٩
- خاتمة : مقارنة بالتيسير. ٢٢٣

الخاتمة ٢٢٤

فهرس المراجع. ٢٢٥

ملخص باللغة الانجليزية ٢٣٤

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه غير ذي عوج قيما، وأرسل رسوله بالحق هاديا وللوحدة داعيا، وللجهل والعصبية ماحيا، فجمع به الأمة بعد شتات وألف به القلوب بعد تنافر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فإن العلوم وإن اختلفت وتعددت فكلها مهمة، لكن أعلاها قدرا، وأغلاها مهرا، وأدقها فكرا، علوم الشريعة، إذ هي سبب النجاة في الآخرة، وعلم التفسير منها بمنزلة الإنسان من العين، فهو شمس ضحاها، وبدر دجاها، ذلك لأن موضوعه كتاب الله الخالد الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد).

والتفاسير كثيرة مختلفة المراتب، متنوعة الاتجاهات والمشارب، وقلما تخلو من صبغة مذهبية عقيدة وفقها، إلا إن أقربها إلى الحق وأولاها بالقبول، ما كان يعضده دليل من نقل أو عقل.

وقد عرف عن أصحابنا الإباضية -رحمهم الله- أنهم يقفُون الدليل، وعليه يعتمدون متى صح لديهم، يقبلون الحق متى لاح لهم ولو من مبغض، ويردون الباطل ولو جاء به محب، لا أقول هذا تعصبا فأنا أبرأ إلى الله منه، ولكن كتبهم ناطقة بذلك ومواقفهم دالة عليه، والشيخ أطفيش إمام من أئمتهم، أثرى المذهب بتصانيفه الجليلة، منها ما كان بعد اكتمال ونضج، ومنها ما ألفه في صغر السن، وفورة الشباب، ومن هذه تفسيره المسمى "هميان الزاد إلى دار المعاد".

أسباب اختيار الموضوع:

وقد وقع اختياري على هذا التفسير لأسباب أجملها فيما يلي:

أولا: يعد هذا التفسير أول تفاسير الشيخ -رحمه الله- وأطولها، ولم يحظ بعناية الباحثين كما حظى تفسيره الآخر، تيسير التفسير، ربما لطوله وتوسعه في كثير من المباحث التي تتعلق بتفسير الآيات.

ثانيا : نظرا لما حواه هذا التفسير من قصص اسرائيلية كثيرة، وأحاديث ضعيفة أو موضوعة، أعرض عنه القراء وطلاب العلم، مع ما فيه من فوائد جمة، ونكات مفيدة، ولهذا كله أردت أن أكشف النقاب عن هذا السفر الجليل.

الدراسات السابقة :

كل الدراسات التي عنيت بتفاسير الشيخ كانت منصبة على كتابه "تيسير التفسير" فهناك رسالة للباحث يحيى بوتر دين، بعنوان "الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير" قدمها لنيل درجة الماجستير في الأدب إلى كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

ركز الباحث في رسالته على شخصية الشيخ ونشأته، وبيئته، وتعليمه، ...، ثم على مذهبه، كما قدم عرضا لتفاسير الإباضية القديمة والحديثة، استغرق هذا نصف الرسالة، أما النصف الثاني فتحدث فيه عن موقف الشيخ من التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، من خلال تفسيره التيسير، ثم ختمه بمقارنة بين التيسير وتفسير الإمام الرازي في تناولهما مسألة الرؤية، والحقيقة أن الرسالة قيمة، بذل الباحث فيها جهده وأفاد من مخطوطات خاصة عن حياة الشيخ قد لا تتوفر لغيره.

أما الرسالة الثانية فقدمها الباحث محمد عكي علواني للمعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر لينال بها درجة الماجستير، وكانت بعنوان "الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومنهجيته في تفسيره تيسير التفسير" تحدث فيها عن حياة الشيخ وآثاره، ثم منهجيته من هذا التفسير، وختمها أيضا بمقارنة موجزة بينه وبين تفسير روح المعاني للالوسي.

وقدمت الرسالة الثالثة إلى كلية الدراسات العليا، بالجامعة الأردنية وعنوانها "منهج الشيخ محمد في تفسيره تيسير التفسير" وكانت للباحث محمد مصطفى الخواجا، تحدث فيها كالعادة عن الشيخ ومذهبه، ثم منهجه في كتابه التيسير، إلا أن الرسالة كانت سطحية وتعوزها الدقة والموضوعية في بعض الاحيان، وربما حكم على الشيخ في بعض المسائل بالتعسف والتعصب ، دون ترو وما ذاك إلا عن جهل منه، وعدم دقة.

منهجي في البحث

قرأت تفسير الهميان جميعه، واستخرجت منه ما يعنيني في البحث، كما قرأت الأجزاء الثمانية الأولى من تيسير التفسير، للمقارنة بين التفسيرين واستعنت بما لزم من المراجع الأخرى، ثم قمت بتصنيف المادة العلمية على الفصول والمباحث كما هي في خطة البحث، مستخدما المنهج الوصفي تارة، والتحليل تارة أخرى، مع التعقيب والتعليق على ما يلزم، وملتزما المنهج العلمي في التوثيق ونسبة الأقوال وتخريج الأحاديث إلى غير ذلك.

خطة البحث

أما خطة البحث فجعلتها في فصل تمهيدي تحدثت فيه عن الحياة السياسية والعلمية في عصر الشيخ ، ثم نسبه وتعليمه، ثم حياته العلمية والعملية، ثم موقفه من الاستعمار وذكرت أشهر تلاميذه ومؤلفاته، ثم ختمته بتعريف عن تفسيره هميان الزاد، وسبعة فصول أخرى كان الفصل الأول للحديث عن مصادره ومنهجه العام وتضمن القسم الأول عشرة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول : مصادره من كتب التفسير.
- المبحث الثاني : مصادره من كتب معاني القرآن.
- المبحث الثالث: مصادره من القراءات.
- المبحث الرابع : مصادره في علوم القرآن.
- المبحث الخامس: مصادره في القصص القرآني.
- المبحث السادس: مصادره من كتب الحديث.
- المبحث السابع : مصادر في اللغة.
- المبحث الثامن : مصادره الفقهية.
- المبحث التاسع : مصادره في العقيدة.
- المبحث العاشر : مصادره في السيره.
- خاتمة : مقارنة بالتيسير.

أما القسم الثاني : فكان عن المنهج العام الذي سار عليه الشيخ في تفسيره.

الفصل الثاني : وكان عن موقف الشيخ من التفسير بالمأثور. وجاء في تمهيد وثلاثة ومباحث وخاتمة:

- المبحث الأول : تفسير القرآن بالقرآن.
- المبحث الثاني : التفسير بالحديث.
- المبحث الثالث : التفسير بأقوال الصحابة والتابعين.
- خاتمة : للمقارنة بالتيسير.

أما الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن بعض علوم القرآن التي وردت في التفسير وكان في أربعة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول : المكي والمدني.
- المبحث الثاني : الناسخ والمنسوخ.
- المبحث الثالث: أسباب النزول
- المبحث الرابع : القراءات.
- خاتمة للمقارنة بالتيسير.

وعنى الفصل الرابع بمناقشة بعض القضايا في العقيدة التي كان فيها خلاف بين الإباضية والفرق الأخرى، واشتمل على أربعة مباحث وخاتمة.

- المبحث الأول : الصفات وعلاقتها بالذات.
- المبحث الثاني : الآيات المتشابهات وموقف الشيخ منها.
- المبحث الثالث : مسألة خلق القرآن.
- المبحث الرابع : مسألة الرؤية.

خاتمة : مقارنة بمنهجه في التيسير.

وعرضت في الفصل الخامس للمباحث اللغوية والنحوية، والصور البلاغية التي وردت في هذا التفسير فظهر من خمسة مباحث مع تمهيد:

- المبحث الأول : الاشتقاق والأوزان الصرفية.
- المبحث الثاني : معاني المفردات.
- المبحث الثالث : الإعراب.
- المبحث الرابع : الصور البلاغية.
- المبحث الخامس : الشواهد النثرية والشعرية في تفسيره. ثم خاتمة

وتكفل الفصل السادس بالحديث عن المنهج الفقهي في هذا التفسير ومباحثه كما يلي:

- المبحث الاول : مصادر التشريع عند الاباضية.
- المبحث الثاني : منهجه في عرض مسائل الفقه.

- ثم خاتمة : للمقارنة بالتيسير.

وكان لا بد من الحديث عن القصص الاسرائيلية في تفسيره فتخصص الفصل السابع للحديث عن ذلك، بدأ بتمهيد عن الاسرائيليات ودخولها كتب التفسير، ثم المبحث الأول تحدث عن المبهمات والقصص التي لا علاقة لها بالعقيدة، أما المبحث الثاني فعن القصص ذات الصلة بالعقيدة ولم يعقب عليها، والمبحث الثالث، القصص التي عقب عليها بالنقد ثم خاتمة مقارنة بالتيسير.

وإنني إذ أعترف بالقصور والتقصير لأكرر شكري وامتناني لأستاذي المشرف لرحابة صدره، واسداء نصحه، ورعايته للبحث والباحث، ولأستاذي المناقشين الشكر والتقدير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل التمهيدي

- الحياة السياسية والعلمية في عصر الشيخ
- نسبه وولادته
- تعليمه
- حياته العلمية والعملية
- موقفه من الاستعمار
- أشهر تلاميذه
- أشهر مؤلفاته
- تعريف بتفسيره الهميان

الفصل التمهيدي

- الحياة السياسية والعلمية.

ارتبط الميزابيون* بعلاقات جيدة مع الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على العالم العربي آنذاك حتى قام الفرنسيون باحتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ فأهلكوا الحرث والنسل، حينها أدرك الميزابيون أنه لا قبل لهم بالمقاومة فأبرموا معاهدة صلح مع فرنسا سنة ١٨٥٣ تلتزم فرنسا بموجبها بعدم التدخل في شئونهم الداخلية بينما يتعهد الميزابيون بدفع ضريبة مالية سنوية إلى فرنسا وبالرغم من هذه المعاهدة لم يستكن الميزابيون فعملوا مع إخوانهم على مقاومة الاحتلال، ولم يقبلوا بأي حال الإندماج والتعاون مع سلطات الاحتلال مما دعا فرنسا إلى احتلال وادي ميزاب عام ١٨٨٢م.

انطلقت فرنسا في تعاملها مع الشعب الجزائري من سياسة صليبية حاقدة فحاولت بكل قوتها وجبروتها أن تقضي على الوجود الاسلامي، وألغت كل مظاهر التمسك بالاسلام بدءا من التعليم ودور العبادة وانتهاء باللباس والمظهر الخارجي، واستعملت لذلك كل اشكال العنف، ويصور لنا العلامة الشيخ أبو اليقظان* وهو شاهد عيان ما حل بالشعب الجزائري فيقول لقد تسلطت على الأمة عوامل ثلاثة لو تسلط عامل منها على أمة كبيرة لزعزع ركنها وهد بناءها ألا وهي الجهل والفقر والافتراق، فالجهل أفقدها الشعور بوجودها وكيف تذب عنه، والفقر أقعدها عن العمل وشل أعضاءها عن الحركة، والافتراق أذاب قوتها وذهب بريحها فبقيت والحالة هذه عرضة للتلف والهلاك والاضمحلال"(١) .

وقد ألقت السياسة الاستعمارية الصليبية التي انتهجتها فرنسا بظلالها على الحياة العلمية والفكرية في الجزائر، فأغلقت المدارس والمساجد وحول معظمها إلى كنائس

---

* نسبة إلى وادي ميزاب، يقع في جنوب الجزائر، في شمال الصحراء في ناحية تسمى الشبكة وهي منطقة جميلة تتخللها أودية ويبعد عن الجزائر العاصمة حوالي ستمائة كيلومترا ويضم سبع قرى هي تاجنينت، بنوره، ملكيه، غرداية، بني يسجن، القراره، بريان، انظر بوتردين، يحيى صالح، الشيخ اطفيش، ومذهبه في تفسير القرآن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٢٠

* ابو اليقظان، هو العلامة ابراهيم بن عيسى، أحد تلاميذ الشيخ اطفيش المشهورين، اسس لماني صحف باللغة العربية، لنشر الدعوة والوعي السياسي وقد شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١، إلى جانب الشيخ ابن باديس وجماعته، انظر د. محمد ناصر ابو اليقظان وجهاد الكلمة، ط/٢، الجزائر، ١٩٨٣م، ص ١٧٩ وما بعدها.

(١) انظر بوتردين يحيى صالح، الشيخ اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن، ص ٢٩. ويلاحظ اننا اعتمدنا في هذا التمهيد على المعلومات التي أوردها الباحث، إذ أنه توفر لديه من المخطوطات ما لم يتوفر لدينا.

واسطبلات وفوق هذا اعتمدت فرنسا برنامجا لتنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم ولغتهم وكان لهذه السياسة أثرها البارز حتى اليوم.

ولم يكن الميزابيون من ذلك ببعيد ففشا فيهم الجهل والبدع والخرافات، وأصبح تقليد الغربيين ظاهرة من ظواهر هذا المجتمع. إلا إنه لم يعدم علماء مصلحين، قاوموا هذا الجهل والتخلف، وقاموا بحركة علمية إصلاحية كان لها أثرها فيما بعد، من أمثال الشيخ أبي زكريا يحيى بن صالح الأفضلي (ت ١٢٠٢هـ) ثم تلميذه من بعده الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم الثميني (ت ١٢٢٣هـ)[١] ثم حمل مشعل النهضة والإصلاح من بعده الشيخ اطفيش شخصية البحث.

٢- نسبه وولادته :

هو الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبدالرحمن بن عيسى بن اسماعيل ابن علامة أوانه ومرجع الفتوى الشيخ محمد بن عبد العزيز، الحفصي نسبة إلى أبي حفص عمر بن الخطاب، رضي الله عنه- ، العدوي نسبة إلى عدي بن كعب بن لؤي القرشي، جد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

قال عن نفسه في أرجوزه مدح بها النبي -صلى الله عليه وسلم - .

وناظم الأبيات من بني عدي	يتصل اتصال يوم بغد
محمد بن يوسف بن عيسى	نجل كرام سادة وكيسى
مع اجتماع في عدي بعمر	وبالنبي في لؤي ومضر

هذا ما ذكره حفيد أخيه العلامة أبو إسحاق اطفيش[٢] .

وهناك من يرى أن الحفصي نسبة إلى أبي حفص يحيى بن عمرو الهنتاتي جد العائلة الحفصية البربرية التي حكمت تونس (١٢٢٨-١٢٣٤) وأن اتصال نسبه إلى عمر بن الخطاب في حاجة إلى تحقيق[٣] .

وأطفيش اسم باللهجة البربرية مكون من ثلاثة مقاطع وهي أطف- أيا- أش ومعناه خذ- تعال- كل، ولعله كناية عن الكرم والجود لقب به أحد أجداده. ونظرا لمكانته العلمية وتفوقه على غيره لقب بقطب الأئمة* .

---

(١) انظر بوتردين، الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير، ص ٣٢.

(٢) انظر ابو اسحاق ابراهيم اطفيش، الذهب الخالص، المطابع العالمية، سلطنة عمان، المقدمة.

(٣) انظر بوتردين، الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير، ص ٣٥.

* لا صلة لهذا اللقب - كما أرى - بالألقاب الصوفية، ولهذا لا نرى أي حرج في استخدامه.

ولد -رحمه الله - في مدينة غرداية إحدى قرى ميزاب على ما صححه بعض تلاميذه سنة ١٢٣٦هـ الموافق ١٨٢١م ثم عاد به والده إلى بني يَسجِن وهو في عامه السادس من العمر، وقيل ولد في بني يسجن ثم انتقل به والده إلى غرداية وأيا كان مولده فإنه قد نشأ في بلده بني يسجن بعد ما عاد إليها مع والده الذي لم يلبث أن توفي، والقطب لم يجاوز السادسة من عمره، فعاش في كنف أمه التي كان لها أكبر الأثر، وأكبر الفضل في نبوغه وتفوقه[١].

٤٧٠٥١٦

تعليمه :

أرسلته أمه إلى الكتاب فحفظ القرآن الكريم وهو لم يجاوز التاسعة من عمره، ثم انتقل بعدها إلى دار الشيخ عبد العزيز التعليمية، وأخذ يتردد على دور التعليم، وحلقات المساجد، ولكنها لم تكن تلبي حاجته، فتطلعت نفسه إلى مستوى أعلى وجده عند أخيه وشيخه ابراهيم بن يوسف اطفيش بعد عودته من رحلته العلمية إلى مصر وعمان[٢] .

درس القطب - رحمه الله - على يد أخيه العلوم الشرعية من فقه، وحديث، وتفسير، وتوحيد، والعلوم العربية من نحو، وصرف وبلاغه وعروض، كما درس التاريخ والمنطق والحساب والفلك ومن بين شيوخه أيضا الشيخ عمر بن سليمان، والشيخ سعيد بن يوسف، والشيخ سليمان بن عيسى، والشيخ محمد بن عيسى أزبار.

ومما يروى عنه أنه لا يكاد يبدأ الكتاب في فن جديد .. حتى يختم الكتاب بنفسه دون حضرة شيخه، وكان يقول لاستاذه: "حسبي من دروسك، ان شئت قرأت الابواب كلها وشرحت لك ما فيها".[٣]

ولم يكن الشيخ يكتفي بما يحصله من شيخه بل كان يبحث عن الكتب ويتردد على المكتبات من بني يسجن وغرداية، يطلب الاذن من أصحابها في مطالعتها واستنساخها، كما كان يجتهد في اقتناء أي كتاب يسمع عنه في المغرب أو في المشرق، ويستجلبه

---

(١) انظر بوتردين، الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير، ص ٣٦، ابو اسحاق اطفيش، مقدمة الذهب الخالص، عدون جهلان الفكر السياسي عند الاباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، مكتبة الضامري، عمان، ص ١٠٣. بكير أغوشت، قطب الأئمة، حياته وآثاره العلمية، مكتبة الضامري، عمان، ص ٦٣.

(٢) انظر بوتردين، الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير، ص ٣٧، عدون جهلان، الفكر السياسي عند الاباضية، ص ١٠٣، بكير أغوشت، قطب الائمة، حياته وآثاره، ص ٦٣.

(٣) عدون جهلان، الفكر السياسي، ص ١٠٤ نقلا عن محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ٣٠١/١.

بواسطة قوافل الحجاج، وقد يكلف من يستنسخ له هذه الكتب عند تعذر شرائها، فتكونت له بذلك مكتبة زاخرة في أقاصي الصحراء[١] .

حياته العملية والعلمية :

أظهر الشيخ نبوغا علميا حتى أصبح اكبر عالم في ميزاب وهو لم يجاوز الثلاثين، فعاش حياته إما في المسجد واعظا ومرشدا، وإما في بيته مطالعا أو مؤلفا. وإما في معهده معلما ومربيا كان -رحمه الله- آمرا بالمعروف، وناهيا عن المنكر، ولا يخشى في الله لومة لائم، شديد الوطأة على من انتهك حرمات الله، شديد الكره للاستعمار، يعمل ما في وسعه لزواله حريصا على وحدة أمته وعزتها.

قال عنه العلامة أبو اسحاق ابراهيم اطفيش - رحمه الله - :

"قتل أيام حياته في حماية الدين بالنصح، والإرشاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي خدمة العلم بكل ما أوتي من قوة، ... يعز عليه أن يهضم شعب إسلامي ويسلب حريته، أو يناله أدنى ضيم، كثير الدعاء بالنصر للأمة الاسلامية، على من يناويها، شديد الرغبة في وجود الجامعة الاسلامية يرى من الواجب أن يكون الاسلام في عز وأهله في منعة، ويرى أن كل ما يلم بشعب اسلامي كائنا من كان من الرهق فهو نكبة أصابت الأمة لما في ذلك الشعب من التوحيد والانتساب الى الدين الاسلامي .. لا يهاب جبارا، ولا يعظم لديه خطر، وكم انتابته من نوائب الدهر ومكائد أعداء انفسهم، ولم تضعف نفسه أمامها، وكم لعبت حوله من الأيدي الأثيمة دسائس فإن من يطالع كتبه إلى الملوك والأمراء والولاة يدرك علو نفسه وثقته بالباريء جل شأنه ... يرى خدمة الإسلام عموما وخدمة المذهب خصوصا من أكبر الواجبات التي تحملها، قوي الإرادة حصيف الرأي، تتراءى له بالمعيته عواقب الأمور، وتتكشف له حقيقتها من وراء ستارها الكثيف وأحيانا كأنها على كثب منه .. " عظيم الاجتهاد لم يفتر في الأوقات التي تهجع فيها النفوس لأخذ الراحة ولا شغلته الدنيا وزخارفها ... "[٢] .

نجح الشيخ في تغيير كثير من البدع والخرافات السائدة، ودعا إلى التمسك بالكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، على رغم ما لقيه من عنت الجهلة والأميين، ومحاربتهم له، حتى بلغ بهم الأمر أن نفوه من بلدته إلى بلد آخرى عاش فيها سبع سنين، يمارس الدعوة إلى الله ثم رجع إلى بني يسجن ليواصل إصلاحه ودعوته.

---

(١) بوتردين ، الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير، ص٣٠ نقلا عن ديوز، نهضة الجزائر، ١/٣٨٥.

(٢) ابو اسحاق ابراهيم اطفيش، مقدمة الذهب الخالص، للقطب، ص، ب، ج، ز

اهتم الشيخ –رحمه الله – بتربية الأجيال، فأنشأ معهدا لتدريس علوم الشريعة، وعلوم العربية ولم يكن كسائر دور العلم المنتشرة في ميزاب آنذاك من حيث نظامها وبرامجها، بل أراد أن يجعله مرحلة مكملة لمراحل، التدريس المعهودة، وهو ما جعل بعضهم ينعته بأنه معهد التعليم الثانوي والعالي، وتخرج على يديه خيرة العلماء والمصلحين الذين حملوا لواء الدعوة والإصلاح بعده.(١)

موقفه من الإستعمار :

وهو موقف من مواقف الشيخ الجهادية يستحق الإجلال والإكبار، والوقوف عنده طويلا فقد عارض بشدة المعاهدة التي كانت بين الميزابيين وفرنسا، وأعلن رفضه لأي تدخل اجنبي في شئون ميزاب، وكان يدعو إلى محاربة فرنسا وعدم التعامل معها في كل ميدان، ومما يروى عنه قوله "إن تشييع ثمانين جنازة في اليوم من بني يسجن، أحب إلي من أن يطرق سمعي أن فرنسا وضعت قدمها على صخرة واحدة من تيضفت".

وكانت له رسائل شديدة اللهجة إلى القادة العسكريين الفرنسيين بالجزائر، ولما ضاقوا به ذرعا حاولوا أن يستقدموه إلى فرنسا للمحاكمة، ولكنهم عدلوا عن ذلك حين قال أحدهم : "من العار على فرنسا أن تستدعي رجلا إما أن يحاججها فتكون أضحوكة أمام الدول وإما أن تحاججه وهو أعزل ليس له إلا علمه فخير لكم أن تتركوا الرجل فتتناسوه" ومن طريف ما يروى عنه أنه كان يعلق الطوابع البريدية التي تحمل صور الإستعمار مقلوبة"(٢)

أشهر تلاميذه :

للقطب – رحمه الله – تلاميذ كثير، انتشروا في الشمال الافريقي يحملون لواء النهضة والإصلاح حتى قيل "إن الجيل المثقف بميزاب على عمومه سواء في عصر الشيخ اطفيش، أو بعد عصره إلى يومنا هذا يعد من تلاميذه إما مباشرة، وإما بواسطه،

---

(١) انظر بوتردين، الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير، ص ٥٠ نقلا عن دبوز، نهضة، ٣٧٠/١

(٢) انظر عدون جهلان، الفكر السياسي، ص ١١٠–١١١ نقلا عن ابراهيم عبد العزيز، نبذة من حياة الشيخ اطفيش، بكير أغوشت، قطب الائمة، ص ٩٦ نقلا عن حمو عيسى النووي، نبذة من حياة الميزابيين ٣٢٠/١. ومما يلاحظ أن الشيخ رحمه الله يختم تفسير كل سورة بهذه العبارة "اللهم ببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وببركة السورة أخز النصارى وأهنهم واكسر شوكتهم، وغلب المسلمين الموحدين عليهم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

فقد هيمنت شخصيته على الحياة العلمية هيمنة لم تتح لأحد قبله من العلماء"[١] وأشهر هؤلاء التلاميذ :

- العلامة الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن يوسف اطفيش -رحمه الله- (١٨٨٧-١٩٦٥م).

شارك في الحركة الوطنية في الجزائر وتونس مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي، ثم نفاه الإستعمار من الجزائر إلى تونس ثم إلى مصر، وهناك عمل في حقل الدعوة الإسلامية إلى جانب علماء الأزهر الشريف واسس مجلة المنهاج الأسبوعية لنشر الوعي الإسلامي.

- الشيخ المجاهد القائد سليمان باشا الباروني (ت ١٣٥٩هـ ، ١٩٤٠م).

أحد الزعماء الليبيين الذين أذاقوا الإستعمار الإيطالي هزائم متكررة أختير نائبا عن طرابلس في "مجلس المبعوثين" بالاستانة، وله مواقف مشهورة أسس جريدة "أسد الاسلام" لخدمة الدعوة الاسلامية كما شارك في تأسيس مجلة المنهاج القاهرية، كما أنشأ المبطعة البارونية بالقاهرة.

- العلامة أبو القيظان ابراهيم بن عيسى :

رائد الحركة العلمية الإصلاحية بعد أستاذه، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جانب الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٣١م، كما أسس ثماني جرائد سخرها لخدمة المقاومة الوطنية ضد الاستعمار ونشر الوعي والإصلاح الاجتماعي، صادرتها فرنسا كلها ومنعت تداولها.

ومن تلاميذه البارزين أيضا الشيخ محمد بن صالح الثميني أحد رواد البعثة العلمية الميزابية في أوائل القرن العشرين، والشيخ الحاج صالح بن عمر العلي، والشيخ عمر بكلي، والشيخ الحاج سعيد بن يوسف، والشيخ الحاج ابراهيم بانوح متياز، والشيخ محمد بن سليمان أدريسو والشيخ الحاج ناصر بن إبراهيم الداغور، والشيخ عمارة بن صالح، والشيخ ابراهيم بن بكير حفار، والشيخ بابكر بن الحاج مسعود، والشيخ الحاج ابراهيم البريكي، والشيخ عمر بن يحيى والشيخ أبو العلاء عبدالله بن إبراهيم والشيخ القاضي يحيى بن صالح .. وغيرهم كثير كل هؤلاء الأعلام ساهموا في بعث الوعي الإسلامي

---

(١) انظر بوتردين، ص ٥٦ نقلا عن الشيخ بكلي عبد الرحمن، الحركة العلمية في بني يسجن، ص ٦ وغرضنا هنا أن نذكر نماذج من تلاميذه -رحمه الله- ولذلك اكتفينا بهؤلاء الأعلام، و لم يكن غرضنا الاستقصاء وإلا فهم كثير من الصعب حصرهم، ويمكن الرجوع إلى بوتردين، ص٥٣-٥٥، عدون جهلان الفكر السياسي، ص٨٠-٩٠، بكير تفوشت، قطب الأئمة، ص٨٦-٨٨.

والنهضة العلمية في بلادهم واكتفى بهؤلاء الاعلام كنموذج لغراس الإمام القطب، وخريجي مدرسته.

أشهر مؤلفاته :

ألف الإمام القطب في فنون كثيرة كالتوحيد، والتفسير، والحديث، والأصول والفقه والسيره، واللغة، وغير ذلك، وكان - رحمه الله - يؤلف جملة من الكتب في آن واحد، وفي فنون مختلفة، يظهر ذلك من إحالاته على كثير منها في الهميان وفي غيره.

وأشهر مؤلفاته كما يلي :

١- التوحيد : وأهم كتبه في هذا الفن.

- شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع مطبوع.
- حاشية على كتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي مخطوط.
- حاشية على شرح النونية للشيخ عبد العزيز الثميني مخطوط.
- الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد، رسالة صغيرة مطبوعة ضمن كتابه كشف الكرب.

٢- **التفسير**

- هميان الزاد إلى دار المعاد مطبوع.
- داعي العمل ليوم الأمل مخطوط.
- تيسير التفسير مطبوع.

٣- **الحديث** :

١- ترتيب الترتيب (ترتيبه لمسند الربيع) مطبوع.

٢- وفاء الضمانة بأداء الأمانة مطبوع.

٣- جامع الشمل في حديث خاتم الرسل مطبوع,

٤- **أصول الفقه** : - وله فيه شرح مختصر العدل والانصاف للبدر الشماخي مخطوط.

٥- **الفقه** : وأهم مؤلفاته الفقهية :

١- شرح النيل وشفاء العليل للشيخ عبد العزيز الثيميني مطبوع.

٢- الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص مطبوع.

٣- شامل الأصل والفرع مطبوع.

٤- شرح كتاب الدعائم للعلامة أحمد بن النضر العماني مطبوع.

٥- جامع الوضع والحاشية مطبوع. وكتب أخرى غيرها.

٦- **اللغة العربية** : ألف في علوم البلاغة عدة كتب منها :

- بيان البيان مخطوط.

- ربيع البديع مخطوط.

- تخليص العاني من ربقة جهل المعاني مخطوط.

- شرح شواهد القزويني مخطوط.

- شرحه على شرح عصام الدين مخطوط.

- حاشية شرح الاجرومية للداودي مخطوط.

- حاشية على شذور الذهب لابن هشام مخطوط.

- حاشية على شرح المرادي للمغنى مخطوط.

وله في الصرف : شرح لامية الافعال لابن مالك مطبوع.

وفي علم العروض: شرح شواهد الوضع، وايضاح الدليل على علم الخليل.

٧- **السيرة والتاريخ** :

- كشف الغمة شرح لامية بن النظر مخطوط.

- الرسالة الشافية في بعض تواريخ ميزاب مطبوع.

- الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان في تاريخ ميزاب مطبوع.

وله رسائل كثيرة ومؤلفات أخرى لم يكشف النقاب عنها، ولكننا نكتفي بما ذكر للدلالة على أن الإمام القطب - رحمه الله - عالم موسوعي برز من علوم كثيرة وألف فيها مع ما كان يعانيه من ظروف قاسية على المستوى الاجتماعي، والسياسي والمادي، وما كان لذلك أن يكون لولا تربية صالحة تربى عليها، وإرادة قوية، وإيمان قوي ثابت بالله توفي يوم السبت، ٢٣ من ربيع الثاني عام ١٣٣٢هـ عن عمر يناهز ٩٦ عاما رحمه الله وأجزل له المثوبة وجعلنا وإياه في مستقر رحمته.

تفسير: هميان الزاد إلى دار المعاد

يعد تفسير هميان الزاد* أول تفاسير الشيخ - رحمه الله - ألفه حينما شعر بحاجة طلابه والعامة من أصحابه إلى تفسير خاص بهم يلبي حاجتهم ويحرر المسائل التي دار فيها خلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق الأخرى، كما أشار إلى ذلك في مقدمته(١) .

ولا ندري على وجه الدقة متى بدأ الشيخ في تأليفه إلا ما أشار إليه في مقدمة تفسيره الأخير "تيسير التفسير" إذ قال "ولما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهميان الزاد إلى دار المعاد الذي ألفته في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل، أنشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يمل ... "(٢).

أما فراغه منه فقد كان في عام ١٢٧١هـ كما جاء ذلك في كلمة بعث بها مع التفسير إلى السلطان برغش سلطان زنجبار يقول فيها "كمل الربع الرابع، وقت الظهر من يوم السبت لتسع مضين من شهر رمضان من عام الف ومائتين وواحد وسبعين بخط العجلة وقلمها وهذه مسودة لم أطالعها للتصحيح، وسأطالعها إن شاء الله..."(٣)

طبع الجزء الأول منه للمرة الأولى بزنجبار عام ١٣٠٥هـ وانتهت طباعة الجزء الأخير عام ١٣١٤هـ وكان في خمسة عشر مجلدا، ثم أعيدت طباعته في عمان ما بين عامي ١٤٠١هـ - ١٤١٢هـ وقسم إلى واحد وعشرين مجلدا، جمع الشيخ فيه كثيرا من العلوم، وتوسع فيها، وضمنه مباحث لا علاقة لها بالتفسير كالمباحث التي ذكرها في علوم القرآن، وفي النحو والصرف والبلاغة، وفي علم التوحيد، والفقه، كما توقف طويلا عند السيره، واستطرد في نقل القصص والاسرائيليات التي لا اصل لها، كما ستراه مبينا في محله من هذا البحث ان شاء الله.

---

* الهميان، شداد السراويل، ووعاء للدراهم، انظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ٥٨٧/٤ مادة همي.

(١) هميان الزاد، المقدمة ، ٥/١.

* داعي العمل ليوم الأمل، مخطوط وهو عبارة عن تفسير للقرآن الكريم بدأه من سورة الرحمن إلى الخواتيم ويقع في مجلدين كبيرين.

(٢) تيسير التفسير، خطبة الكتاب، ٧/١، وذكر بعض الباحثين أنه ابتدأه وهو في الخامسة والعشرين من عمره، انظر علواني محمد عكي، الشيخ محمد اطفيش ومنهجيته في تفسيره التيسير، رسالة ماجستير، المعهد العالي لأصول الدين، الجزائر، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٩١. واذا علمت أن ميلاد الشيخ كان في سنة ١٢٣٦هـ، وكان الانتهاء من تأليف الهميان سنة ١٢٧١هـ، عرفت أن الشيخ قد أتمه وله من العمر خمس وثلاثون سنة.

أما تيسير التفسير فقد أراده لأن يكون بديلا للهميان فحاول أن يجرده من كثير من المباحث والقصص وقد فعل أو كاد، طبع للمرة الأولى في الجزائر سنة ١٢٣٦هـ / ١٩٠٥م في سبعة مجلدات ثم أعادت طبعه وزارة التراث القومي العمانية سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م فظهر في خمسة عشر مجلدا.

الفصل الأول : مصادره

- تمهيد
- مصادره من كتب :
  - التفسير
  - معاني القرآن
  - القراءات
  - علوم القرآن
  - القصص القرآني
  - الحديث
  - اللغة
  - الفقه
  - العقيدة
  - السيره

الفصل الاول

مصادر الشيخ أطفيش في تفسيره الهميان

تمهيد:

إن معرفة المصادر لمؤلف (ما) لمن الأهمية بمكان، أما أولا فلأنها دليل على سعة أفق المؤلف وكثرة اطلاعه وطول باعه في العلوم المختلفة، وإن اهمية الكتاب لتزداد بمقدار ما ضم بين دفتيه من مراجع أصيلة يشهد لأصحابها بالإمامة في العلم.

وأما ثانيا: فهي مؤشر على سلامة نية المؤلف وإنصافه، وأنه ينشد الحق حيث وجده، ولا يضع إعتبارا لمذهبية أو غيرها فيغلق نفسه على طائفة بعينها كما هو شأن أهل الجهل والتعصب.

والشيخ أطفيش قد أفاد من مراجع كثيرة متنوعة المشارب ومختلفة الاتجاهات والمذاهب، تشهد له بسعة الاطلاع، وإن كان قد أفاد من مراجع بعينها اكثر من غيرها كما سيأتي بيانه، ومن هذه المراجع ما كان في التفسير وعلوم القرآن، ومنها ما هو في الحديث الشريف، ومنها مراجع في اللغة، وفي السير والتاريخ، وسأذكر أهم هذه المراجع مرتبة حسب تقدم أصحابها في الوفاة.

المبحث الاول

مصادره في التفسير

١- **الشيخ هود بن محكم الهواري ت ٢٨٠هـ تقريبا وتفسيره المسمى "تفسير كتاب الله العزيز" مطبوع بتحقيق بالحاج سعيد شريفي**

أكثر الإمام القطب من النقل من التفسير المنسوب إلى الشيخ هود- رحمه الله- ولم يكن إجلاله للشيخ هود وثقته به يمنعانه من التعقيب عليه ونقده حسبما يقتضي المقام، وهذه امثلة على ذلك.

١- عند تفسير قوله تعالى (ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين) [البقرة /٣٦] يقول قال الشيخ هود: قوله (ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين) المستقر من يوم يولد الى يوم يموت. انتهى [١] .

٢- وعند تفسير قوله تعالى (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته) [البقرة / ٨١]

يقول: روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن السيئة هنا الشرك وكذا قال الشيخ هود – رحمه الله – أنها الشرك، ثم يعقب قلت: ما ذكرته أولى مما ذكراه، فإن لفظ السيئة عام وحمله على العموم أولى.."[٢]

وما ذكره الإمام القطب أولى ، وهو كما قال؛ ذلك أن لفظ الآية عام ولا مبرر لتخصيصها بالشرك، وفي المنار ما نصه "قال الاستاذ: للسيئة هنا إطلاقها وخصها مفسرنا الجلال وبعض المفسرين بالشرك ولو صح هذا لما كان لقوله تعالى **(وأحاطت به خطيئته)** معنى فان الشرك اكبر السيئات وهو يستحق هذا الوعيد لذاته كيفما كان..."[٣]

---

(١) المميان(٤٧٤/١)، وانظر الهواري، هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، الطبعة الاولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت،١٩٩٠م ٩٩/١

(٢) المصدر نفسه (١٤٠/٢) وانظر الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ١٢١/١. قول ابن عباس في تفسير الاية كما رواه الامام الطبري نصه ما يلي: اي عمل مثل اعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم حتى يحيط كفرة بماله من حسنة" انظر الطبري محمد بن جرير، جامع البيان، الطبعة الاولى. دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ج١/ص٤٢٨.

(٣) رشيد رضا – تفسير المنار ، الطبعة الثانية دار الفكر بيروت ٣٦٣/١.

وممن فسرها بالكبيرة الإمام الزمخشري [١] وأبو السعود [٢] ونقله ابن كثير عن الحسن والسدي [٣] (١/١١٤) وكذا الألوسي [٤]

٢- الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وتفسيره "جامع البيان في تأويل القرآن"

أفاد الشيخ رحمه الله من تفسير الإمام الطبري ونقل عنه إما مصرحا باسمه وهو الكثير الغالب، وإما ملخصا ما جاء عنده من تفسير بالمأثور مع حذف الأسانيد كما ستراه في الفصل القادم إن شاء الله.

أولا : ناقلا : ومن الأمثلة على ذلك

- عند تفسير قوله تعالى (**قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها**) [الانعام/٣١]

يقول الشيخ: ما مصدرية؛ أي على تفريطنا فيها، ومجرور في هو ضمير عائد إلى الحياة الدنيا، وإن لم يجر له ذكر لدلالة ذكر التفريط في العمل عليها، لان العمل زمانه الحياة الدنيا لا الآخرة، وقال الحسن البصري: عائد إلى الساعة على معنى ما فرطنا في شأن الساعة، وقال محمد بن جرير الطبري: عائد إلى الصفة المدلول عليها بقوله: خسر"[٥]

وعبارة الطبري كما هي في تفسيره: "(والهاء والألف) في قوله (فيها) من ذكر الصفة ولكن اكتفى بدلالة قوله (**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله**) عليها من ذكرها..." [٦]

فالشيخ - رحمه الله - تصرف قليلا في نقل العبارة مع المحافظة على جوهرها، وهي عادة درج عليها الشيخ في كثير من نقولاته كما ستراه مبينا في هذا البحث ان شاء الله.

ثانيا: معقبا.

عند تفسير قوله تعالى (**وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء**) [الانعام/٩١]

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل ، الطبعة الثانية دار المصحف، القاهرة، ١٣٩٧/١٩٧٧م.(١/٧٨).

(٢) ابو السعود محمد العمادي، ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم دار احياء التراث العربي بيروت، ١/٢٢٢.

(٣) ابن كثير اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، ١/٤٤٠-٤٤٦.

(٤) الألوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني، الطبعة الرابعة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ج١/ص٣٠٥.

(٥) الطبيان (٦/١/٦٧)

(٦) الطبري، جامع البيان (٥/١٧٧)

يقول وضمير قدروا وقالوا لليهود على قول الجمهور، وهو الصحيح، وكانوا يختلطون بقريش في مكة وغيرها قبل الهجرة، فلما أنزلت سورة الانعام جملة فمن مكة أنزل ذلك فيها ردا عليهم إذا نكروا الوحي الى رسول الله.

وفي رواية عن السدي ومجاهد: أن الآية في قريش، وصححه الطبري[١]، لان في أول السورة الكلام فيهم، ويعترض عليه بأنهم ينكرون أيضا موسى والتوراة وغيرهما، فكيف يحتج الله تعالى عليهم بإنزال التوراة على موسى، ويعترض عليه أيضا بأن الذين يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا هم اليهود، إلا أن يقال إن قريشا لما خالطوا اليهود أذعنوا بعض إذعان للتوراة فخوطبوا مع اليهود [٢]

والذي قاله الإمام القطب فيه نظر من وجوه

الاول: أن سياق الآيات من أولها في مشركي مكة كما قال الطبري فيبعد أن ينتقل في آية واحدة إلى خطاب اليهود، واعتراضه بأن العرب ينكرون موسى والتوراة أجاب عنه أبو حيان وابن كثير، بأن إنزال الكتاب على موسى أمر مشهور منقول نقل قوم لم تكن العرب مكذبة لهم، وكانوا يقولون (**لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم**)[الانعام /١٥٧]

واليهود لا ينكرون انزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لانه من البشر كقوله (**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا**) [٣]

ثانيا : الذين قالوا بمدنية الآية استدلوا بالرواية التي ذكرها الواحدي والطبري قال: حدثنا ابن حميد قال حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر بن المغيرة، عن سعيد بن جبير قال:

وجاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي، فقال النبي عليه السلام: انشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين؟ وكان حبرا سمينا ، فغضب ، فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال

---

(١) انظر الطبري. جامع البيان (٥/٢٦٤) قال "واولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال عني بقوله "وما قدروا الله حق قدره" مشركي قريش وذلك لان سياق الخبر عنهم اولا".

(٢) الهميان (٦/١/١٧٢)

(٣) ابو حيان. البحر المحيط الطبعة الاولى، حققه علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت جـ٤/ص٨١، ابن كثير، تفسير القرآن (٢/١٤٨)

له أصحابه الذين معه: ويحك، ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء ، فانزل الله الآية[١] وهذه الرواية مردودة للأسباب التالية:-

١- إن السورة مكية، ورواية مالك بن الصيف مدنية فلا تزامن بينهما.

٢- إن الرسول عليه السلام بعث هاديا ومبشرا ولم يبعث مضلا ومنفرا فمثل هذه الرواية تنفر الناس منه صلى الله عليه وسلم وهي بعكس ما وصفه القرآن (**وإنك لعلى خلق عظيم**) [القلم/٤].

٣- إنها لم تذكر الخصومة أو موضوعها وإبهام الموضوع تكون عادة من أجل إخفاء الدس الذي يقوم به الوضاعون او الحاقدون، ويعد الأثر مقطوعا لأن سنده ينتهي إلى التابعي.

٤- إن في سند الرواية ابن حميد؛ وهو محمد بن حميد بن حيان التميمي الحافظ أبو عبد الله الرازي. قال الذهبي: وثقة جماعة والأولى تركه، ونقل ابن حجر في (تهذيب التهذيب) عن يعقوب بن شعبة أنه كثير المناكير، وقال البخاري: في حديثه نظر وقال الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة، قال صالح بن محمد الأسدي كل شيء يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه، وقال : كانت أحاديثه تزيد، وما رأيت أحدا أجرأ على الله منه، كان يأخذ احاديث الناس فيقلب بعضه على بعض [٢] .

وعلى فرض صحة الرواية فهي كما قال أبو الليث السمرقندي: أن مالك بن الصيف كان يخرج مع نفر الى مكة معاندين ليسألوا رسول الله عن أشياء، وقد كان من أحبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا... الخ [٣]

٣- **أحمد بن عمار المهدوي ت ٤٣٠ هـ وكتابه "التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل" والكتاب مخطوط حتى الان وفي طريقه للتحقيق والنشر.**

عند تفسير قوله تعالى (**وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا**)[الاعراف/١٣٧]. يقول : هي ما قضى الله من علمه ووعده من النصر والظفر،

---

(١) الطبري، جامع البيان، (٢٦٤/٥).

(٢) انظر ابن حجر، تهذيب التهذيب، دارصادر، (١٢٩/٩)، أبو علبة عبد الرحيم فارس، اسباب النزول. الوكالة العربية للتوزيع ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) السمرقندي ابو الليث بحر العلوم، تحقيق علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت (٥٠٠/١) وانظر الشيخ زادة. حاشية علي البيضاوي ، دار صادر، بيروت، ١٨٦/٢.

وقيل الوعد بالجنة، ثم ينقل عن المهدوي تفسيره للكلمة فيقول: وقال المهدوي: (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض الخ) [القصص/٥] . [١]

وعند تفسير (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا...) [التوبة /١٠٧] يقول في إعرابها: الذين بدل من آخرون أو خبر لمحذوف ، أو مفعول لمحذوف، قال النحاس: الخبر (لا يزال بنيانهم) وقال المهدوي: الخبر محذوف؛ أي معذبون، أو مهلكون، أو من المنافقين[٢]

نقده

التعقيب والنقد منهج سار عليه الشيخ عندما لا يرتضى قولا لعالم مفسرا كان أو غير مفسر، وقد انتقد المهدوي كما انتقد غيره، وإليك أمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى (وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله) [البقرة/٢٧٢] يقول "وزعم المهدوي ان هذه الاية اباحت زكاة المال لاهل الذمة، وهو باطل مجمع على خلافه، وجمهورنا أن الزكاة تختص بالمتولى، ووافقهم أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن في أنها لا تعطى موحدا يترك أركان الإسلام من الصلاة والصوم والحج والزكاة، وأجازها لغيره من العصاة [٣]

٤- **مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥-٤٣٧)هـ وتفسيره "كتاب الهداية الى بلوغ النهاية" عشرة اسفار مخطوط.**

عند تفسير قوله تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) [الانعام /٣٨]

---

(١) الهميان (٢٢٦/٢/٦)

(٢) المصدر نفسه (٢٥٣/٢/٧)

(٣) الهميان (٤٢٠/٣) وانظر ابن العربي احكام القرآن (٣١٧/١) وفي القسم المحقق من تفسير المهدوي ما نصه قال المهدوي: قال ابن عباس كانوا يكرهون ان يتصدقوا على اقربائهم من المشركين فرخص الله لهم من ذلك. قيل تكون الصدقة عليهم من الفريضة، وقيل من التطوع، وذلك مذكور في مسائل الزكاة في سورة براءة، ومما يؤكد ما ذهب اليه الشيخ ما نقله ابن عطية عن المهدوي قوله: رخص للمسلمين أن يعطوا المشركين من قراباتهم من صدقة الفريضة بهذه الاية وبعد ان نقل الاجماع عن ابن المنذر ان الذمي لا يعطى من زكاة الاموال شيئا قال وهذا (اي قول المهدوي) عندي مردود.
انظر شربجي محمد يوسف، تحقيق الجزء الى نهاية البقرة من كتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل للمهدوي، رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ١٤٠٨-١٩٨٧ ص ٥٤٢. وانظر ابن عطية المحرر الوجيز الطبعة الاولى، تحقيق عبد الله الانصاري وآخر، طبع على نفقة امير قطر الدوحة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ جـ٢/ص٤٦٦.

يقول بعد ان ذكر الاقوال في اوجه الشبه : "وإما مكي وهو عالم مغربي أندلسي ينسب إلى مكة لأنه طلب العلم فيها فقال: وجه الشبه أنها تعرف الله وتعبده، قيل: ان الحيوانات توحد الله وتسبحه وتصلي له" (١)

وكما ينقل عنه كان يتعقبه اذا لزم ذلك، فعند تفسير قوله تعالى **(قال اذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس...)** [طه /٩٧]

قال مكي: إن موسى كان مع السبعين في المناجاة وحينئذ وقع أمر العجل، وإن الله أعلم موسى بذلك، فكتمه موسى عنهم، وجاءهم حتى سمعوا لغط بني إسرائيل حول العجل فحينئذ أعلمهم"

قال معقبا: وقيل هذا ضعيف والجمهور على خلافه، وإنما تعجل موسى وحده فوقع أمر العجل، ثم جاء موسى وصنع ما صنع بالعجل ، ثم خرج بالسبعين، على معنى الشفاعة في بني اسرائيل..." (٢)

وعند تفسير قوله تعالى **(وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا.. وبشر المؤمنين)**[يونس/٨٧]

يقول: وقال الطبري ومكي "وبشر المؤمنين" خطاب للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا قول ضعيف (٣)

ولما لم أتمكن من الاطلاع على تفسير مكي، رجعت إلى تفسير الطبري (٤) فوجدت أن ما نقله الشيخ صحيح، ولا شك أن السياق يؤيد ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله.

٥- ابو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري ت ٤٦٨هـ

له تفاسير ثلاثة البسيط والوسيط والوجيز طبع منها الأخيران، ولم يشر الشيخ إلى الكتاب الذي أخذ منه الا مرة واحدة، عند قوله تعالى **(قال هي عصاي)** [طه/١٨] يقول:

والمشهور (عصي) بكسر الصاد وتشديد الياء، قلب الألف ياء وإدغامها وكسر ما قبلها، وهي لغة هذيل، وحكاها الواحدي في البسيط عن طيء .(٥)

وأما الامثلة على النقل دون إشارة فكثيرة منها :

---

(١) الهميان (٧٧/١/٦).

(٢) المصدر نفسه (٩٥/٢/١٠)

(٣) المصدر نفسه (١١٥/١/٨)

(٤) انظر الطبري جامع البيان (٥٩٨/٦)

(٥) الهميان (٢٣/٢/١٠)

عند تفسير قوله تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) [الاسراء/٧٩] يقول:

"وقد اختلف في تفسير المقام المحمود، فقيل إنه الشفاعة، قال الواحدي: أجمع عليه المفسرون كما قال صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية هو المقام المحمود الذي أشفع فيه لامتي" (١)

٦- الكشاف للامام جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨

وهذا التفسير هو أحد تفسيرين اعتمد عليهما الشيخ إعتمادا كبيرا، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره إذ قال "... ثم تارة يوافق نظر جار الله والقاضي وهو الغالب والحمد لله وتارة يخالفهما ويوافق وجها احسن مما اثبتاه او مثله"(٢) والناظر في تفسيره تتراى له هذه الظاهرة بوضوح دون أدنى عناء، والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحتاج الى مزيد بيان فمن امثلة الموافقة.

عند تفسير قوله تعالى (فلا تسألني ما ليس لك به علم) [هود/٤٦] يقول أصواب هو أم خطأ، قال جار الله: وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق، حين خاف عليه، ا هـ ، والعبارة بنصها في الكشاف (٣)

وعند تفسير قوله تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا...) يقول في تفسيرها: جعلناكم يا أمة محمد خيارا عدولا... ثم ينقل عن الزمخشري سبب تسمية الخيار بالوسط وبالعدول فيقول.

قال الزمخشري: قيل للخيار وسط، لأن الأطراف يتسارع اليها الخلل والعور والأوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي.

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

قال: ويجوز أن يكون وسطا بمعنى عدول، لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض" (٤)

وإذا رجعت الى الكشاف وجدت العبارة نفسها.

---

(١) المصدر نفسه (٢٩٦/٢/٩) وانظر الواحدي ابو الحسن علي بن احمد، الوسيط، الطبعة الاول،ى تحقيق علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٢٢/٣، وهذا جزء من حديث الشفاعة الذي أخرجه الترمذي (٤٨) كتاب التفسير (١٨) باب من سورة الاسراء رقم ٣١٤٨، وقال حديث حسن صحيح، ٣٠٨/٥.

(١) الهميان (٥/١).

(٢) الهميان، (٢١٤/١/٨)، وانظر الزمخشري الكشاف (٤١/٣).

(٤) الهميان (٣٧٠/١) ، وانظر الزمخشري، الكشاف، (٩٨/١).

ومن الأمثلة على مخالفته :

عند تفسير قوله تعالى (**لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا**) [مريم/٨٧] قال: وأجاز الزمخشري كون واو يملكون علامة للجمع، (ومن) فاعل وهي جمع في المعنى. قلت: وهو ضعيف، لأنه بمنزلة قرن الفعل في التفريغ بالتاء، مثل ما قامت هند[١]

وما قاله الشيخ هو الذي ذكره أبو حيان متعقبا الزمخشري بعد أن نقل كلامه قال: "ولا ينبغي حمل القرآن على هذه اللغة القليلة مع وضوح جعل الواو ضميرا وذكر الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أنها لغة ضعيفة...." [٢]

ووافقه السمين الحلبي فقال بعد ان نقل كلام الزمخشري: "وفيه بعد، وكأنه قيل لا يملك الشفاعة الا المتخذون عهدا ثم نقل كلام شيخه..." [٣]

٧- أبو بكر ابن العربي المالكي ٤٦٨-٥٤٣ هـ وتفسيره "أحكام القرآن"

وممن حظي عنده باهتمام ابن العربي المالكي صاحب "احكام القرآن"، وقد ميزه فذكره بإضافته الى مذهبه وسمى كتابه، فعند تفسير قوله تعالى (**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**) [الحج /١٩٧] يقول القطب: "وقد جرى ابن العربي الأندلسي المالكي تلميذ الغزالي في المسجد الحرام على الأول [أي المعنى الاول] في كتاب له سماه "أحكام القرآن" اذ قال: قوله تعالى (**فلا رفث ولا فسوق**) ، أراد نفيه مشروعا لا موجودا فإنا نجد الرفث فيه ونشاهده، وخبر الله تعالى لا يقع بخلاف مخبره". انتهى

ثم يبين عبارته بقوله: لكن في عبارته اختصارا، أراد فلا رفث ولا فسوق ولا جدال، وأراد نجد الرفث والفسوق والجدال ونشاهدها..." [٤] والعبارة بنصها في كتاب أحكام القرآن[٥]

---

(١) المصدر نفسه، (١٠/١/٣٣٣) وانظر الزمخشري الكشاف (٤/٧٤).

(٢) ابو حيان، البحر المحيط (٦/٢٠٤).

(٣) السمين الحلبي أحمد بن يوسف "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، الطبعة الأولى، تحقيق احمد الخراط، دار القلم، دمشق ١٤١١/١٩٩١م، ج٧، ص ٦٤٣.

(٤) الهميان (٣/١١٣).

(٥) أبو بكر ابن العربي، أحكام القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق محمد عبد القادر عطار، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، (٢/٤٨٨).

٨- **الإمام الفخر الرازي وتفسيره "مفاتيح الغيب" ت ٦٠٤ هـ.**

وكان الشيخ -رحمه الله- يتصرف في عبارة الفخر الرازي بالاختصار والحذف أحيانا ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى) [النجم/٢] يقول :

قال الرازي : أكثر المفسرين لم يفرقوا بين الضلال والغي، وبينهما فرق، فالغي في مقابلة الرشد والضلال أعم منه[١] .

وعندما ترجع إلى تفسير الفخر تجد أن العبارة أطول من ذلك، ولم أنقلها خشية الإطالة فأكتفي بالإحالة عليها.

٩- **أبو حيان محمد بن يوسف وتفسيره (البحر المحيط) ت ٧٤٥هـ :**

وينقل عنه دون تعقيب خاصة فيما يتعلق باللغة ومن الأمثلة على ذلك :

- عند تفسير قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [الانعام/٣٨]. يقول: قال أبو حيان في تفسيره المسمى بالبحر : أصل فرطنا أن يتعدى بفي ، ثم يضمن أغفلنا فيتعدى إلى مفعول به وهو هنا كذلك فيكون من شيء في موضع المفعول به" انتهى[٢]

وعبارة أبي حيان كما يلي :

... والتفريط التقصير، فحقه أن يتعدى بـ (في) كقوله (على ما فرطت في جنب الله) [الزمر ٥٦] وإذا كان كذلك فيكون قد ضمن معنى ما أغفلنا وما تركنا، ويكون (من شيء) في موضع المفعول به[٣] .

ولعلك لاحظت كما سبق، أن الشيخ يتصرف في النقل دون أن يخل بجوهر العبارة ومعناها.

---

(١) الهميان (١٤/٢٧) وانظر الرازي مفاتيح الغيب (٢٨/٢٤١).

(٢) الهميان (٦/١/٧٧).

(٣) ابو حيان ، البحر المحيط (٤/١٢٦).

١٠- القاضي ناصر الدين البيضاوي، وتفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ت٧٩١هـ.

وهذا هو التفسير الآخر الذي أعتمد عليه الشيخ أكثر من غيره ونقل عنه كثيرا مع الاشارة اليه في الغالب، ودون إشارة في القليل، وقد يخالفه أحيانا كما ذكر في المقدمة التي اشرنا اليها ، ومن الأمثلة على نقله :

- عند تفسير قوله تعالى (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) [الأعراف/٢٣] يقول: المراد مطلق الرحمة عن النار، وغفران الذنب، وقال القاضي: أراد الرحمة بإنزال التوراة[١] .

وأحيانا ينقل عبارته دون أن يشير إليه كما في قوله تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) [التوبه/٩] يقول القطب "استبدلوا بالقرآن عرضا يسيرا، وهو اتباع الأهواء والشهوات " شبه تركهم القرآن مع تمكنهم من اتباعه ببيعه[٢] .

وعبارة البيضاوي "استبدلوا بالقرآن عرضا يسيرا وهو اتباع الأهواء والشهوات". ولعلك لاحظت أن عبارة الشيخ هي عبارة البيضاوي مع زيادة، وقد يكون ذلك من باب التوافق وتوارد الخواطر، لأن الإمام القطب كثيرا ما يذكر التفسير بقوله كذا ظهر لي ثم رأيته لفلان، والأمثله على ذلك كثيرة اكتفي منها بما يلي :

- عند تفسيرقوله تعالى (هو الذي خلقكم من طين) [الانعام/٢] يقول: "بخلق أبيكم آدم منه، هذا ما ظهر لي بلفظه ومعناه، والله الذي لا إله إلا هو، ثم رأيت السيوطي ذكره ولم يتقدم لي فيه مطالعه"[٣] .

وعند تفسير (إن ربك هو أعلم بالمعتدين) [الانعام/١١٩] يقول: "المجاوزين الحق إلى الباطل ثم رأيت القاضي قال : المجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام[٤] . وعبارة البيضاوي هي كما ذكر الشيخ رحمه الله نفسها.

وعند قوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة) [المائدة /١٠٣] قال:

---

(١) الهميان (٢٦٧/٢/٦) وانظر البيضاوي ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت (٣٦٠/١)

(٢) الهميان (٢٩/٢/٧)، البيضاوي، أنوار التنزيل ٣٩٧/١.

(٣) الهميان (١٧/١/٦)، وانظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدر المنثور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ج٣، ص ٧.

(٤) الهميان (٢٣٩/١/٦)، وانظر البيضاوي أنوار التنزيل (٣١٩/١).

ما شرع الله من بحيرة، وكون جعل بمعنى شرع تعدى لواحد، وهو بحيرة هذا ما ظهر لي، والله الذي لا إله إلا هو ثم رأيته للقاضي وابن عطيه[١] ، وربما يكون قد اكتفى بما ذكره في المقدمة من اعتماده على هذين التفسيرين، فينقل عنهما دون إشارة. واعجابه بالقاضي البيضاوي، وإشادته به لم يمنعه من التعقيب عليه، فعند تفسير قوله تعالى (**فإن رجعك الله إلى طائفة منهم**) [التوبة/٨٣] يقول من للبيان لا للتبعيض .. وزعم القاضي مع علو درجته في العلم، أن من للتبغيض وأن الهاء للمتخلفين مطلقا، المنافقين وغيرهم، وأن الطائفة : المتخلفون المنافقون ويرده أن المتخلفين المذكورين في الآية كلهم منافقون، ولعله أراد إنما رد الهاء إلى المتخلفين مطلقا بطريق الاستخدام[٢] .

ومن الحواشي التي نقل عنها :

١١- حاشية الطيبي على الكشاف مخطوط.

عند تفسير قوله تعالى: (**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**) [الاسراء/٧٩] يقول: قال الطيبي: نكر [مقاما] لأنه أفخم وأجزل؛ أي مقاما محمودا بكل لسان[٣] .

١٢- حاشية السعد على الكشاف للعلامة مسعود بن عمر التفتازاني ت ٧٩٣هـ :

ونقل عنه في مواضع عده منها :

عند تفسير قوله تعالى (**ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب**) [البقرة/٢١١]. يقول هذه علة قامت مقام الجواب، وتقدير ذلك: عاقبه الله على تبديلها عقابا شديدا، لأن الله شديد العقاب، كذا ظهر لي، ثم رأيت السعد ذكره وزاد وجها آخر اذ قال : فإن قلت: كيف يصح ذلك جزاء للشرط ولا سببية ولا تركيب؟ قلت: من جهة أن المعنى يعاقبه الله أشد عقاب، لان الله تعالى شديد العقاب، كقوله (**وما بكم من نعمة فمن الله**) انتهى.

وقد تأثر الشيخ بمفسرين آخرين، ولكن جاء ذلك بقدر، وممن تأثر بهم ونقل عنهم:

١- مقاتل بن سليمان "أبو الحسن الأزدي" المتوفى ١٥٠ هـ. [٤]

---

(١) الهميان (٥/٦١١).

(٢) الهميان (٧/٢/٢١٢) وانظر البيضاوي انوار التنزيل (١/٤١٥).

(٣) المصدر نفسه (٩/٢/٢٩٨).

(٤) الهميان، (٦/٦/٦٥) ، (٨/٢/٣٠).

٢- يحيى بن سلام التميمي البصري الافريقي ت ٢٠٠هـ، له تفسير ٣ مجلدات ضخمة- مخطوط.(١)

٣- النقاش أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المتوفى ٣٥١هـ. وتفسيره المسمى "شفاء الصدور" مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٠،٦٣٤.(٢)

٤- أبو اسحق أحمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري ت ٤٢٧هـ وتفسيره المسمى "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" مطبوع.(٣)

٥- الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٠ هـ. وتفسيره المسمى "معالم التنزيل" مطبوع.(٤)

٦- ابن عطية عبد الحق بن غالب الغرناطي ت ٥٤٦هـ وتفسيره "المحرر الوجيز".(٥)

٧- عبد الرحمن بن علي البغدادي ابن الجوزي ت ٥٩٧. وتفسيره المسمى "زاد المسير في علم التفسير" مطبوع.(٦)

٨- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت ٦٧١هـ وتفسيره "الجامع لأحكام القرآن".(٧)

٩- علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن ت ٧٢٥ هـ وتفسيره المسمى "لباب التأويل في معاني التنزيل" مطبوع.(٨)

---

(١) المصدر نفسه ١٢٢/١/٨، ٢١١/٢/٩.

(٢) المصدر نفسه ٧١/١/٧، ٣٥٢/١/٩.

(٣) المصدر نفسه ١٨٨/٢، ٩٢/١/١٢.

(٤) المصدر نفسه ١٥١/٤.

(٥) المصدر نفسه ١٧/٢، ١٢٦/٣.

(٦) المصدر نفسه ١٨/٢، ١٨٣/١/٩.

(٧) المصدر نفسه ٨٥/٢، ١٦٩/٣.

(٨) المصدر نفسه ٢٢٣/٥، ٨٣/٢/١٢.

المبحث الثاني

مصادره من كتب معاني القرآن

وكما أفاد الشيخ من كتب التفسير، فقد أفاد من كتب المعاني وهو هنا ينسب القول إلى قائله دون ذكره للمصدر، ولعل ارتضاءه لهذه الأقوال جعله ينقلها دون تعقيب في الغالب. ومن أشهر من نقل عنهم: الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة ، والزجاج، وابن الانباري والراغب الاصفهاني، والأمثلة على ذلك كثيرة اكتفي بمثال واحد لكل مفسر.

١- الفراء ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧هـ وكتابه "معاني القرآن" مطبوع.

عند تفسير قوله تعالى (ويكفرون بما وراءه) [البقرة/٩١] ينقل عن الفراء تفسيره للآية . قال الفراء : بما و راءه بما سواه[١]

وعند تفسير (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) [الرعد/٣١] يقول، قال الفراء : جواب لو محذوف، دليله "هم يكفرون بالرحمن فكأنه قيل وهم يكفرون بالرحمن، ولو أن قرآنا سيرت به الجبال[٢].

٢- أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي ت ٢٠٩ هـ وكتابه "مجاز القرآن" مطبوع.

عند تفسير قوله تعالى (من حمإ مسنون) [الحجر /٢٦] ينقل تفسير مسنون عن أبي عبيدة يقول، قال أبو عبيدة: مصبوب [١/٣٥] من السنن بمعنى الصب. كأنه مصبوب من قالب ليبس ويتصور، كما هو يصب ما يذاب من الفضه في قالب ليتصور[٣] وعند الرجوع إلى مجاز القرآن لأبي عبيدة وجدته يفسر مسنون بمصبوب، أما الزيادة فهي للشيخ رحمه الله يوجه بها كلام أبي عبيدة.

٣- ابن قتيبة عبدالله بن مسلم أبو محمد ت ٢٧٦هـ وكتابه "تفسير غريب القرآن" مطبوع.

عند تفسير قوله تعالى (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [يوسف /٨٦] ينقل القطب رحمه الله عبارة ابن قتيبة بنصها في تفسير البث فيقول قال ابن قتيبة : البث أشد الحزن[٤] . وإذا رجعت إلى تفسير غريب القرآن لابن قتيبة وجدت هذه العبارة.

---

(١) الهميان (١٧٤/٢) وانظر الفراء يحيى بن زياد، معاني القرآن، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٠م، ج١، ص٦٠.

(٢) الهميان (٣٥٥/٢/٨) وانظر الفراء، معاني القرآن (٦٣/٢).

(٣) الهميان (١٤٤/١/٩) وانظر ابو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن الطبعة الأولى، تحقيق فؤاد سزكين، مكتبة محمد أمين الخانجي، ١٩٥٤، ج١، ص٣٥١.

(٤) الهميان (٢٣٨/٢/٨). وانظر ابن قتيبة عبدالله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، الطبعة [بدون]، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م ص ٢٢٢.

- الزجاج ابو اسحاق ابراهيم السري الزجاج ت٣١٢هـ وكتابه "معاني القرآن وإعرابه" مطبوع.

ويتصرف الشيخ في نقله عن الزجاج، كما هو الغالب فعند تفسير قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) [آل عمران/١٠٦] ينقل عن الزجاج قوله، وقال الزجاج: ابيضاضها واسوادها كناية عن فرح المؤمن وسروره وظهور بهجته، وحزن الكافر وكآبته وغمه.

وإذا رجعت إلى الزجاج وجدت عبارته كما يلي : وابيضاضها اشراقها واسفارها، قال الله عز وجل (وجوه يومئذ مسفره ...) [عبس/٣٨] اسفرت واستبشرت لما تصير غليه من ثواب الله ورحمته، (وتسود وجوه) اسوادها لما تصير إليه من العذاب قال الله تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبره)[عبس/ ٤٠][1] .

هذا وقد يتعقبه أحيانا، كما في تفسير قوله تعالى (وليقترفوا ما هم مقترفون)[الانعام/١١٣] يقول: وفسر الزجاج الاقتراف بالكذب، وهو تفسير بالمعنى المراد في الآية، وإلا فليس الاقتراف في اللغة الكذب، بل الإكتساب، كما قال الله تعالى (ومن يقترف حسنه) ومع كونه تفسيرا بالمعنى يضعف من وجه آخر ايضا، وهو ليس المراد اقتراف السنتهم، بل المراد كسب السيئات بالقلب، أو باللسان، أو بالجوارح.

ومن الإنصاف أن أقول : أن الزجاج لم يفسر الإقتراف بالكذب فحسب، بل جعله قولا ثانيا بعد القول الأول الذي ذهب إليه الإمام القطب -رحمه الله- والمفسرون ثم قال: ويجوز "وليقترفوا" أي ليختلفوا ، وليكذبوا". والإمام القطب نفسه أجاز تفسيره بالمعنى فهناك فرق بين أن يذكر المفسر قولا واحدا وبين أن يذكره قولا جائزا.

---

(١) الهميان (٢٠٦/٤) وانظر: الزجاج: ابراهيم بن السرى، "معاني القرآن" الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص٤٥٣.

٥- ابن الأنباري : محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر ت ٣٢٨هـ وكتابه "البيان في إعراب غريب القرآن" مطبوع.

عند تفسير قوله تعالى: (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) [هود/٦٨] يقول: بعدت: هلكت، وقال ابن الأنباري: من العرب من يسوي بين الهلاك والبعد الذي هو ضد القرب، فيقول فيها : بعد يبعد ككرم يكرم وبعد يبعد كعلم يعلم.. "[١]

٦- الراغب: الحسين بن محمد الاصفهاني ت٤٢٥هـ وكتابه "مفردات الفاظ القرآن" مطبوع.

عند تفسير قوله تعالى (والله أركسهم بما كسبوا) النساء [٨٨] ينقل عن الراغب معنى الركس فيقول :

قال الراغب : الركس رد الشيء أوله على آخره، وقلبه على رأسه، وذلك كله بما كسبوه، أو بكسبهم.. ". وعبارة الراغب "الركس: قلب الشيء على رأسه، ورد أوله إلى آخره.

يقال : أركسته فركس وارتكس في أمره. قال تعالى (والله أركسهم بما كسبوا) [النساء/٨٨]. أي ردهم إلى كفرهم[٢] .

---

(١) الهميان (٢٧٣/١/٨).

(٢) الهميان (٨١/٥) وانظر الراغب الاصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق عدنان داوودي، دار القلم دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٣٦٤.

المبحث الثالث

مصادر القراءات

لقد دأب الشيخ عند ذكره للقراءات، على ذكر القارئ، والقراءة المنسوبة إليه، دون أن يشير إلى مصدره، إلا أبا عمرو الداني، فكثيرا ما ينقل عنه ويذكره باسمه دون اسم الكتاب الذي أخذ منه، ومن الذين ذكرهم مع الداني أبو علي الفارسي، وابن جني، والأمثلة كثيرة اكتفي بمثال واحد لكل منهم.

(١) الفارسي أبوعلي الحسن بن عبد الغفار ت ٣٧٧هـ، وكتابه "الحجه للقراء السبعة".

عند تفسير قوله تعالى (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) [يوسف/١٢] يقول بعد أن ذكر القراءات في (يرتع ويلعب):

"وروى عن ابن كثير : نرتع ويلعب، بالنون، في الأول، والياء، في الثاني، وكسر العين في الأول، قال أبو علي الفارسي: هذه القراءة أحسن، لاسناد النظر في المال والرعاء اليهم، واللعب إلى يوسف لصباه[١] وعبارة الفارسي "لاقراره ابن كثير. نرتع ويلعب بالياء أحسن، لأنه جعل الارتعاء، والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر، واسند اللعب الى يوسف لصغره"[٢].

(٢) ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني وكتابه "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها".

عند تفسير قوله تعالى (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) [يوسف /٣٦] يقول :

وقال ابن جني : قرأ الحسن عشا، بالضم والقصر، جمع أعشى: أي كالرجل الأعشى، القليل البصر لبكائهم[٣] .

وعبارة ابن الجني: "قال أبو الفتح: طريق ذلك، أنه أراد جميع عاش، وكان قياسه عشاة، كماش ومشاه، إلا أنه حذف الهاء تخفيفا[٤].

(٣) الداني: ابو عمرو عثمان بن سعيد ت٤٤٤هـ، وكتابه "التيسير في القراءات السبع".

اعتمد الشيخ على أبي عمرو في مجال القراءات اعتمادا رئيسا، فكان ينقل عنه الصفحات الطوال دون أن يذكر اسم الكتاب الذي ينقل منه، واذكر مثالا واحدا، ثم أحيل على بعض الصفحات لمزيد الاطلاع.

(١-٢) الهميان (٣٤/٢/٨) وانظر الفارسي ابى عل الحسن بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة ، ط١، حققه بدر الدين قهوجي، بشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤، ٤٠٣/٤ .

(٣-٤) الهميان (٤٤/٢/٨) وانظر ابن جني ابو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، حققه على النجدي ناصف وآخرون، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ، ج١، ص ٣٣٥.

- عند تفسير قوله تعالى (نغفر لكم خطاياكم) [البقرة /٥٨]، يقول: قال أبو عمرو الداني: قرأ نافع يغفر لكم (بالياء مضمومه وفتح الفاء) وابن عامر بالتاء يعني الفوقية، والباقون بالنون مفتوحة وكسر الفاء[١] انتهى.

وممن نقل عنهم بقدر قليل ابن الجزري[٢] ، وأبو شامه[٣] وابن خالويه[٤] وشرح الشاطبيه[٥] والمهدوي[٦] .

المبحث الرابع

مصادره في علوم القرآن

١- **البرهان في علوم القرآن، للامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ت ٧٩٤.** أكثر ما كتبه الشيخ في مبحثي المكي والمدني، والنسخ، أكثره منقول من كتابي البرهان للزركشي، والاتقان للسيوطي، إذ الواضح عند المقارنة ، أن الشيخ قد اعتمد عليهما كثيرا، ولو لم يصرح بذلك في الغالب، وإنما ذكر البرهان باسمه في موضع واحد عند حديثه عن نسخ التلاوة وبقاء الحكم ، قال: "وعن عمر -رضي الله عنه-: لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها، يعني آية الرجم. قال الزركشي في البرهان : ظاهره أن كتابتها جائزة وانما منعه قول الناس، والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه، وإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة، لأن هذا شأن المكتوب، وقد يقال لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ولم يعرج على مقالة الناس إذ لا تصلح مانعا وبالجملة فهي ملازمة مشكلة[٧] .

---

(١) الهميان (٥٤/٢) ، وانظر، أبو عمر الداني، عثمان بن سعيد، التيسير في القراءات السبع، الطبعة الثانية، عنى بتصحيحه أوتربتزل، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٧٣. وانظر للمزيد الهميان ٥٠١/١، ١٠٩/٢/٦، ٧١/١/٧، ٢٩/١/٨، ٣٢/٢/٨، ٢٣٣/١/٩،

(٢) الهميان ٣٦٠/١/٩

(٣) المصدر نفسه ٣٥٩/١/٩.

(٤) المصدر نفسه ١٥٥/٢/١٢.

(٥) المصدر نفسه (١٥٣/٢/٧).

(٦) المصدر نفسه ٢٦٠/٢/٦، ٢٧١.

(٧) الهميان (٢٣٧/٢) وانظر الزركشي بدر الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤)، البرهان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق محمد يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩١، (١٦٦/٢).

٢- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ).

عند تفسير سورة الملك، يذكر الشيخ ان السورة مكيه، قيل باجماع وعن ابن عباس: إلا ثلاث آيات، وذكر السيوطي أن بعضا قال، انها مدنية قال: وهو قول غريب"[١]

وهكذا دأب الشيخ على ذكر اسم المؤلف دون اسم الكتاب، وستأتي امثلة كثيرة على نقله دون اشارة في الفصل القادم إن شاء الله.

٣- كتاب الناسخ والمنسوخ :

ومن منهجه في الأخذ من مصادره أن يذكر الكتاب دون ذكر اسم مؤلفه، وإذا لم يكن الكتاب مشهورا، والنقل حرفيا، فإن الباحث يجد صعوبة بالغة في الوصول إلى المصدر، ومن أمثلة ذلك :

- عند تفسير قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم ...) التوبة [٤٣]. يقول :

وفي كتاب الناسخ والمنسوخ إن قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم). منسوخ بقوله (فإذا استاذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) النور [٦٢]. بل قيل: أن الآيات الثلاث "الى يترددون" منسوخات به ... الخ.[٢]

وقد رجعت إلى كتاب الناسخ والمنسوخ لابن العربي[٣]، فوجدت العبارة الأولى إلى قوله بل قيل. أما ما بعدها فغير موجود فلعله من كلام المؤلف، ثم راجعت الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب[٤] فوجدت العبارة نفسها التي ذكرها ابن العربي فلعله أخذها منه، ونسبا القول بذلك لابن عباس، ونقلا عنه ايضا: أن الآيات الثلاث محكمات، وحسنه مكي ولم يذكرا أنهن منسوخات.

---

(١) الهميان (٣٢٢/١٤) وانظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن، ط.د المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م، ط ، ص١٣.

(٢) الهميان (١٤٨/٢/٧) وانظر ٢٢٩/٢، ٢٧٤/١/٧، ٢٠٢/١/٩ وذكر الشيخ أنه لأحد البغداديين و لم أجده.

(٣) ابن العربي أبو بكر، الناسخ والمنسوخ، ط.د تحقيق عبد الكريم العلوي المدغري، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٢، ١٤١٣، ج٢، ص٢٥٠.

(٤) القيس مكي بن أبي طالب الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، الطبعة الأولى، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جده، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٣١٦.

المبحث الخامس

مصادره في القصص القرآني.

يكثر الشيخ من ذكر القصص التي أشار إليها القرآن الكريم، وينقل تفاصيلها بتطويل وإسهاب ، ويسردها سردا أشبه بسرد القصاصين، دون أن يعتمد في ذلك على أثر صحيح، بل كان اعتماده كتاب عرائس المجالس الثعلبي، فكثيرا ما ينقل عنه قائلا : قال في عرائس القرآن، وقد يذكر اسم مؤلفه فيقول : قال الثعلبي في عرائس القرآن، والأمثلة على ذلك كثيرة أكتفي بمثال قصير، ثم أحيل على الباقي.

عند تفسير قوله تعالى: (**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة...**) الأعراف[١٧١] ينقل عن عرائس القرآن حادثة نتق الجبل فوقهم فيقول :

وفي عرائس القرآن: كانت التوراة شريعة ثقيلة، فأبوا أن يعملوا بها، فأمر الله جبريل فقطع جبلا على قدرهم، وكان فرسخا في فرسخ، ورفعه فوقهم، قال عطاء، عن ابن عباس: وبعث نارا من قبل وجوههم، والبحر من خلفهم، وقيل لهم "خذوا ما آتيناكم بقوة" فإن قبلتموه وفعلتم به، وإلا رضختكم بهذا الجبل، وغرقتكم في هذا البحر، وأحرقتكم بهذه النار، فلما رأوا أن لا مهرب قبلوا ذلك، وسجدوا على شق وجوههم، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصارت سنة اليهود ألا يسجدوا إلا على نصف وجوههم، ولما زال الجبل قالوا: يا موسى سمعنا وأطعنا، ولولا الجبل ما أطعناك. اهـ.[١]

وينقل عنه بتصرف مع الاشارة إلى ذلك كما في قوله تعالى (**فما لبث أن جاء بعجل حنيذ**) [هود/٦٩] يقول : قال في عرائس القرآن: مكث ابراهيم خمسة عشر يوما لم يأته ضيف، وشق ذلك عليه، وكان يحب الضيف، ولا يأكل إلا معه، ولما أتوه [أي الملائكة] على صور الرجال فرح بهم، ولم ير ضيفا مثلهم حسنا وجمالا، فقال: لا يخدمن هؤلاء إلا أنا، فخرج فأمر بعجل سمين يذبح، فذبحه وعجله إليهم، انتهى بتصرف[٢]

وقلما يعقب الشيخ على كلام الثعلبي، إلا إن كانت القضية تمس جوهر العقيدة فلا يسكت عنه، مثال ذلك :

عند تفسير قوله تعالى : (**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا...**) [الاعراف/١٤٣]. ينقل عن العرائس صفة المناجاه فيقول، قال صاحب عرائس القرآن

---

(١) الهميان (٧/١/٥٥) وانظر الثعلبي أحمد بن ابراهيم ، عرائس المجالس، ص ١٨٣.

(٢) الهميان (٨/١/٢٣٧).

وغيره: لما مضت أربعون يوما تطهر [موسى]، وطهر ثيابه، وأتى طور سينين، وكلمه ربه وقربه، قال وهب: كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا، فرفعها كلها إلا حجابا واحدا. وهذا خطأ فاحش، فإن الحجاب مؤد إلى التحيز والجهات، وإثبات لإدراكه في الدنيا، فإن الحجاب لو ثبت كان مقابلا له، ولا فرق بينك يآ أيها الانسان وبين الحجاب، فكلاكما مخلوق[١] .

وعند تفسير قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) [الاعراف/١٧٢].

يقول: وفي العرائس : أنه عرض على آدم ذريته حين خرجت، فرأى قوما عليهم نور، فسأل، فقيل: أنبياء، ورأى داوُد أشدهم نورا، فسأل عنه كما مر، وهو مشكل فإن نبينا أولى بأن يكون أعظم نورا ..."[٢].

---

(١) الهميان (٢٤٧/٢/٦) وانظر الثعلبي عرائس المجالس، ص ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه (٥٩/١/٧) وانظر للمزيد :

ج١/٩ من ٨١ – ٩١ قصة ابراهيم واسماعيل.

٩٠/٢/٩– ١١٨ قصة فساد بني اسرائيل.

٢٨٩/١/١٠ – ٢٩١ قصة ادريس.

٢٣٢/٢/١٠–٢٤٧ قصة ايوب.

١٧٩/٢/١٢–١٨٧ قصة بناء التماثيل لسليمان.

٤١٩/٢/١٢–٢٤٩ قصة الياس.

المبحث السادس

مصادره في الحديث

ورد في تفسير الشيخ ذكر عدد من كتب الحديث المعتمدة عند الأمة، ولا يعني هذا أن الشيخ قد اطلع عليها جميعا وإن كان قد اطلع على بعضها، وقد أشار إلى ذلك عند تأليف كتابيه وفاء الضمانه، وجامع الشمل، "إذ ذكر أنه لم يكن يتوفر لديه في وادي ميزاب غير الجامع الصحيح للربيع بن حبيب، ولما سافر إلى الحج تمكن من الاطلاع على كتب الصحاح المعروفة لدى كافة المسلمين، فجمع منها ما جمعه في الكتابين المذكورين"[١] .

وعلى هذا فإن الشيخ كان ينقل عن كتب نقلت عن تلك المصادر، وأشهر مصادر الحديث التي ورد ذكرها ما يلي :

١- الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي ت ١٧٥-١٨٠هـ.

٢- الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي ت ١٧٩هـ.

٣- سنن سعيد بن منصور بن شعبة الحافظ المروزي ت ٢٢٧هـ.

٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١هـ.

٥- صحيح الإمام محمد بن اسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ.

٦- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ.

٧- سنن الإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني ت ٢٧٣هـ.

٨- سنن الإمام أبي داؤد سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ.

٩- سنن الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت ٢٩٧هـ.

١٠- سنن الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ.

١١- صحيح الإمام أبي بكر محمد بن اسحق بن خزيمة السلمي النيسابوري ت٣١١هـ.

١٢- المعجم الكبير للإمام سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ.

---

(١) بورتردين ، الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير ص ٢١٩، أضف إلى ذلك أنه يورد الحديث بألفاظ تختلف قليلا عما هو في المصدر الأصل

١٣-المستدرك على الصحيحين لابي عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري الحاكم ت ٤٠٥هـ.

١٤-شعب الايمان للإمام أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ.

وإليك أمثلة على بعض هذه الكتب :

فمما رواه الإمام الربيع عند تفسير قوله تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) [البقرة / ٢٣٨] قال :

وعن الربيع بن حبيب ، عن جابر بن زيد، عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فاته العصر فكأنما وتر أهله" قال الربيع سلب، وقيل نقص[١] .

ومما أخذه عن الإمام البخاري عند تفسيرقوله تعالى (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا) [البقرة / ٢٠٠] يقول :

وروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)[٢] .

وعند تفسير قوله تعالى (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) [البقرة ٢٠١] ، يستشهد بحديث "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة" يقول رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص[٣] .

وذكر للإمام النسائي، عند تفسير قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) [الاسراء/٧٩]، يقول: قال انس -رضي الله عنه -: "ما كنا نشاء أن نرى رسول الله -

---

(١) الفراهيدي، الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح، الطبعة الأولى خرج احاديثه محمد ادريس، راجعه عاشور يوسف، دار الحكمة بيروت، مكتبة الاستقامة، مسقط، ١٤١٥-١٩٩٥، كتاب الصلاة، ٤٨ باب جامع الصلاة حديث رقم ٣٠٤ ص ١٢٥ وتكملة الحديث "وتر أهله وماله".

(٢) الهميان (١٣٣/٣) والحديث أخرجه البخاري، انظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، الطبعة الأولى، رقم احاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه محب الدين الخطيب، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، (٥٦) كتاب الجهاد، (٧٠) باب الحراسة في الغزو في سبيل الله رقم الحديث ٢٨٨٧، ج٦، ص ٩٥، وتكملة الحديث "طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة، ان استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع".

(٣) الهميان (١٣٤/٣) والحديث أخرجه مسلم: صحيح مسلم، الطبعة الثانية رقم احاديثه محمد فؤاد وعبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م (١٧) كتاب الرضاع، (١٧) باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، حديث رقم ١٤٦٧، ج٢، ص ١٠٩.

صلى الله عليه وسلم- في الليل مصليا إلا رأيناه، ولا نشاء أن نراه نائما إلا رأيناه) أخرجه النسائي[١] .

ومن نقله عن أبي داوود، عند تفسير قوله تعالى (**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات**) [آل عمران/١٠٥] يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من قبلكم من أهل الكتاب يعني النصارى أفترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة" هذا لفظ ابي داؤود في سننه عن معاوية بن أبي سفيان، ومثله لأبي هريرة ولم يذكر النار، بل قال على ثلاث وسبعين واحدة في الجنة[٢] .

أما الإمام الترمذي فمثاله عند تفسير قوله تعالى: (**يآ أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**)[آل عمران/١٠٢]. يقول: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية (**اتقو الله حق تقاته...**) فقال: (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه). رواه أبو عيسى الترمذي وقال حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه[٣].

ومن الأمثلة على ابن ماجه عند تفسير قوله تعالى (**ومن الليل فتهجد به نافلة لك**)[الاسراء/٧٩]. يقول وعن عائشة (كان يوتر بواحدة، ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس، فإذا أراد أن يركع قام فركع)[٤] رواه ابن ماجه.

---

(١) الهميان (٢٨٨/٢/٩)، وانظر النسائي، سنن النسائي بشرح السيوطي، الطبعة الثانية اعتنى به عبد الفتاح أبو غده، مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م (٢٠) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، (١٣) باب صلاة رسول الله بالليل، حديث رقم ١٦٢٧، ج٣، ص ٢١٣.

(٢) الهميان (٢٠٥/٤) وانظر ابو داؤد سليمان بن الأشعث، سنن أبي داؤد، الطبعة الأولى، تعليق عزت الدعاس وآخر، دار الحديث للطباعة والنشر بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، (٣٤) كتاب السنة (١) باب شرح السنة، حديث رقم ٤٥٩٦، ج٥، ص٥. وفيه بقيه بن الوليد الكلاعي لا يحتج بحديثه كما قال ابو حاتم وغيره، انظر تهذيب التهذيب (٤٣٤/١-٤٣٧) واخرجه الترمذي (٤١) كتاب الايمان (١٨) باب ما جاء في افتراق الامة وقال هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا الا من هذا الوجه وفيه عبد الرحمن بن زياد الافريقي انظر سنن الترمذي ٢٥/٥-٢٦ .

(٣) الهميان (١٩١/٤) والحديث اخرجه الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق ابراهيم عطوه، دار الحديث القاهرة، (٤٠) كتاب صفة جهنم (٤) باب ما جاء في صفة شراب أهل النار حديث رقم ٢٥٨٥، ج٤، ص٧٠٧ بلفظه.

(٤) الهميان (٢٩٥/٢/٩) والحديث أخرجه ابن ماجه، انظر الالباني محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، البطعة الأولى، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، (٥) كتاب الصلاة، (١٢٥) باب ما جاء في الركعتين بعد الوتر جالسا، حديث رقم ١١٩٦، وقال صحيح ج١، ص ١٩٧.

ومما رواه عن الإمام أحمد، عند تفسير قوله تعالى (**وقل الحمدلله... وكبره تكبيرا**)[الاسراء/١١١]. يقول: عن معاذ الجهني، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنه كان يقول: آية العز الحمدلله الذي لم يتخذ ولدا، ولم يكن له شريك في الملك، إلى آخر السورة[١] . رواه أحمد

ومما ورد في الموطأ عن تفسير قوله تعالى (**والباقيات الصالحات**) [الكهف/٤٦] يروى عن ابن المسيب قوله : وعن ابن المسيب الباقيات الصالحات قول العبد: الله اكبر، وسبحان الله، ولا إله إلا الله العلي العظيم، أخرجه مالك في الموطأ موقوفا عن ابن المسيب.[٢]

ومن أمثلة ما رواه الحاكم في المستدرك، عند تفسير قوله تعالى (**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان..**) [البقرة/١٧٦] يقول :

وروى الحاكم في المستدرك واللفظ له، وقال صحيح الاسناد، وابن حبان، عن ثوبان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يرد القدر الا الدعاء".[٣]

ومما جاء عند البيهقي، عند تفسير قوله تعالى (**إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا**)[البقرة/٢٦] يقول، وعنه صلى الله وسلم: (إن الله يستحي من ذي الشيبه المسلم أن يعذبه) رواه البيهقي وغيره[٤] .

ومثال ما ذكره من صحيح ابن خزيمة، عند تفسير الفاتحة، يقول ومن صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قرأ البسملة من أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية[٥] .

---

(١) الهميان (٣٨٠/٢/٩)، والحديث اخرجه الامام احمد، انظر العسقلاني، أحمد بن حجر، اطراف المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلي، الطبعة الأولى، حققه زهير الناصر، ابن كثير، دار القلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤/١٩٩٣م، رقم الحديث ٧١٢٤، ج٥، ص ٢٨٧.

(٢) الهميان (١١٨/١/١٠) ، وانظر مالك بن أنس، موطأ الامام مالك، الطبعة الثانية، حققه د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م (٧٥) باب فضل الدعاء حديث رقم ٥٢٣، ج١، ص ٢٠٤.

(٣) الهميان (٤٠/٣) وانظر الحاكم ابي عبدالله، المستدرك، اشراف يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص٤٩٣، وتكملة الحديث "ولا يزيد في العمر غير البر، وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" وقال هذا حديث صحيح الاسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) انظر الهميان (٨/١) والحديث أخرجه البيهقي، احمد بن الحسين، شعب الايمان، الطبعة الأولى، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، باب تعظيم القرآن، فصل فضائل السور، حديث رقم ٢٤٦٣، ج٢، ص٤٤٨.

(٥) الهميان (١٩/١)، وانظر ابن خزيمة ابي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري صحيح ابن خزيمة، الطبعة الثانية، حققه د/محمد الأعظمي، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، كتاب الصلاة (٩٧)، باب ذكر على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب، رقم الحديث ٤٩٣ ج١، ص ٢٤٨. "قال اليعمري رواته موثقون وفي اسناد ابن خزيمة عمر بن هارون البلخي قال الحافظ هو ضعيف أ هـ. ولكنه قد وثق فقول اليعمري رواته موثقون صحيح انظر الشوكاني ليل الاوطار، ط١، ضبطه محمد هاشم دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤١٥/٩٥م ج٢، ص ٢١٢.

وذكر من معاجم الطبراني الأوسط والكبير فمنه : ما جاء في تفسير (**إن كيدكن عظيم**)[يوسف/٢٨]. يقول وروى الطبراني في كبيره عن أم سلمة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (هن أغلب يعني النساء)[١] .

المبحث السابع

مصادره في اللغة

ومن أهم المصادر التي رجع اليها الشيخ، وأفاد منها، المصادر اللغوية، ذلك أن للغة مساحه واسعة في كتابه، وتتمثل طريقته في نسبة القول إلى صاحبه دون الإشارة إلى كتابه، وقد يذكر الكتاب مع المؤلف أحيانا وإليك أمثلة على ذلك، وأبدأ بذكر الكتب أولا :

فمن المعاجم :

١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل حماد الجوهري ت٣٩٣هـ.

نقل الشيخ عن الصحاح ولكن بقدر، وأشار إليه باسمه، فعند تفسير قوله تعالى (**قالوا سبحانك..**) [البقرة/٣٢] بعد أن استشهد ببيت الأعشى

قد قلت لما جاء في فخره سبحان من علقمه الفاخر.

ثم نقل عن الصحاح قوله: العرب تقول: سبحان الله من كذا إذا تعجبت منه[٢] .

وعن تفسير قوله تعالى (**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم**) [الاعراف/٣٣].

يقول وقال الحسن وعطاء : الاثم الخمر.

قال في الصحاح : يسمى الخمر إثما لقوله :

شربت الاثم حتى جن عقلي كذاك الاثم تلعب بالعقول[٣] .

---

(١) الهميان (٩٣/٢/٨) وانظر الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، حققه حمدي السلفي، مطبعة الامانة، بغداد، رقم الحديث ٨٥١، ج٢٣، ص ٣٦٢. والحديث في اسناده اسامه بن زيد الليثي قال ابو حاتم لا يحتج بحديثه، وفيه ايضا محمد بن قيس المدني قال عنه ابن معين ليس بشيء. انظر المزي تهذيب الكمال ط١، تحقيق بشار عواد، ج٢ ، ص ٤٤٩ ، انظر الذهبي ميزان الاعتدال، ط١ حققه علي معوض دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥، (٣٨٠/٦) / تهذيب التهذيب ٣٥٧/٩ .

(٢) الهميان (٤٤٢/١) وانظر الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الثالثة، حققه أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، (٣٧٢/١)، مادة سبح باب الحاء فصل السين.

(٣) الهميان (٦٣/٢/٦)، وانظر الجوهري، الصحاح (١٨٥٨/٥) مادة (أثم).

وفي الغالب يقول: قال الجوهري دون أن يذكر الكتاب/ والامثلة كثيره، ويتعقبه أحيانا، كما في تفسيره للبعوضة، عند قوله تعالى (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة) [البقرة/٢٦]. يقول "والبعوضة واحد البعوض، وهو البق الصغار فيما ذكره الجوهري، وليس كذلك. بل هو الحيوان الذي يطير، وينتشر صيفا، سمى من البعض وهو القطع.(١)

٢- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧هـ.

وعند نقله من القاموس لا يذكر اسم مؤلفه أبدا، وإنما يذكر الكتاب، يقول قال في القاموس، ومن الأمثلة على ذلك :

عند تفسير قوله تعالى (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ..) [القصص/٧٦]. قال: وفي القاموس: المفتح كمسكن: الخزانة، والكنز، والمخزن(٢) .

وعند تفسير قوله تعالى (من قبل أن نذل ونخزى) [طه/١٣٤] يقول :

خزي كرضي خزيا بالكسر، وخزي: وقع في بلية، وشهرة، فذل بذلك، قاله في القاموس(٣) . .

ومن كتب النحو :

١- "شرح الكافية" و "شرح التسهيل" جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك الطائي النحوي ت٧٦٢هـ.

وكتب ابن مالك في النحو أحد المصادر الرئيسة التي اعتمدها الشيخ، وكان في نقله لا يذكر اسم الكتاب الذي أخذ منه غالبا، وربما صرح به في بعض المواضع، حيث ذكر "شرح الكافيه" و"شرح التسهيل" في موضع واحد، أو موضعين.

عند تفسير البسمله من سورة الفاتحة، يقول :

وقال ابن مالك في شرح الكافية: آخر المعرف بالأداة الله، اسم سمي به وفيه الألف واللام، فلا يفارقانه، لأنهما بمنزلة سائر حروفه في أصح القولين.

---

(١) الهميان (٣٨٤/١) وانظر الجوهري، الصحاح (١٠٦٦/٣) مادة (بعض) .

(٢) الهميان (٢٨٩/١/١٢) وانظر الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الطبعة الأولى دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢/١٩٩١م، (٤٧٩/٩/١)، مادة فتح.

(٣) الهميان (١٣٤/٢/١٠) وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط (٤٦٨/٤) مادة خزي.

٢- **عمرو بن عثمان بن قنبر "سيبويه" إمام النحاه ت١٨٠هـ وله "الكتاب" في النحو.**

عند تفسير قوله تعالى (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)[البقرة/١٣٨]. يقول: (صبغة الله) مفعول مطلق كسبحان، قاله سيبويه.[١]

٣- **النضر بن شميل بن خرشه بن يزيد البصري التميمي ت ٢٠٤هـ .**

عند تفسيرقوله تعالى (ويتخذ منكم شهداء)[آل عمران/ ١٤٠] ينقل عن النضر قوله: قال النضر بن شميل : سمى الله من قتل في سبيل الله شهيدا، لأنه حي يشاهد الأشياء في دار السلام[٢] .

٤- **المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس ت٢٨٦هـ.**

عند تفسير قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) [البقرة/٦٧] يقول:

والبقرة واحدة البقر، ذكرا وأنثى، لأنه مما يفرق بينه وبين جمعه بالتاء، وقال المبرد: إذا أردت الفرق قلت: هذا بقرة للذكر، وهذه بقرة للأنثى[٣] . وما ذكره الشيخ اختصار مفيد لعبارة المبرد أما نصها فهو كما يلي :

فبعد أن نقل بيت الاخطل :

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

قال: والدجاج هنا الديوك، يريد وقت السحر، لأنه يقال للديك، هذا دجاجة، فإن أردت الأنثى قلت: هذه، وكذلك هذا بقرة، وهذا بطة، وهذا حمامه، إذا أردت الذكر[٤] .

٥- **ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس ت ٢٩١هـ.**

ينقل عنه عند تفسير (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها)[البقرة/٣٠] ما نصه، وقال أحمد بن يحيى ثعلب: رأت الملائكة وعلمت ما كان من إفساد الجن، وسفكهم من الدماء في الأرض، فجاء قولهم (أتجعل فيها) الآية على جهة الاستفهام المحض، هل هذا الخليفة يا ربنا على طريقة من تقدم من الجن أم لا؟[٥] .

---

(١) المصدر نفسه (٢/٣٥٩).

(٢) المصدر نفسه (٤/٢٩١).

(٣) الهميان (٢/٨٨)، وانظر ٢/٣٣٩).

(٤) المبرد محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والادب، الطبعة الأولى، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ج١/١٣٨، وانظر ٢/١٢٠٩، ٣/١٤٧٧.

(٥) الهميان (١/٤٢٢).

٦- **أبو علي الفارسي، علي بن الحسن بن عبد الغفار ت ٣٧٧هـ.**

وعند نقله عن الفارسي، نادرا ما يشير إلى كتابه، وقد جاء ذلك مرة عند تفسيره قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) [البقرة/١٩٥]. يقول : والتهلكة والهلاك والهلك بمعنى، حكاه الفارسي في حلبياته عن أبي عبيدة.(١)

٧- **ابن سيده : ابو الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي ت ٤٥٨هـ وكتابه المخصص :**

نقل عنه تفسير (السلوى) بقوله: قال ابن سيده: السلوى طائر أبيض مثل السماني، واحدته سلواه، والسلوى: العسل. قال خالد بن زهير الهذلي:

وقاسمها بالله عهدا لأنتم ألذ من السلوى إذا ما نشورها.

قال الزجاج: أخطأ خالد، إنما السلوى طائر انتهى .

٨- **العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبدالله ت ٦١٦هـ وكتابه "إملاء ما من به الرحمن .**

عند تفسير قوله تعالى (وكذلك مكنا ليوسف) [يوسف/٢١]. يقول :

قال أبو البقاء : اللام زائدة من المفعول به،أو أصل والمفعول محذوف، أي مكنا الأمور ليوسف. (٢)

٩- **المرادي : الحسن بن قاسم بن عبدالله ت ٧٤٩هـ له كتاب شرح (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو)، و الجنى الداني في حروف المعاني) وغيرها.**

ينقل عنه دون ذكر اسم الكتاب، كما في قوله تعالى (أجعلتم سقاية الحاج) [التوبة/١٩]. يقول: السقاية مصدر كالوقاية، بمعنى السقي، وإنما لم تقلب الياء همزة مع أنها بعد ألف زائدة من الآخر، لأن التاء في هذه الكلمة ليست في نية الانفصال، ... كما قال أبو الفتح قال المرادي : فلو كانت هاء التأنيث غير عارضة امتنع الإبدال، نحو هداية وسقاية.. "(٣) .

---

(١) المصدر نفسه (٣/٨٠) و لم اجده في الحلبيات .

(٢) المصدر نفسه (٨/٢/١٥٧) وانظر العكبري ابو البقاء عبد الله بن الحسين، املاء ما من به الرحمن، تحقيق ابراهيم عطوه، دار الحديث القاهرة (٢/٥٥).

(٣) الهميان (٧/٢/٤٤).

١٠- الدماميني: محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي ت ٨٧٢هـ .

له شروح ثلاثة على مغنى اللبيب، ونقل عنه في مواضع عدة، منها عند تفسير قوله تعالى (**وإن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى**) [طه/١١٨]. قال الدماميني وشارع الجامع: لا يوقعون أن وصلتها بعد إن إلا مفصولة بالخبر، نحو (**إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها**) ولا يوقعون الحرف المصدري وصلته بعد لا غير المكرره انتهى[١] .

ومن كتبه التي أحال عليها :

١- شرح لامية الافعال.[٢]

٢- شرحه على شرح عصام الدين.[٣]

٣- حاشيته على شذور الذهب لابن هشام.[٤]

٤- حاشيته على المرادي.[٥]

---

(١) المصدر نفسه (١١٤/٢/١٠).

(٢) المصدر نفسه ٧٤/٢/١٠، ٣١/١/١٢.

(٣) المصدر نفسه ٣٩٧/١، ٦٨/٢/١٠.

(٤) المصدر نفسه ٣٦-/١/١٢، ٣٦-/١٥

(٥) المصدر نفسه ٢٦٦/١/٨.

المبحث الثامن

مصادره الفقهية

يعد الشيخ إماما من أئمة المذهب الإباضى، وفقيها موسوعيا متضلعا في ا لفقه المقارن، اطلع على كثير من المراجع في مختلف المذاهب، ونقل عنها في تفسيره، وقد إعتاد هنا ان يذكر اسم الكتاب دون مؤلفه، هذا بالنسبة إلى المراجع الإباضية، أما أقوال بقية المذاهب فإن الشيخ رحمه الله ينسب القول إلى قائله دون أن يعرج على المرجع الذي أخذ منه فمثلا عند تفسير قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)[المائدة/٥] قال: ولم تستثن الآية نصارى العرب، فذبائحهم قبحهم الله حلال، سئل ابن عباس عنها فقال، حلال، وقرأ: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)[المائدة/٥١]. وبه قال الحسن، وعطاء بن ابي رباح، والشافعي، وعكرمه، وقتاده، والزهري، وحماد، وأبو حنيفه، ومالك، وأحمد في رواية عنه.(١)

وعند تفسير قوله تعالى (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) [الانفال/٧٣].

يذكر الشيخ مسألة هل يرث الكافر المسلم فيقول بعد بيان معنى الآية:

وأما الكافر فلا يرث المسلم إجماعا، ولو بالولاء هذا ما عليه الجمهور، وابو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي -رضي الله عنهم-، وعليه مالك، وأبو حنيفة، وأحمد، والشافعي... والكفر بأنواعه ملة واحده، فيتوارثون عند الشافعي، وأبي حنيفة لأن أعظم الأمور يجمعهم وهو الشرك فاختلافهم كاختلاف المذاهب في الاسلام... وقال مالك، وأحمد، اليهود ملة، والنصارى ملة، ومن عداهم ملة ..."(٢)

هذا هو منهج الشيخ في ذكره لمذاهب الفقهاء، أما الكتب التي أشار اليها منها :

١- **كتاب السؤالات لابي عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي من علماء القرن السادس**(٣) .

---

(١) الهميان (٥/٣٢٣) .

(٢) المصدر نفسه (٧/١/٢٨٦-٢٨٨)، وانظر للمزيد (٥/٣٣٤، ٤٣٧، ...)، ٧/٢/٧٠، ٨/٢/٣٠٣.

(٣) انظر مبارك الراشدي، ضمن بحوث ندوة الفقه الاسلامي المنعقدة في عمان، شعبان ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى، وزارة العدل . والاوقاف والشئون الاسلامية/ سلطنة عمان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٠٢.

نقل الشيخ عنه كثيرا وأشار إلى مؤلفه مرة واحدة عند تفسير قوله تعالى (**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**) [النساء / ١٥٩].

قال: وفي السؤالات، عن أبي عمرو عثمان بن خليفة -رحمه الله- ما نصه قوله تعالى: (**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بـه قبـل موتـه**)[النسـاء/١٥٩]، الهـاء عـائدة إلـى عيسى عليه السلام، حتى يؤمن به من كفر من بني اسرائيل...[١] .

ومن المسائل الفقهية التي نقلها عنه، حكم من أكل الميته أو الدم، فعند تفسير قولـه تعالى (**قل لا أجد فيمـا أوحـي إلي محرمـا علـى طـاعم بطعمـه إلا أن يكـون ميتـة أو دمـا مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس**)[الانعام/١٤٥] صحح الشيخ القول بأن الضمير (فإنـه) عائد إلى مجموع الخنزير، من شحم، ولحم، وجلد، وشعر، وعظم، وعصب، ثم نقل عن السؤالات قوله : وفي السؤالات : وإن أكل الدم وهو جامد، أو الميتـة، وهـي ممـدودة، أو ميتة الخنزير فقد هلك... "[٢] .

٢- **كتاب الديوان**[٣]

وهناك كتابان بهذا الاسم وكلاهما مخطوط:

الأول : ديوان مشايخ جربة المعروف بديوان الغار، حيث ألفه سبعة من الأشياخ في غـار مجماج، وكان في اثني عشر جزءا.

والثاني: ديوان الأشياخ المعروف بديوان العزابة، وهو أربعة وعشرون جزءا، كما يقـول البرادى، ويقال إن خمسة وعشرون، وقال البرادى إنه المعتمد عندهم في جربه فـي زمانه، ولعله الذي نقل عنه الشيخ ومثال نقله عنه :

عند تفسير قوله تعالى (**فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا**) [البقـرة/٢٨٢] يقول في تفسير السفيه: ناقص العقل، غير رشيد، مستحقا للحجر عليه لتبذيره، كما فسره به أصحابنا، وهو أول القولين في الديوان.[٤]

---

(١) الهميان (٥/٢٤٩).

(٢) المصدر نفسه (٦/١/٣٠٤) وللمزيد انظر ٥/١٢٦٠، ٣٠١، ٤٦٤، ٤٧٣، ٦٠٥، ٦/١/٢٢٣، ٧/١/٧٨.

(٣) الراشدي انظر ندوة الفقه الاسلامي، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٤) الهميان (٣/٤٤٧) وانظر (٢/١١٣)، (٦/٢/٥٩).

٣- **الايضاح للشيخ عامر بن علي الشماخي**- من علماء جبل نفوسة في ليبيا عاش في القرن الثامن الهجري طبع عدة مرات آخرها طبعة وزارة التراث القومي بعمان في ٨ مجلدات.

عند تفسير قوله تعالى (**إن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين**) [البقرة/١٨٠].

يقول: قال في الايضاح: وفي الاثر: وقد اتفق علماونا- رحمهم الله- أن من قال قد أوصيت لقرابتي أنها وصية صحيحة، وإذا قال للأقربين فعند بعض انها ضعيفة،.. والآية أوجبت الوصية للأقربين، فيتعمد الموصي اللفظ الذي هو أقرب في امتثال الآية. قال في الايضاح: ولما بين الله عز وجل في سورة النساء ميراث الوالدين كانت وصيتهما منسوخة، وثبتت وصية الأقربين على حالها..."[١] .

٤- **قواعد الاسلام للشيخ اسماعيل بن طاهر الجيطالي عاش في القرن الثامن الهجري.**

والكتاب مطبوع في مجلدين بتحقيق بكلي عبد الرحمن، فعند تفسير قوله تعالى (**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط السود من الفجر**)[البقرة/١٨٧].

ينقل عن ابن عباس، ان الفجر المقصود الذي يحرم الأكل والشرب، هو المستطير يقول: "والصحيح عن ابن عباس ما رواه الشيخ اسماعيل -رحمه الله- في القواعد عنه أنه قال: الفجر هو المستطير[٢] .

٥- **كتاب التاج للشيخ عبد العزيز بن عبدالله الثميني الملقب بضياء الدين، صاحب كتاب النيل ت ١٢٢٣هـ.**

ومما أخذه عنه حكم النظر إلى المتبرجه عند تفسير قوله تعالى (**والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة**) [النور/٦٠]. يقول: وفي التاج: القواعد اللاتي لا يُرِدن ولا يُرَدن، ولا تضع مع ذلك جلبابها عند من يتهم بريبة، ومن تعمد النظر إلى المتبرجة أبدل وضوءه..."[٣] .

---

(١) الهميان (٢/٤٩٧). وانظر الشماخي: عامر بن علي، الايضاح، وزارة التراث القومي / سلطنة عمان، (٨/١٤٦، ١٥٣) وانظر للمزيد الهميان ٢/٤١٩، ٥/٤١٠.

(٢) الهميان (٣/٥٤). وانظر للمزيد (٢/٣٩٣، ٤١٩، ٤٢٠).

(٣) الهميان (١١/٣٥٦) وانظر ٧/١/٧٨.

المبحث التاسع

مصادره في العقيدة

لم يذكر لنا الشيخ مصادره التي رجع إليها في العقيدة، وإنما أشار إلى كتابين:

الأول: الدليل والبرهان للعلامة أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني أشار إليه مرة واحدة[١] والكتاب مطبوع في مجلدين.

الثاني: الموجز لابي عمار عبد الكافي.

وذكر اسم المؤلف دون الكتاب[٢] ، وهو مطبوع من مجلدين بتحقيق د. عمار الطالبي.

ولم أجد من الأمثلة ما يصلح للنقل فآثرت الإحالة عليها.

المبحث العاشر

مصادره في السيرة

اعتمد الشيخ مصدرين في مجال السيرة

الأول: سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر محمد بن اسحق ت ١٥٠هـ [٣] .

الثاني: مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي عبدالله بن عمر الواقدي ت٢٠٧هـ[٤]

ونظرا لطول الأمثلة أكتفى بالاحالة عليها.

تعقيب :

رأينا فيما سبق، أن الشيخ رحمه الله -قد تاثر بكثير من أعلام المفسرين، فكان تأثره في المأثور بالإمام الطبري، أما في التفسير بالرأي، فقد كان تأثره بالمفسرين في ضوء تقدمهم في فنونهم، ففي النحو مثلا كان تأثره بأبي حيان والزمخشري يبدو واضحا، هذا بجانب اعتماده على كتب ابن هشام الانصاري، وفي البلاغة، تأثر الشيخ -رحمه الله- بالزمخشري، كما تأثر أيضا بالسعد التفتازاني، في حاشيته على الكشاف، وقد نالت، كتب المعاني حظا وافرا من تفسيره، كمجاز القرآن لأبي عبيدة، والمعاني للفراء والاخفش والزجاج، ونقل كثيرا عن أحكام ابن العربي.

---

(١) الهميان (١٠/١/١٧٩).

(٢) المصدر نفسه (١/٣٨٩)، (٥/٢٧٤).

(٣) المصدر نفسه ٣/١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ٤/١٢٧، ١٩٣، ١٩٦، ٦/١/١٣٧، ١٤٩، ٢٤٤.

(٤) المصدر نفسه ٥/٣٤٨/ ٣٩٥/ ٤٨٧، ٦/١/٥٩، ٧/٢/١١٥.

... إلا إنه من الملاحظ، أن
الزمخشري والبيضاوي،
التفسيرين؟

والذي
وراء ذلك، ولا شـ
وتفسيره الكشاف كـ
باطراء العلامة أبي حيار
أن يكون عمدة، أما تفسير
الشيخ رحمه الله- أس تفسيره
كان من باب التوافق بين المذهب
الزمخشري، في كثير من آرائه العقدي

وطريقته في الإفادة من المراجع،
مع ما ينقله، ورضاه عنه، وإما أن ينقل مع ته
بيان ما يراه صحيحا في الغالب، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، فإن الشيخ -رحمه الله- كـ
الذي نقل عنه، بالحذف والاختصار تارة، وبذكر معنى
وربما ينقل العبارة بنصها، كما وردت في المصدر، ولهذا في

١- ربما تكون هذه المراجع ليست كلها متوفرة لدى الشيخ، فينه
عن تلك المراجع، وتكون هذه الكتب قد تصرفت في العبارة الا

٢- يحتمل أن الشيخ -رحمه الله- قد قرأ العبارة من مصدرها الأصلي
مطالعاته- ، قد غاب عنه نص العبارة، فينقل ما علق بذهنه من معناه

٣- أما الاحتمال الثالث - والذي أرجحه - أن ما يهم الشيخ رحمه الله هو
ورغبة في الاختصار، ينقل معنى العبارة لا نصها، ولكن ينبغي أن يشير إلى
ليعرف القارئ أن هناك تصرفا في العبارة.

وهو في كل ذلك قد يذكر المصدر الذي يأخذ عنه ومؤلفه، وقد يكتفي بذكر المؤلف، وربما يذكر الكتاب دون اسم مؤلفه، وفي الحالتين الأخيرتين يكون العثور على

---

(١) البحر المحيط ١/١١٢ .

المصدر أمرا بالغ الصعوبة خاصة إذا كان للمؤلف أكثر من مشابها لآخر في اسمه، وربما اسم مؤلفه.

وبهذا نكون قد ذكرنا أهم المصادر التي وردت في الافادة منها، ننتقل بعدها إلى القسم الثاني وهو المنهج العام لهذا ا

ثانيا : المنهج العام في تفسير الهميان.

لم يلزم الشيخ نفسه بطريقة محددة كالتي عند الإمام الطبري في تفسيره. سار عليها الطبرسي في مجمع البيان، ولم يفصل منهجه في مقدمة كتابه، كما هو ع بعض المفسرين كأبي حيان، إلا ما ذكره في المقدمة "من أنه يعتمد فيه على الله سبحانه وتعالى، ثم على ما يظهر لفكره بعد إفراغ وسعه، ولا يقلد فيه أحدا، إلا إذا حكى قولا، أو قراءة، أو حديثا، أو قصة، أو أثرا لسلف، وأما نفس الآي والرد على بعض المفسرين والجواب فمنه، إلا ما تراه منسوبا، وكان ينظر بفكره في الآية أولا، ثم تارة يوافق نظر جار الله والقاضي، وهو الغالب والحمدلله وتارة يخالفهما، ويوافق وجها أحسن مما أثبتاه أو مثله.."[1] .

وقد أخذ أحد الباحثين[2] على الشيخ قوله هذا فقال :

"ومما أحب أن الفت النظر إليه، وأقف عنده، ولا أوافق الشيخ عليه، ادعاؤه أنه لا يقلد فيه أحدا، ولم يستعن فيه بتفسير، وانه يعتمد فيه بعد الله -سبحانه- على فكره، ولتوضيح هذه المسألة: اقول - والكلام للباحث مما لا شك فيه أن جميع المفسرين خاصة المتأخرين قد أفادوا من كتب وتفاسير المتقدمين ونقلوا عنهم" .

وأحسب أن الباحث لم يطلع على الهيمان، وإنما نقل كلامه هذا من كلام الدكتور الذهبي في التفسير والمفسرون "دون أن يشير إليه، ومن المعلوم أن أحكام الدكتور الذهبي في كتابه هذا جاءت عامة، وتعوزها الدقة، ليس في حديثه عن الهميان فحسب بل عن تفاسير أخرى.

وللتعقيب على هذا أقول : إنه جرت العادة أن يأخذ اللاحق عن السابق، وينقل العالم عمن قبله مستشهدا ومؤيدا أو مختصرا أو شارحا أو معقبا ناقدا، ... ولا أخال أن هذا يسمى تقليدا، وإلا كان كل من تأخر يسمى مقلدا.

---

(١) مقدمة الهميان ١/٥ .

(٢) الخواجا محمد مصطفى، منهج الشيخ اطفيش في تيسير التفسير، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٤، ص٦٩.

وهذا ما حصل فعلا عند الإمام القطب -رحمه الله- وعبارته واضحة لا لبس فيها يقول "... ثم على ما يظهر لفكره.. إلا اذا حكى قولا ... وإما نفس تفسير الآي ... فمنه إلا ما تراه منسوبا ... الخ". هذه هي عبارة الشيخ فما أدري من أين جاء الباحث بقوله، "ولم يستعن فيه بتفسير"[١] .

وحتى لا أكون مجحفا بحق أحد، أو متعصبا للشيخ رحمه الله فقد تتبعت الهميان بجميع أجزائه فوجدت الشيخ ينظر في تفسير الآية، ثم يجد أنه قد سبق إليه، فيسجل ذلك بكل أمانة وموضوعية، بل ويسر أيما سرور إذا وافق قوله قول أحد العلماء، يقول -رحمه الله- "وهكذا جل ألفاظ التفسير الراجعة إلى تحقيق المعنى، وإلى علم المعقول، والاستدلال تكون موافقة للعلماء المحققين المنتسبين إلى ذلك دون نظر في كلامهم، وأنا من ذلك لعلى منة عظيمة وشكر واجب".[٢]

وعليه فإننا نستطيع القول أن الشيخ ينظر في الآية بفكره، ويفرغ فيها وسعه، ثم يعود الى كتب التفسير ليتأكد مما كتب، وهي طريقة حسنة خاصة وأن هذا التفسير هو أول تفاسيره، بل ربما كان باكورة تأليفه.

أما منهجه العام فيشتمل على :

١- مقدمة للسورة .

٢- التفسير التحليلي للسورة.

أولا: مقدمة السورة :

يبدء في تفسير كل سورة بمقدمة، يذكر فيها أسماء السورة، والمكي والمدني منها، وعدد آياتها وكلماتها، وحروفها، ثم يذكر حديثا أو أكثر في فضلها إن وجد، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

يقول الشيخ في مقدمة سورة الملك :

"قال ابن مسعود هذا هو اسمها في التوراة، وتسمى المانعة، لأنها تمنع من عذاب القبر قال : كنا نسميها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المانعة[٣] ، وفي الحديث

---

(١) الهميان (٥/١).

(٢) الهميان (٣٣٧/٤) وانظر للمزيد ١٧/٥، ٤٦، ٢١٦، ١٢٥/١/٦، ٢٣٥، ٣٩، ١٠/١/٧، ٣٥، ٤٤، ٩٤، ١١٥، ١٨٥ ٢٢٢/٢/٧، ٨٣/١/٨

(٣) هذا هو الثابت عن ابن مسعود اما اسمها في التوراة وكونها مكتوبة فيها فلم أجده فيما بين يدي من التفاسير الا ما ذكره الطبرسي عن ابي جعفر قال "هي مكتوبة في التوراة سورة الملك"، انظر الطبرسي مجمع البيان، ج٦، (٥/ ص ٣). وهذا مما لا يلتفت اليه فلا يمكن بحال ان تكون سورة من القرآن مكتوبة في التوراة فالقرآن لم ينزل الا على رسولنا عليه السلام وبلسان عربي مبين.

عن ابن عباس، وأنس (أنها المنجية تنجي من عذاب القبر). وتسمى المجادلة، لأنها تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتسمى الواقية، والناعشة تنعش قارئها؛ أي ترفعه. وهي مكية قيل باجماع، وعن ابن عباس: انها مكية الا ثلاث آيات، وذكر السيوطي أن بعضا قال أنها مدنية وهو قول غريب، وآيها ثلاثون، وكلمها ثلاثمائة وثلاثون، وحروفها الف وثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي الحديث "من القرآن سورة، ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي تبارك الذي بيده الملك"(١) .

ثانيا : تفسير السورة

أولا: ينتهج الشيخ نهج التفسير التحليلي كما هو شأن غيره من المفسرين فيتناول السورة آية آية، يأخذ كل لفظة منها أو كل جملة، فيذكر ما فيها من معان لغوية، ووجوه إعرابية، وصرفية، وما فيها من صور بيانية، وربما استغرق ذلك عنده صفحات عدة.

ثانيا : يستشهد الشيخ كثيرا بالأحاديث النبوية صحيحة كانت أو غير صحيحة، فيما يتعلق بتفسير الآية، أو ما يوضح معناها وسبب نزولها، وإذا كانت من آيات الفضائل أفاض الشيخ في ذكر الأحاديث المتعلقة بذلك.

ثالثا: إذا كان للآية نظائر في سور أخرى ذكرها، ثم يربط بينها ما أمكن، كما سيأتي بيانه.

رابعا: يجتهد الشيخ أن يفسر الآيات بما هو مأثور عن الصحابة والتابعين، ما وجد إلى ذلك سبيلا، يجمع بذلك بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

خامسا: يذكر ما للآيات من أسباب نزول مستوعبا ما قيل فيها، ودون تمحيص في الغالب.

سادسا: يحاول الشيخ ان يستقصي ما ورد في الآية من قراءات صحيحة أو شاذه مع نسبة القراءة إلى صاحبها في أكثر الأحيان.

سابعا: إذا كانت الآية من آيات العقيدة، أو الاحكام، أو السير، فإن الشيخ يعرض لها، مستعرضا الأقوال ومناقشا ومرجحا.

ثامنا: يتوقف الشيخ طويلا عند آيات القصص فيسردها سردا كسرد القصاص، حتى ولو لم يكن عليها شبهة دليل، معتمدا في ذلك على كتاب عرائس المجالس للثعلبي.

---

(١) الهميان ٣٢٢/١٤ والحديث أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، (٤٦) كتاب فضائل القرآن، (٩) باب ما جاء في فضل سورة الملك، رقم ٢٨٩١ عن أبي هريرة ، ١٦٤/٥

تاسعا: يجيب الشيخ عن بعض الاشكالات التي قد تعترض تفسير الآية وما يتصل بها مستخدما في ذلك اسلوب الحوار (فإن قلت) ... (قلت) متأثرا بالزمخشري.

وهو في كل ذلك لا يلتزم طريقة واحدة فيقدم ويؤخر حسب طبيعة الآية والسياق الذي وردت فيه.

أما طريقته في عرض الأقوال فتتلخص فيما يلي :

١- يستعرض الأقوال في تفسير الآية دون مناقشة أو تعقيب[١] .

٢- يستعرض الأقوال مع الاشارة إلى الصحيح منها أو الضعيف[٢] .

٣- يستعرض الأقوال مع المناقشة والتعقيب ولكن دون أن يستقل برأي[٣] .

٤- يستعرض الأقوال مع المناقشة والتعقيب ثم الخروج برأي مستقل[٤] .

---

(١) انظر الهميان (١٠/١/١٢٧)، (١٢/١/٦٤)، (١٢/٢/٣٠٠)، ١٤/٣٨٩، ١٥/٤٥٣.

(٢) المصدر نفسه (٥/٣٩١، ٣٩٣)، ١٠/١/١٤٧، ١٢/١/٦٠

(٣) المصدر نفسه (٤/٨٤) (٩/٢/١٣٥).

(٤) المصدر نفسه (٤/٩٠).

خاتمة : مقارنة بالتيسير

نلحظ عند الحديث عن المصادر أن الشيخ جمع مادة كتابه الأول من مراجع كثيرة متنوعة الفنون في التفسير واللغة، وعلوم القرآن. وفي السيرة والتاريخ مع نسبة كل قول الى مصدره في الغالب مما جعل تفسيره الهميان مليء بنقول ربما كان التفسير في غنى عنها. ولعل الشيخ قد أحس بهذا فجاء تفسيره التيسير خاليا من هذه النقول أو كاد، فلو قلبت صفحاته فإنك لا تعثر على اسم مصدر إلا قليلا إلا أنك لو دققت النظر في بعض الأقوال ثم قارنتها بما ورد في الهميان لوجدت ان الشيخ قد نقل هذه الأقوال ولكن دون أن ينسبها لأصحابها كما فعل الهميان.

والأمثلة على ذلك كثيرة : منها عند تفسير قوله تعالى **(قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها)** [الانعام/٣١] ينقل في الهميان أقوالا للحسن والطبري بينما ينقلها في التيسير بلفظ قيل دون ذكر اسم المصدر[١] .

ويفعل مثل ذلك عند تفسير **(فلما رأى أيديهم لا تصل إليهم، نكرهم وأوجس منهم خيفة)** [هود/٧٠]. يذكر قولا ينسبه للطبري بينما ينقله دون نسبة في التيسير[٢].

وعند تفسير قوله تعالى **(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال)**[الرعد/٣١] يذكر في الهميان قولا للفراء في اعراب الآية كما يذكره في التيسير دون أن ينسبه[٣] . وعند تفسير قوله تعالى **(وأفئدتهم هواء)**[ابراهيم/٤٣] ينقل في الهميان ما قيل في الآية من أقوال مأثورة مع نسبة كل قول لقائله، وان رجعت إلى التيسير وجدت هذه الأقوال دون نسبة.

وقد ينقل معنى العبارة وملخصها دون نصها كما عند تفسير **(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف)**[التوبة/٨٧] فينقل ما قيل في تفسير خوالف عن أبي جعفر النحاس والنضر بن شميل ثم يلخص هذه الاقوال في التيسير[٤] ومما يجدر ذكره أن الشيخ اعتمد في تفسيره الهميان على تفسيري الزمخشري والبيضاوي بشكل خاص وكان عمدته في النحو ابن مالك وابن هشام اما في التيسير فقد اعتمد الشيخ بشكل خاص على روح المعاني للالوسي[٥] أما في الاعراب فكان عمدته البحر المحيط لأبي حيان يدرك ذلك من تتبع كتابي الشيخ ثم قارنهما بما ذكرته وذلك من الكثرة بما لا يحتاج الى تمثيل.

---

(١) انظر الهميان (٦٧/١/٦) والتيسير (٢٧٦/٣).

(٢) انظر الهميان (٢٣٧/١/٨) والتيسير (٤٦٦/٥).

(٣) انظر الهميان (٣٥٥/٢/٨) والتيسير (٢٩١/٦).

(٤) انظر الهميان (٢١٩/٢/٧) والتيسير (١٢٠/٥).

(٥) انظر التيسير (١١٦/٧) ما بعدها، وروح المعاني (١٤/١٥) وما بعدها.

الفصل الثاني
منهجه في التفسير بالمأثور

- تمهيد.
- تفسير القرآن بالقرآن.
- تفسير القرآن بالسنه.
- التفسير بأقوال الصحابة والتابعين.
- خاتمة

الفصل الثاني
منهج الشيخ في التفسير بالمأثور

تمهيد:

اصطلح العلماء على أن التفسير بالمأثور: هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وما نقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم[١] .

ويرى استاذنا الدكتور فضل عباس ان التفسير بالمأثور: هو ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ما في حكمه، وهو الصحيح في نظري، ذلك أن التفسير هو رأي لقائله ولو كان صحابيا ما لم يرفعه إلى النبي عليه السلام أو كان مما لا مجال للرأي فيه كأسباب النزول، فحكمه حكم المرفوع.

وإن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له، قال تعالى **(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)** [النحل/٤٤].

ويقول الرسول عليه السلام: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه". وإذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، وما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالائمة الأربعة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين، وعبدالله بن مسعود، وابن عباس وغيرهم[٢] .

فإن لم تجد رجعت إلى تفسير التابعين، كمجاهد، وجابر بن زيد، وسعيد بن جبير وغيرهم ممن ورثوا علم الصحابة واخذوا عنهم، حتى قال سفيان الثوري "إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به".

والشيخ اطفيش – رحمه الله – يعنى بالتفسير بالمأثور عناية فائقة، ويقدمه على التفسير بالرأي إذا صح عنده، وذلك واضح لمن تتبع تفسيره، وسنتحدث في هذا الفصل

---

(١) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، الطبعة الثانية، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٦/٧٦م (١/١٥٢).

(٢) ابن تيميه، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، ط/١ ، دار القرآن الكريم بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص٩٣-٩٥ بتصرف.

عن أصول التفسير بالمأثور، ونرى موقف الشيخ منها، وهي تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

أولا : تفسير القرآن بالقرآن

يعد التفسير بالقرآن أهم طرق التفسير بالمأثور، وأصحها حتى قيل : ما فسر القرآن مثل القرآن، ويبين الامام القطب رحمه الله أنه لا بد للناظر في كتاب الله أن يرد بعضه إلى بعض ليتبين المفسر من المفسر فيقول: "وإن عرضت لأحد شبهه، وظن اختلافا في شيء من كتاب الله، فالواجب أن يتهم نظره، ويسأل من هو أعلم منه، وما ذلك إلا لنقصان قوة البشر،... ، فما تخيل شيء من المنافاه إلا تحقق عدمها، بل بعضه يفسر بعضا، لأدلة تبين المفسر من المفسر"(١) وإذا جئنا إلى تفسير الشيخ نجد أنه قد طبق هذه القاعدة كما يلي :

١- تفصيل المجمل:

هناك من الآيات ما جاء مجملا ثم ورد تفصيله في آيات أخرى ومثاله قوله تعالى **(فتلقى آدم من ربه كلمات)** [البقرة/٣٧]. ينقل الشيخ عن ابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن بن علي ومجاهد وعكرمه: أن تلك الكلمات هي ما حكى الله سبحانه وتعالى عنه: **(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)**(٢) [الاعراف/٢٣]. وفي سورة المائدة عند تفسير قوله تعالى**(أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم)** [المائدة/١]. يقول : أي بعد هذا من هذه السورة الميتة، والدم، وما معهما، فانها محرمه(٣) .

يشير إلى قوله تعالى **(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به...)** الخ الآيه [المائدة/٣].

وعند تفسير قوله تعالى **(ويرسل عليكم حفظة)** [الانعام/٦١].

يقول: ملائكة يحفظون أعمالكم، وهم الكرام الكاتبون **(وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين)**(٤) [الانفطار/١٠-١١].

---

(١) الهميان (٥/٦٤).

(٢) المصدر نفسه (١/٤٨٤) وانظر التيسير (١/٥٩).

(٣) المصدر نفسه (٥/٢٩٠) وانظر التيسير (٣/٦).

(٤) الهميان (٦/١/١١٢).

ففي المثال الأول جاءت الكلمات مجمله، ثم ورد بيانها في الآية الأخرى وهي كلمات الاستغفار والتوبة، وجاء الأجمال في آية المائدة الأولى، ثم فصله بعد ذلك بقوله (حرمت عليكم الميتة) إلى آخر المحرمات، وفي المثال الأخير ذكر أن المقصود بالحفظة، هم الملائكة الكرام الكاتبون الذين ورد ذكرهم في سورة الانفطار. وهكذا فإن خير ما يفسر به كلام الله كلامه.

٢- **تخصيص العام :**

يذكر لنا الشيخ رحمه الله أمثلة على تخصيص العموم الوارد في كتاب الله منها عند تفسير قوله تعالى (**ولا تنكوا المشركات حتى يؤمن**) [البقرة/٢٢١]. يقول: "ولكن خصت من عموم المشركات في هذه الآية النساء الحرائر المحصنات الكتابيات لآية المائدة (**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب**) [المائدة/٥]. فهن حلال لمن يتزوجهن من المؤمنين، وهذا تخصيص من عموم، والعمل بالخاص لا ينسخ العموم..."[١] .

وعند تفسير قوله تعالى (**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا**) [البقرة/٢٣٤].

قال بعد أن ذكر حديث سبيعة الأسلمية بعد أن أفتاها الرسول -صلى الله عليه وسلم- بجواز التزوج بعد أن وضعت حملها، يقول الشيخ: "وعلى هذا فالآية عامة مخصوصة بقوله تعالى (**وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن**)[٢] [الطلاق/٤].

فالحامل المتوفى عنها زوجها تنقضي عدتها بوضع حملها -على الأصح- وهذا تخصيص من عموم العدة للمتوفى عنها زوجها، وهي غير حامل، والتي عدتها أربعة أشهر وعشرة أيام كما ورد في الآية.

٣- **التقييد والاطلاق :**

ذكر الشيخ أمثلة على المطلق والمقيد صرح في بعضها بهذا المصطلح، ولم يصرح به في أمثلة أخرى فمما صرح به :

عند تفسير قوله تعالى (**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها، وهم فيها لا يبخسون**) [هود/١٥] يقول : "وقد تقدم أن هذه الآية مقيدة بآية الاسراء (**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد**) [الاسراء/١٨] فليس كل من أراد

---

(١) المصدر نفسه (٣/٢٠١).

(٢) الهميان (٣/٢٦٥). ونص الحديث وتخريجه سيأتي في ص ٢٠١.

العاجلة أعطي، وأما المؤمن فيثاب على عمله في الدنيا والآخرة، أو يدخر له ثوابه كله إلى الآخرة[١] .

ومن الأمثلة التي لم يصرح فيها بهذا المصطلح، عند تفسير قوله تعالى في سورة المجادلة (**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا**) [المجادلة/٣] يقول : "والمراد الرقبة المؤمنة حملا على رقبة القتل..."[٢]

وأنت ترى أن الرقبة في الظهار مطلقة، جاء تقييدها في آية القتل، وهي قوله تعالى (**ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة..**) [النساء/٩٢].

٤- **تفسير الألفاظ القرآنية والاستدلال على معانيها بما ورد من تلك المعاني في آيات أخرى :**

مثال ذلك عند تفسير قوله تعالى(**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**) [البقرة/٨٩] يقول: "ومعنى يستفتحون: يستنصرون، قال الله جل وعلا (**فعسى الله أن يأتي بالفتح**) [المائدة/٥٢] أي بالنصر[٣] .

وعند تفسير قوله تعالى (**وما علمتم من الجوارح مكلبين**) [المائدة/٤] يقول: "والجوارح جمع جارحة، وهي ما يصاد به من السباع والطير،...، وسميت جارحة لأنها تكسب كقوله تعالى (**اجترحوا السيئات**) [الجاثية/٢١]. اي كسبوها، (**ويعلم ما جرحتم**) [الانعام/٦٠] أي كسبتم. أو لانه يجرح الصيد بمخلبه أو نابه ... [٤]

ففي المثال الأول، فسر الشيخ لفظ (يستفتحون) ثم ذكر ما يشابه هذا المعنى في آية أخرى، وكذلك في المثال الثاني.

٥- **يجمع الآية بنظائرها**

وإذا لم يكن للآية ما سبق من تفصيل، أو تقييد، أو تخصيص، فقد يكون لها نظائر وأشباه يزداد المعنى بها وضوحا، ويشبه هذا الصنيع التفسير الموضوعي من جهة جمع الآيات في موضوع واحد، كما صنع الشيخ عند تفسير قوله تعالى (**مالك يوم الدين**) [الفاتحة/٣] ثم سرد جميع الآيات التي ورد فيها ذكر هذا اليوم[٥] .

---

(١) الهميان (١٧٠/١/٨).

(٢) المصدر نفسه (١٦٣/١٤) وانظر (١٨٩/٤).

(٣) المصدر نفسه (١٦٧/٢).

(٤) الهميان (٣١٨/٥).

(٥) المصدر نفسه (١٤٣/١).

ومن الأمثلة على ذلك :

- عند تفسير قوله تعالى **(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار)** [البقرة/١٦٤] يقول في تفسير (واختلاف الليل والنهار) بالظلمة والنور، والذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان،... كقوله تعالى **(فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة)**[الاسراء/١٢] وقوله تبارك وتعالى**(وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا)** [الفرقان/٤٧] وقوله سبحانه وتعالى **(جعل الليل والنهار خلفة)**[الفرقان/٦٢] وقوله **(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)** [لقمان/٢٩].(١)

وربما تكون الآية موضحة ومقررة لآية أخرى كما في قوله تعالى **(ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات...)**[البقرة/١٧]. يقول الشيخ عند تفسيرها :

وهذه الآية مقررة وموضحة لقوله تعالى **(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)**(٢) [البقرة/١٦]. وكأن الشيخ يريد أن يقول ان الظلمات المذكورة في الآية الأولى، هي الضلالة التي ورد ذكرها في الآية الثانية، وأما النور الذي ورد في الأولى، فهو الهدى المذكور في الثانية.

٦- الجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض :

والجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض نمط من أنماط التفسير بالقرآن، والمثال عليه في كتاب الشيخ عند تفسير قوله تعالى :

(حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) [الأنعام/٦١]. يقول في تفسير **(توفته رسلنا)** ملك الموت وأعوانه، يقول : والآية دليل على أن قوله تعالى **(قل يتوفاكم ملك الموت)** [السجدة/١١] بمعنى يتوفاكم ملك الموت وأعوانه، أو تنزعها الملائكة حتى إذا وصلت الى الحلقوم أخذها ملك الموت، ومعنى قوله تعالى **(الله يتوفى الأنفس)** [الزمر/٤٢] انه خلق توفى الملائكة، أو أمرهم بتوفيها وقيل المراد بالرسل ملك الموت جمع تعظيما(٣) .

ولعله يبدو للقاريء أن هناك تعارض بين هذه الآيات، وهي في الحقيقة ليست كذلك، لأن المتوفي على الحقيقة هو رب العزة، وملك الموت هو المسئول عن هذه المهمة، وله من يعاونه من الملائكة، أو أن ملك الموت جنس لكل ملك يقوم بهذه المهمة.

---

(١) المصدر نفسه (٢/٤٣٢) وانظر ٠٤/١٧٩)، (٥/٥١٠).

(٢) الهميان (١/٢٨٩) وانظر (٥/٣٦٠).

(٣) المصدر نفسه (٦/١/١١٤).

وعند تفسير قوله تعالى (**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**) [آل عمران/٧] يقول في معرض تفسيرها :

ولا ينافي قوله (**وأخر متشابهات**) قوله (**كتاب أحكمت آياته**) [هود/٧] لأن معنى إحكام آياته في هذه الآية : صونها من فساد المعنى واللفظ، ولا يشكل أيضا قوله تعالى (**كتابا متشابها**)، لأن معناه: أن بعضه شبه بعض، من صحة المعنى، وبلاغه اللفظ[١]

القراءات التفسيرية :

٧- **ومن التفسير بالقرآن أيضا القراءات التفسيرية** التي ورد ذكرها في مصاحف الصحابة، كابن مسعود، وأبي، وغيرهم رضي الله عنهم، فقد ذكر الشيخ قراءة ابن مسعود التي جاء فيها تفسير الزخرف بالذهب في قوله تعالى (**أو يكون لك بيت من زخرف**) [الاسراء/٩٣] يقول في تفسيرها : مما يتزين به كالذهب، والجواهر، والياقوت، وقيل: المراد هنا الذهب، وهو قول ابن عباس، والمفسرين ... وقد قرأ بعض، أو يكون لك بيت من ذهب.[٢]

وعند تفسير قوله تعالى (**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**)[المائدة/٣٨]. ذكر في معرض تفسيرها قراءة لابن عباس فاقطعوا (ايمانها)[٣] ولا شك أن قراءة ابن عباس تفسير للأيدي المراد قطعها.

٨- **يستشهد بالاية على قضية عقدية.**

عند تفسير قوله تعالى (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**) [آل عمران/٨٥] يقول: والايمان غير الإسلام (**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**) فالايمان التصديق والاقرار، أو التصديق، والاسلام: العمل الصالح.[٤]

---

(١) الهميان (١٥/٤) وانظر (١٤١/٤).

(٢) المصدر نفسه (٣٤٠/٢/٩). قراءة ابن مسعود اخرجها الطبري بسنده عن مجاهد عنه ، جامع البيان (١٤٩/٨) ومثل هذه القراءة ان صحت نسبتها الى الصحابة كابن مسعود فيقصد بها تفسير اللفظ الوارد في القراءة الصحيحة المتواترة ولا يمكن بحال عدها قرآنا.

(٣) المصدر نفسه (٤٣٨/٥) وانظر (١٨/٣). هي قراءة ابن مسعود كما أخرجه الطبري وهي قراءة تفسيرية ايضا، جامع البيان ٥٦٩/٤.

(٤) الهميان (١٥٧/٤) وانظر (٣٧٦/١)، (٣٥٢/٤). يرى الشيخ انه يجوز أن يطلق الايمان الشرعي على التصديق فقط وعليه فيسمى الموحد مؤمنا، لكن ليس الايمان التام، ويجوز أن يقصد به، الاعتقاد، والاقرار، والعمل، يقول عند تفسير قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) " ... ثم خذ عني تحقيقا آخر، هو أن الايمان يجوز اطلاقه على مجرد التوحيد وهو التصديق، كما يطلق على ذلك مع الاقرار والعمل، وهو الايمان الكامل، لا يدخل أحد الجنة إلا به فيشتق منه مؤمن بمعنى موحد، ومؤمن بمعنى موحد مقر عامل، ولا نلتفت إلى غير ذلك مما تجده مسطرا، ولولا أنه لا يجوز لي كتمان علم ظهر لي لاجتماع شروط النظر ما فهت بذلك مما يخالف غيري، ١٢٨/١/٧.

المبحث الثاني

التفسير بالحديث

والأصل الثاني للتفسير بالمأثور هو التفسير بالحديث الشريف، ذلك أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم بيان وتفصيل لما جاء في كتاب الله، **(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)**، ولا يفهم من هذا أن الرسول عليه السلام قد فسر جميع القرآن، وإنما كان يبين لأصحابه -رضي الله عنهم- ما يشكل عليهم ثم ترك الباقي لعقولهم وأفهامهم، لأن تفسيره عليه السلام نص لا يجوز تجاوزه. واذا كان ذلك كذلك فإن القرآن بتفسيره كله من قبل الشارع سيفقد خاصة من أهم خصائصه وهي التفكر والتدبر في معانيه.

وإذا رجعنا إلى الامام القطب -رحمه الله- نجد أنه قد أولى هذا الجانب عناية فائقة، فمنهجه أن لا نظر مع الحديث إن صح[١] ، ولا يجوز العدول عنه[٢] ، ومع هذا تجد في كتابه الصحيح، والضعيف، بل والموضوع، فمن اعتماده على الصحيح.

عند تفسير قوله تعالى **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم)**[البقرة/٩٠] يقول روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم -عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[٣]

وعند تفسير قوله تعالى **(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق، فما الذين فضلوا برآدي رزقهم على ما ملكت أيمانهم)**[النحل/٧١].

يذكر حديث (إخوانكم حولكم جعلهم الله قنية تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه"

---

(١) الميان (٢٥٨/٢/٧).

(٢) المصدر نفسه (٢٥٦/١/٨).

(٣) المصدر نفسه (٧٠/٣) والحديث اخرجه البخاري في (٥٦) كتاب الجهاد (١٥) باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا حديث رقم ٢٨١٠ عن ابي موسى الاشعري قال "جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل لدى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال وذكره وفي (٣) كتاب العلم (٤٥) باب من سال وهو قائم علما جالسا، ٢٨٦/١ واخرجه مسلم، صحيح مسلم (٣٣) كتاب الامارة (٤٢) باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا حديث (١٩٠٤) عن ابي موسى الاشعري بلفظه (١٥١٢/٣).

رواه أحمد والبخاري ومسلم، وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابي ذر[١] وفي هذين المثالين كفاية وسيأتي على ذلك مزيد من الأمثلة.

والشيخ رحمه الله وان استشهد بجملة من الأحاديث الضعيفة، فإنما يستشهد بها في المناقب وفضائل الأعمال، يقول "والحديث الضعيف يعمل به في المناقب، كما يعمل به في الفضائل..." وطريقته في الاستشهاد بالحديث الضعيف كما يلي :

١- يستشهد بالضعيف دون اشارة الى ضعفه.

عند تفسيرقوله تعالى **(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات)** [آل عمران/١٠٥].

يقول: ولا يخفى أن النهي عن التفرقة والاختلاف والوعيد عليه، إنما هما في الأصول دون الفروع ثم يستشهد بحديث (اختلاف أمتي رحمة)[٢] .

والحديث ضعيف كما قال السخاوي في المقاصد، رواه البيهقي في المدخل بسند منقطع عن ابن عباس بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه.. واختلاف أصحابي لكم رحمة، ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي بلفظه وفيه ضعف وعزاه الزركشي، وابن حجر في اللآلئ لنصر المقدسي في الحجة مرفوعا من غير بيان لسنده أيضا بلفظ اختلاف اصحابي رحمة لأمتي وهو مرسل ضعيف[٣] ".

وعند تفسير قوله تعالى **(إن الله وملائكته يصلون على النبي)** [الأحزاب/٥٦] يورد حديثا عن أبي رافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني، وليصل علي، وليقل ذكر الله من ذكرني بخير)[٤] . والحديث رواه الطبراني، وابن السني، والخرائطي، وآخرون عن أبي رافع مرفوعا، وسنده ضعيف، بل قال العقيلي: لا أصل له، لكن قال الزرقاني كالمناوى: وتعقب بأن الحافظ الهيثمي قال: اسناد

---

(١) الهميان (٣٠٩/١/٩) والحديث اخرجه البخاري، صحيح البخاري(٢) كتاب الايمان (٢٢) باب المعاصي من أمر الجاهلية (٣٠) عن ابي ذر بلفظ "إني سابيت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت ايديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل ، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فان كلفتموهم فاعينوهم" (١٠٦/١).

(٢) الهميان (٢٠٦/٤).

(٣) العجلوني اسماعيل بن محمد، كشف الخفا ومزيل الالباس لما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (٦٤/١).

(٤) الهميان (١٤١/٢/١٢) وانظر الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ٩٥٨ عن ابي رافع. (٣٠١/١)

الطبراني في الكبير حسن وقد رواه ابن خزيمة في صحيحه عن ابي رافع وهو ممن التزم الصحيح، وشنعوا على ابن الجوزي في زعمه أنه موضوع[١] .

ويذكر ايضا حديث شراركم عزابكم والمتزوجون المطهرون من الخنا[٢] عند تفسير قوله تعالى (**وأنكحوا الأيامى منكم**) [النور/٣٢].

والحديث رواه أبو يعلى، والطبراني في الاوسط، من حديث أبي هريرة أنه قال لو لم يبق من أجلي إلا يوم واحد، لقيت الله بزوجة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، وذكره، وفي سنده خالد بن اسماعيل المخزومي، وهو متروك، ولهما أيضا من حديث عطية بن بسر المازني مرفوعا حديث (إن من سنتنا النكاح شراركم عزابكم) وفيه معاوية بن يحيى الصرفي وهو ضعيف)[٣] .

ثانيا : نقد السند

وقد يشر الشيخ رحمه الله إلى ضعف الحديث، وينقده من جهة السند قائلا: وإسناده ضعيف وفي سنده ضعف، دون أن يذكر وجه الضعف هذا، وربما ذكره كأن يقول: وفيه فلان، فمثال الأول عند تفسير قوله تعالى (**الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**)[البقرة/١٥٦]. يذكر حديثا رواه البيهقي، والترمذي، عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم (من عزى مصابا فله مثل أجره) ثم قال وإسناده ضعيف[٤] .

---

(١) العجلوني، كشف الخفا (١/١٠٣).

(٢) الهميان (١١/٢٨٧).

(٣) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الالسنة صححه عبدالله محمد الصديق، مكتبة الخانجي، مصر، ص ٢٥١. والحديث أخرجه ابو يعلى عن ابي هريرة برقم ٢٠٤٢، انظر ابو يعلى، مسند ط١/ حققه حسين اسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥، ٤/ ٣٨ والديلمي، فردوس الاخبار، الطبعة الأولى، حققه فواز الزمرلي ولآخر، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ/٩٨٧م، حديث رقم ٣٤٤٦، ج٢/ ص٥١٢.

(٤) الهميان (٢/٤١٤). والحديث اخرجه الترمذي – سنن الترمذي، (٨) كتاب الجنائز، (٧١) باب ما جاء في أجر من عزى مصابا عن الاسود عن عبدالله وذكره، .. قال ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعلمه الا من حديث علي بن عاصم (٣/٣٧٦)، واخرجه ابن ماجه في (٥) كتاب الجنائز، (٥٦) باب ما جاء في ثواب من عزى مصابا حديث رقم ١٦٠٢، والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات بثلاث طرق، وقال: هذا حديث لا يصح، فأما حديث ابن مسعود ففي طريقه حماد بن الوليد، وقد تفرد به عن الثوري، قال ابن حبان: كان يسرق الحديث ويلزق بالثقاة ما ليس من حديثهم، لا يحتج به بحال، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، اما طريقه الثاني ففيه نصر بن حماد، وقد تفرد به عن شعبه قال يحيى بن معين : هو كذاب، وقال مسلم بن الحجاج: هو ذاهب الحديث، وقال النسائي ليس بثقة أما طريقه الثالث ففيه علي بن عاصم وقد تفرد به محمد بن سوقه، وقد كذبه شعبه، ويزيد بن هارون، ويحيى بن سعيد، أما حديث جابر ففيه محمد بن عبيد الله وهو العزرمي، قال يحيى : لا يكتب حديثه، وقال النسائي: متروك الحديث" اهـ. ابن الجوزي الموضوعات (٢/٣٩٩).

وعند تفسير قوله تعالى (**ولله على الناس حج البيت من استطاع إلي سبيلا**)[آل عمران/٩٧]. يستشهد الشيخ بالحديث المروي عن علي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله فلم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا...)[١] . يقول وهو قوي بآخر، ولو كان في سنده ضعف.

ومن الثاني حديث جابر، عند تفسير قوله تعالى (**وأتموا الحج والعمرة لله**)[البقرة/١٩٦] قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمره أواجبة؟ قال لا قال الشيخ ضعفوا حديث جابر بأن فيه حجاج بن ارطاه[٢].

وعند تفسير قوله تعالى (**ومن الليل فتهجد به نافلة لك**) [الاسراء/٧٩] يقول :

روى محمد بن نصر من حديث جابر بن عبدالله أن نسخ قيام الليل كان حين توجهوا مع أبي عبيدة بن الجراح في جيش القبط قول وفي اسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف[٣] .

الحديث الموضوع :

أورد الشيخ في كتابه عددا من الأحاديث الموضوعة، ذلك أنه -رحمه الله- كان ينقل عن العلماء والمفسرين، دون تمحيص، وهذا الذي أوقعه فيما وقع فيه، وأكثر

---

(١) الهميان (١٨٣/٤)، والحديث أخرجه الترمذي، سنن الترمذي (٧) كتاب الحج، (٣) باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج، حديث رقم ٨١٢ عن علي .. قال ابو عيسى: هذا حديث غريب لا نعلمه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال، وهلال بن عبدالله مجهول، والحارث يضعف في الحديث. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات بسند فيه هلال بن عبدالله، والحارث الأعور، ثم قال: أما حديث علي فقال الترمذي: هلال بن عبدالله مجهول، أما الحارث فقد كذبه الشعبي وغيره وذكر طريقين آخرين كلاهما ضعيف. وقال ابن حجر في ترجمة هلال بن عبدالله الباهلي مولاهم، روى عن ابي اسحاق السبيعي عن الحارث عن علي "من ملك زادا وراحله.. الحديث" قال البخاري : منكر الحديث، وقال الترمذي مجهول وقال ابن عدي: معروف بهذا الحديث وليس هو بمحفوظ، وقال الحاكم: أبو أحمد ليس بالقوى عندهم قلت [ابي ابن حجر] : ويروى هذا باسناد أصلح من هذا موقوف على علي، وله إسناد أصح منه عن عمر موقوف ايضا. انظر العسقلاني، ابن حجر ، تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ، (٧١/١١).

(٢) قال ابن حجر في ترجمته "عن ابي زراعة أنه صدوق يدلس، وقال ابو حاتم صدوق يدلس على الضعفاء يكتب حديثه"... وقال النسائي ليس بالقوي، وقال يعقوب بن ابي شيبه واهي الحديث في حديثه اضطراب كثير" تهذيب التهذيب (١٨٢/٢). الحديث أخرجه الترمذي، (٧) كتاب الحج، باب ما جاء في العمرة أواجبة هي، وأخرجه الامام أحمد في المسند ٣١٦/٣ وتكملة الحديث "وان تعتمروا فهو أفضل".

(٣) قال ابن حجر في ترجمته (علي بن زيد بن عبدالله ابي مليكه زهير عبد بن عبد الله بن جدعان قال ابن سعد: كان كثير الحديث وفيه ضعف، ولا يحتج به، وقال صالح بن أحمد عن ابيه: ليس بالقوي، وقال معاوية بن صالح عن يحيى: ضعيف، وقال عثمان الدرامي عن يحيى: ليس بذاك القوي، وقال الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف... وقال ابو زرعه: ليس بالقوي، وقال ابو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه، ولا يحتج به وقال النسائي: ضعيف انظر تهذيب التهذيب (٢٨٤/٧) بتصرف.

الأحاديث التي أوردها في فضائل السور موضوعة، نقلها عن الواحدي، والزمخشري، وغيرهما، وقول الشيخ "إنما أذكر فضائل السور في أوائلها ليرغب الطالب القاريء في تفسيرنا هذا في درسها، وحفظها، وتكرار قراءتها، رجاء لنيل ثوابها، هذا مقصدي"(١) لا يكفي عذرا، وإن كان هدفه ساميا، فالغاية لا تبرر الوسيلة، وكان الأولى به أن يتجنب الضعيف، فكيف الموضوع، وقد أحس الشيخ بخطورة القضية، فكان أكثر تمحيصا للآثار المروية في تفسيره التيسير بل حاول أن يجرده من الأحاديث الموضوعة، وقد فعل أو كاد، يقول أحد الباحثين في تيسير التفسير: "إن الشيخ كان شديد الحرص في اغلب الأحيان على تخريج الاحاديث ونقدها دون اعتمادها كنصوص تفسيرية مسلمه، وهذا بالنسبة لتفسيره تيسير التفسير خاصة لانه لم يكن يسلك نفس هذا المنهج في تفسيره السابق هميان الزاد، وربما كانت درايته بعلم الحديث حين تأليفه الهميان غير كافية لبلوغ ذلك"(٢) .

وهو إذ يورد هذه الاحاديث، لا يشير إلى انها موضوعة، فمثلا حديث (من عرف نفسه عرف ربه) ذكره في تفسير الفاتحة، ولم يشر إليه، والحديث كما قال ابن تيمية: موضوع، وقال النووي ليس بثابت، وقال أبو المظفر السمعاني، إنه لا يعرف مرفوعا وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي، يعني من قوله، وقال ابن الفرس: بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت قال: لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث(٣).

وعند تفسير **(وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا)** [البقرة/١٦٨] ذكر حديث المؤمن حلو يحب الحلاوة ، وهو حديث موضوع كما قال الصغاني(٤) .

كذلك فان الشيخ رحمه الله ينقل أحاديث فضائل السور، سورة سورة وهي أحاديث موضوعة، قال الزركشي: "أما حديث ابي بن كعب -رضي الله عنه- في فضيلة سوره سورة سورة فحديث موضوع، قال ابن الصلاح: "ولقد أخطأ الواحدي، ومن ذكره من المفسرين، في إيداعه تفاسيرهم، وذكر الزركشي أن واضعها نوح بن ابي مريم لما رأى الناس أعرضوا عن القرآن"(٥)

---

(١) الهميان (١٧/١).

(٢) بوترندين، يحيى صالح، الشيخ اطفيش ومذهبه في التفسير، ص ٢١٩.

(٣) العجلوني، كشف الخفا (٢٦٢/٢)، علي القارئ، المصنوع في معرفة الموضوع، الطبعة الخامسة، حققه عبد الفتاح ابو غده، مكتب المطبوعات الاسلامية- حلب،/ ١٤١/١٩٨٤، ص ١٨٩.

(٤) المصدر نفسه (٥٦٠/٥)، وانظر العجلوني، كشف الخفا (٢٩٣/٢).

(٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٥٧/٢).

ومن أمثلة ما ذكره الشيخ في فضائل السور:

ما جاء في فضل سورة يس وسورة الدخان، يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورله، ومن قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له)[1] .

قال ابن الجوزي في الموضوعات: "هذا الحديث من جميع طرقه باطل لا أصل له[2].

وربما أشار إلى أنه ضعيف، أو منكر، كما عند تفسير قوله تعالى **(ولا تسأل عن اصحاب الجحيم)** [البقرة/١١٩].

ذكر حديثا مرويا عن عائشة أن الله أحيا أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به"، ثم علق على ذلك بقوله : والحديث باحيائهما وان كان ضعيفا، فالقدرة صالحة لذلك، والحديث الضعيف يعمل به في المناقب..."[3]

أقول: وحديث إحياء أمه عليه السلام قال عنه ابن الجوزي: "هذا حديث موضوع بلا شك، والذي وضعه قليل الفهم، عديم العلم، إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافرا لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعه، وفي سنده محمد بن زياد هو النقاش وليس بثقة، وأحمد بن يحيى، ومحمد بن يحيى مجهولا[4] .

وذكر حديثا في فضل سورة يس قوله "سورة يس تدعى في التوراة المعمه، قيل يا رسول الله وما العمة؟ قال نعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة" ثم يعقب عليه بقوله قال البيهقي حديث منكر[5] .

طريقته في الاستشهاد بالحديث :

لا يلتزم الشيخ طريقة واحدة من ايراده الحديث والاستشهاد به فقد :

١- **يذكر مع الحديث مصدره، وسنده، وبالتالي درجته** والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي:

---

(١) الهميان (٢٨٨/٢/١٢).

(٢) ابن الجوزي، الموضوعات (١٧٩/١).

(٣) الهميان (٢٩١/٢).

(٤) ابن الجوزي، الموضوعات، (٢١٠/١)، الذي ينبغي حيال هذه القضية أن يلزم الانسان الأدب، ويؤثر الصمت، خاصة وأنه لم يصح فيها شيء والقول في أبويه عليه السلام فيه مزلة قدم، نسأل الله العفو والعافية.

(٥) الهميان (٢٨٦/٢/١٢).

عند تفسير قوله تعالى **(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** [البقرة/١٩٥]. يستشهد الشيخ بحديث صحيح أخرجه الامام البخاري، عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده، فإن شبعه، وريه، وروثه، وبوله في ميزانه يوم القيامه[١] .

وحديث آخر عن الامام مسلم بسنده عن أبي هريرة أيضا "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به، مات على شعبة من النفاق"[٢] .

وعند تفسير قوله تعالى **(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا)**[الكهف/١١٠] يورد حديثا في هذا المعنى عن الامام الربيع رحمه الله فيقول: روى الربيع بن حبيب، عن أبي عبيدة، عن جابر، عن أبي هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "قال الله عز وجل: من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو له"، كما في رواية "هو للذي عمله له كله، وأنا أغنى الشركاء عن الشرك"[٣] ومثله لمسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور ثم يذكر أحاديث أخرى، منها حديث جرير بن عبدالله البجلي عنه صلى الله عليه وسلم: من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به" رواه البخاري ومسلم.[٤]

٢- وقد يستشهد بالحديث دون أن يذكر المصدر الذي أخرجه، ولا سنده، ومن أمثلة ذلك:

عند تفسير قوله تعالى **(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)**[البقرة/١٠] يستشهد بحديث دون أن يذكر، مصدره، وسنده ودرجته،

---

(١) الهميان (٣/٧٩)، وانظر البخاري، صحيح البخاري (٥٦) كتاب الجهاد(٤٥) باب من احتبس فرسا في سبيل الله رقم الحديث ٨٥٣، ج٦، ص٦٧.

(٢) الهميان (٣/٨٢)، وانظر مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (٣٣) كتاب الاماره (٤٧) باب من مات و لم يغز و لم يحدث نفسه بالغزو، حديث رقم (١٩١٠)، (٣/١٥١٧).

(٣) الهميان (١٠/١/٢٣٤)، والحديث اخرجه الربيع، الجامع الصحيح، (١٠) باب ذكر الشرك والكفر، حديث رقم ٦٠، ص ٤٣ بلفظ "فهو له كله واخرجه البخاري - صحيح البخاري (٨١) كتاب الرقاق، (٣٦) باب الرياء والسمعة، حديث رقم ٦٤٩٩ بلفظه، ١١/٣٤٣ ، وأخرجه مسلم، صحيح مسلم (٥٣) كتاب الزهد (٥) باب من اشرك في عمله غير الله حديث رقم (٢٩٨٥)، ج٤، ص٢٢٨٩، بلفظ "أنا اغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه".

(٤) الهميان (١٠/١/٢٣٤) ، والحديث اخرجه البخاري، (٨١) كتاب الرقاق ، (٣٦) باب الرياء والسمعه.

فيقول: قال صلى الله عليه وسلم: "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير الى هذه مرة وإلى هذه مرة"(١) .

وعند تفسير (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون..) [آل عمران/٧٥].

يذكر حديث صفات المنافق فيقول : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "أربع من كن فيه كان منافقا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" وروي "إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"(٢) .

وعند تفسير قوله تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) [الاحزاب/٣٥]. يقول: وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم "سبق المفرِّدون" قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ الـ : "الذاكرون الله كثيرا والذاكرات"(٣) .

٣- وأحيانا يذكر من خرج الحديث من الأئمة، والكتاب الذي أخرجه فيه، مثال ذلك:

عند تفسير قوله تعالى (إن كيدكن عظيم) [يوسف/٣٨] يذكر حديثا أخرجه الطبراني، فيقول: وروى الطبراني في كبيره عن أم سلمه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "هن أغلب يعني النساء"(٤) .

وعند تفسير قوله تعالى (ولا تمش في الأرض مرحا) [الاسراء /٣٧] يذكر حديثا في وصف مشية الرسول - صلى الله عليه وسلم- فيقول ذكر الترمذي في كتاب الشمائل، والغنيمي في مختصره، وغيرهما، عن علي كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا مشى تكفى تكفيا كأنه ينحط من صبب"(٥) .

٤- وربما ذكر الشيخ روايات الحديث إن كان له أكثر من رواية، كما يذكر من خرج الحديث،وحكم المحدثين على الحديث،والأمثلة على ذلك كثيرة أكتفي منها بما يلي:

---

(١) الهميان (٢٦٣/١)، والحديث اخرجه مسلم، صحيح مسلم، (٥٠) كتاب صفات المنافقين حديث رقم (٢٧٨٤) عن ابن عمر بلفظه، ٢١٤٦/٤.

(٢) الهميان (١٤/٤) والحديث اخرجه البخاري عن عبدالله بن عمرو بهذا اللفظ (٢) كتاب الايمان، (٢٤) باب علامة المنافق، حديث رقم ٣٤، (١١١/١) واخرجه النسائي، سنن، (٤٧) كتاب الايمان، (٢٠) باب علامة المنافق حديث رقم ٥٠٢٠ (١١٦/٨).

(٣) الهميان (٨٩/٢/١٢) وحديث سبق المفردون أخرجه مسلم، صحيح مسلم (٤٨)، كتاب الذكر والدعاء (١)، باب الحث على ذكر الله، حديث رقم (٢٦٧٦) عن ابي هريرة بلفظه ٢٠٦٢/٤.

(٤) الهميان (٩٣/٢/٨) والحديث سبق تخريجه ص ٤٣.

(٥) المصدر نفسه (١٨٦/٢/٩) اخرجه الترمذي في السنن كتاب المناقب باب ما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٣٦٣٧ وقال حسن صحيح واخرجه في الشمائل (١٩) باب ما جاء في مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ١٢٦ انظر الترمذي الشمائل المحمدية، ط٢، حققه سيد عباس مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ١١٣.وانظر للمزيد مالك في الموطأ ١٤٩/٢/٩، الطبراني في الأوسط (٨٥/٣)، ابن عبد البر في التمهيد (٣١٦/١/١٠) ابو نعيم في الحلية (٤١٢/٢).

عند تفسير قوله تعالى (**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**)[البقرة/١٥٩]. يورد حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – "نضر الله امرءا سمع مقالتي، فوعاها، فأداها كما سمعها..." فيذكر الخلاف في لفظ نضر هل هي بالظاء أم بالصاد المهملة ثم يقول: والمشهور الصحيح أنه بالضاد المعجمه، وهو من رواية الترمذي، عن ابن مسعود، وقال حسن صحيح، ورواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، عن جبير بن مطعم، وقال: صحيح على شرط البخاري، ومسلم، ورواه أبو داؤد، وابن ماجه، والترمذي، عن زيد بن ثابت، وقال: حسن، وفي رواية صحيحه "نظر الله امرءا سمع منا حديثا، فأداه عنا كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع" وفي رواية اخرى: "نضر الله رجلا سمع منا كلمة فبلغها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع"[١] .

٥- **وقد يذكر معنى الحديث، أو مضمونه دون نصه**، كما في تفسير قوله تعالى (**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**)[الاعراف/٢٠٤]. يقول في تفسيرها: اسكتوا عن كلام الدنيا حين تسمعونه، أما في صلاة السر فليس المأموم بسامع، بل هو شارع في قراءة الفاتحة لما صح أنه لا صلاة إلا بها، وأن الصلاة بدونها خداج.[٢]

وعند تفسير (**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا**)[البقرة/١٢٨].

يقول في معرض تفسيره للآيات، وقد روى عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه يستغفر الله سبحانه وتعالى سبعين مرة، أو مائة في اليوم.[٣]

---

(١) الهميان (٤٢٥/٢) والحديث اخرجه أبو داؤد (١٩) كتاب العلم، (١٠) باب فضل نشر العلم، حديث رقم ٣٦٦٠ عن زيد بن ثابت بلفظ "نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه"(٦٩/٤). وأخرجه الترمذي في (٤٢) كتاب العلم(٧) باب الحث على تبليغ السماع، رقم ٢٦٥٨، عن عبدالله بن مسعود، (٤٣/٥)، وابن ماجه في المقدمه وانظر الهميان (٤٣٣/٣).

(٢) الحديث أخرجه أبو داؤود (٢) كتاب الصلاة، (١١٦) باب ما جاء في ترك القراءة خلف الإمام، عن أبي هريرة بلفظ "من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج، وفي (٦٩) باب ما جاء أنه لا صلاة الا بفاتحة الكتاب، حديث رقم ٢٤٧، عن عبادة بن الصامت "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، ج٢، ص ١٢١،٢٥، واخرجه ابن ماجه(١) باب القراءة خلف الامام رقم ٦٨٣ عن عبادة، وعائشة..

(٣) الهميان (٣٣٤/٢) والحديث أخرجه البخاري، (٨٠) كتاب الدعوات، (٣) باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم والليلة حديث رقم ٦٣٠٧ عن ابي سلمه بن عبدالرحمن ولفظه "قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "والله إني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مره" (١٠٤/١١).

٦- **وربما اكتفى بموضع الشاهد، ومثله عند تفسير قوله تعالى (ولكن الشياطين كفروا)**[البقرة/١٠٢] يقول: بتعلم السحر للعمل به... كاعتقاد أن الكوكب هو المؤثر، كما يدل له حديث مسند الربيع" أصبح من عبادي مؤمن وكافر".(١)

وعند تفسير قوله تعالى **(إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا)** [الانفال/١٢] يقول ولا يختص إيهام الملك باسم اللمة، كما يوهم كلام بعضهم، لما ورد في الحديث (إن لكل من الملك والشيطان لمه)(٢) .

٧- **وإذا ما رأى الشيخ أن في الحديث ألفاظا قد يصعب فهمها على القارئ فسرها،** وبين معناها كما عند تفسير قوله تعالى **(ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلو به يوم القيامة)** [آل عمران/١٨٠]. يذكر حديث أبي هريرة، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزَميته، ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا" ولا تحسبن ... الآية"(٣) .

ثم يبدأ في توضيح بعض الفاظ الحديث فيقول :

واللهزمتان : الشدقان، وقيل أعلى الشدقين أسفل الأذنين.

والزبيبتان : الزبدتان من شدقيه، أو لحمتان متدليتان، كما يكون في الشاة أو نكتتان سوداوان فوق عينيه.

والأقرع : الذي لم يبق على رأسه شعره.

وعند تفسير قوله تعالى **(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة)**[الانعام/٩٤]. يورد حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليم وسلم -

---

(١) الهميان، (١٩٩/٢) والحديث أخرجه الامام الربيع (١٠) باب من ذكر الشرك والكفر، حديث رقم ٦٢، ص٤٤ ورواه الامام البخاري في كتاب الاذان، ١٥٦، الاستسقاء، ٢٨، المغازي ٣٥، وأخرجه مسلم في كتاب الطب،

(٢) الهميان (١٦٩/١/٧) وهو جزء من حديث أخرجه الترمذي (٤٨) كتاب تفسير القران باب (٣) حديث ٢٩٨٨ ولفظه " ان للشيطان له بابن آدم وللملك له، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فإيغاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر...) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، وهو حديث أبي الاحوص لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الاحوص، (٢١٩/٥).

(٣) الهميان (٣٧٥/٤)، والحديث اخرجة ابن ماجه في كتاب الزكاة، (٢) باب ما جاء في منع الزكاه، رقم ١٤٤٣ عن عبدالله بن مسعود بلفظ "ما من أحد لا يؤدى زكاه ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق عنقه" (٢٩٧/١).

يقول"يحشر الناس حفاة عراة غرلا" ثم يفسر الغرل بقوله "والغرل بضم الغين المعجمة واسكان الراء المهمله جمع أغرل وهو الأقلف[١] .

جوانب اهتمامه بالحديث في التفسير :

يفسر الآية بالحديث فيما ورد تفسيره عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كما يذكر الحديث لتأكيد معنى وتوضيحه، ويستشهد بالحديث لمسألة فقهية، أو لغوية، أو قضية عقدية ولمزيد من التوضيح أسوق الأمثلة التالية :

١- تفسير الآية بالحديث:

عند تفسير قوله تعالى **(غير المغضوب عليهم ولا الضالين)** [الفاتحة/٧] يقول أخرج أحمد، والترمذي، وحسنه، وابن حبان، في صحيحه، عن عدي بن حاتم، عنه - صلى الله عليه وسلم- أن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى، وأخرج ابن مردويه عن ابي ذر: سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- عن المغضوب عليهم قال: اليهود، وعن الضالين قال: النصارى[٢] .

ويفسر الأجر العظيم بالجنة عند قوله تعالى **(ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما)**[النساء/٧٤]. يقول: هو الجنة، كما قال صلى الله عليه وسلم: "ضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيله، وإيمان به، وتصديق برسله، أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه، نائلا ما نال من أجر وغنيمة.[٣]

وعند تفسير **(حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)** [البقرة/١٨٧] يورد الشيخ حديث عدي بن حاتم فيقول، روى البخاري، ومسلم، عن عدي بن حاتم لما نزلت (حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود) عمدت إلى عقال أسود، وعقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، وجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي،

---

(١) الهميان (١٨٣/١/٦) والحديث أخرجه مسلم، صحيح مسلم، (٥١) كتاب الجنة، (١٤) باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث رقم (٢٨٥٩)، عن عائشة بلفظه، (٢١٩٤/٤).

(٢) والحديث أخرجه الترمذي في (٤٨) كتاب التفسير (٢) باب ومن سورة الفاتحة رقم ٢٩٥٤، عن عدي بن حاتم بلفظ "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال" (٢٠٤/٥) واخرجه ابن جرير عن عدي ايضا انظر جامع البيان (١١٠/١).

(٣) الهميان (٤٣/٥) والحديث أخرجه البخاري، صحيح (٩٧) كتاب التوحيد، (٢٨) باب قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، رقم ٧٤٥٧، عن ابي هريرة بلفظ "تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله، وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة، أو يرجعه الى مسكنه الذي خرج مع ما نال من أجر أو غنيمة". (٤٥٠/١٣) واخرجه مسلم في كتاب الامارة رقم ١٠٣، ١٠٤.

فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال: "انما ذلك سواد الليل وبياض النهار"(١) .

ويفسر طوبى في قوله تعالى (**الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم**)[الرعد/٢٩] بالحديث الذي أخرجه أحمد، وابن حبان، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام"(٢) .

٢- تأكيد المعنى وتوضيحه :

وربما لا يكون الحديث صريحا في تفسير الآية، ولكن الشيخ -رحمه الله- يورده كشاهد على المعنى وتأكيده، من ذلك عند قوله تعالى (**وعلى الله فليتوكل المؤمنون**) [آل عمران/١٢٢] يقول: أخرج الترمذي ، عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا(٣) .

وعند تفسير قوله تعالى (**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**)[الانعام/١٥١] يفسر الآية بقوله: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، وقتل حر موحد عمدا ثم يورد الحديث: روى البخاري، ومسلم، عنه -صلى الله عليه وسلم- لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إيمان، ورجل زنى بعد احصان، وقاتل نفس محرمة عمدا، ورويا من طريق ابن مسعود عنه -صلى الله عليه وسلم- لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعه"(٤) .

٣- يستعين بالحديث في معرفة أسباب النزول :

ومن الامثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**) [آل عمران/١٦٩] يقول: نزلت في شهداء أحد

---

(١) الهميان (٣/٥١) والحديث أخرجه البخاري، (٦٥) كتاب التفسير، (٢٦) باب من شهد منكم الشهر فليصمه حديث رقم ٤٥١٠، بلفظ "بل هو سواد الليل وبياض النهار"، ٨/٣١ وأخرجه ابن جرير، عن عدي أيضا، انظر جامع البيان ٢/١٧٨.

(٢) الهميان (٨/٢/٣٥٠) والحديث أخرجه احمد، المسند ٣/ ٧١،٤: ١٨٤،١٨٣ وانظر للمزيد الهميان (٢/٤٠٤،٤١٢)، (٤/٣٧٥)، (٦//٢٥١)، (٦/٢/٨١)، (٧/١/٢٦١).

(٣) الهميان (٤/٣٢٨) والحديث اخرجه الترمذي، (٣٧) كتاب الزهد، (٣٣) باب في التوكل على الله رقم ٢٣٤٤، عن عمر بن الخطاب وفيه "لرزقتم كما يرزق الطير" (٤/٥٧٣).

(٤) الهميان (٩/٢/١٦٩) والحديث اخرجه ابو داؤد (٣٢) كتاب الحدود، (١) باب الحكم فيمن ارتد برقم ٤٣٥٢ عن عبدالله بن مسعود بلفظه، (٤/٥٢٢) واخرجه بنفس اللفظ الترمذي في (١٤) كتاب الديات، (١٠) باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث، رقم ١٤٠٢، (٤/١٩) وانظر للمزيد الهميان (٩/٢/١٣٥، ٤/٤٠٦).

لما روي عن ابن عباس، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، وحسن مقيلهم، قالوا يا ليت اخواننا علموا ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتواكلوا في الحرب، قال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم، فانزل الله عز وجل هذه الآيات "ولا تحسبن... "[١] .

٥- يستشهد بالحديث على مسالة فقهية.

وهذا كثير جدا يظهر في المسائل الفقهية التي يتعرض لها الشيخ، وأكتفي هنا بمثالين:

١- عند تفسير قوله تعالى (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا**)[المائدة/٣٣]. يقول: "ويصلى على من قتل، أو صلب أو قطع إن مات لحديث (صلوا على كل بار وفاجر)[٢] .

٢- عند تفسير قوله تعالى (**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**) [المائدة/٣٨] يذكر الشيخ -رحمه الله- النصاب الذي يوجب القطع، وهو ربع دينار، أو ما يساويه فصاعدا، مستشهدا لذلك بحديث عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار"[٣] .

٦- ويستدل بالحديث على قضية عقدية :

كما في قوله تعالى (**ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله**)[البقرة/١٦١]. يذكر الشيخ رحمه الله أن المذهب جواز لعن المشرك، والفاسق، ولو مخصوصا، لقوله -صلى الله عليه وسلم- : "لعن الله فلانا ولعن الله فلانا" من أحاديث قالت عائشة لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا وما استغفر له حتى مات" وجاز

---

(١) الهميان (٢٥٧/٤) والحديث أخرجه ابو داؤد في (١٥) كتاب الجهاد (٢٧) باب في فضل الشهادة، عن ابن عباس "لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد انهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إ خواننا عنا، انا أحياء في الجنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب؟ فقال الله سبحانه وتعالى: أنا أبلغهم عنكم قال فأنزل الله "ولا تحسبن ... الآية".

(٢) الهميان (٤٢٣/٥) والحديث أخرجه الامام الربيع، الجامع الصحيح (٣) باب الحجة على من لا يرى الصلاة على موتى اهل القبله، ولا يرى الصلاة خلف كل بار وفاجر، رقم الحديث ٧٧٦، ص ٢٩٧. وانظر للمزيد الهميان (٤٢١/٢)، (٤٢٠/٣)، (٩٤/٥).

(٣) الهميان (٤٣٤/٥) والحديث اخرجه الامام الربيع، (٣٦) باب الرجم والحدود حديث رقم ٦١١، ص ٢٤٠. وأخرجه مسلم (٢٩) كتاب الحدود، (١) باب حد السرقه ونصابها، رقم ١٦٨٤ (١٣١٢/٣).

على صفة العموم كقوله صلى الله عليه وسلم "لعن الله الخمر وشاربها، وقوله "لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده[١] ".

أحاديث فضائل السور :

والأحاديث التي أوردها الشيخ في فضائل السور أكثرها ضعيف، أو موضوع، أما الصحيح منها فقليل،ومن أمثلة الأحاديث الصحيحة التي أوردها في فضائل السور ما يلي:

من الأحاديث التي أوردها في فضل البقرة حديث أبي برده قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما، اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة[٢] ثم يشرح الفاظ الحديث. فيقول، والغياية: ما أظل من فوق الرأس والفرق: الجماعة من الطير، والصواف: اللاتي تصف أجنحتها عند الطيران، والبطلة : السحرة.

وحديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم- "لا تجعلوا بيوتكم مقابر لأن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة"[٣] .

كما أورد أحاديث في فضل سورة الملك منها، قوله -صلى الله عليه وسلم- "من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي تبارك الذي بيده الملك" وحديث "هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر"[٤] .

---

(١) الهميان (٤٢٧/٢) حديث "لعن الله الخمر" أخرجه الربيع، الجامع الصحيح (٤٠) باب تحريم بيعها وشربها حديث رقم ٦٢٥، ص ٢٤٦. وحديث "لعن الله السارق" اخرجه مسلم، صحيح (٢٩) كتاب الحدود (١) باب حد السرقه ونصابها، ونقل الإمام ابن العربي الإجماع على جواز لعن العاصي مطلقا واستدل بالحديث ، انظر احكام القرآن (٧٥/١).

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، (٥) باب ما جاء في سورة آل عمران، رقم ٢٨٨٣، ١٦٠/٥ عن النواس بن سمعان بلفظ "يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا تتقدمه سورة البقرة وآل عمران ... الخ".

(٣) الهميان (١٦٢/١). والحديث اخرجه مسلم، (٦) كتاب صلاة المسافرين، (٢٩) باب استحباب صلاة النافلة في بيته رقم ٧٨٠ عن ابي هريرة بلفظه، (٥٣٩/١).

(٤) الهميان (٣٢٢/١٤) والحديث اخرجه ابو داؤد (٦) كتاب قيام رمضان، باب عدد الآي، عن ابي هريرة بلفظ "سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له، تبارك الذي بيده الملك" واخرجه الترمذي (٤٦) كتاب فضائل القرآن، (٩) باب ما جاء في فضل سورة الملك رقم ٢٨٩١ عن ابي هريرة ايضا بلفظ "ان سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك. (١٦٤/٥) وفي نفس الباب والكتاب رقم ٢٨٩١ "هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر" ابن عباس (١٦٤/٥).

المبحث الثالث

التفسير بأقوال الصحابة والتابعين

قلنا أن أقوال الصحابة -رضوان الله عليهم-، وكذلك أقوال التابعين هي الأصل الثالث من أصول التفسير بالمأثور(١) ، واعتماد الشيخ -رحمه الله- على هذا الأصل يبدو واضحا جليا في تفسيره لكثير من الآيات، وأبرز من نقل عنهم من الصحابه، الخلفاء الأربعة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم ابن مسعود، وابن عباس، وعائشة، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري، وأبو ذر، وأبو الدرداء، وابو موسى الأشعري، وأبو قتاده، وحذيفة، وسلمان، وعبدالله بن عمر، ومعاوية، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أبرز التابعين الذين نقل عنهم :

الحسن، ومجاهد، وقتادة، وعكرمه، وسعيد بن جبير، وعطاء، والضحاك، والربيع بن أنس، وأبو العاليه، وابن زيد، وابن المسيب، والسدي، وابن جريج، ومكحول، والشعبي، وابن اسحق، والزهري، وطاؤوس، وابن عيينه، وابن سيرين، والنخعي، وكعب الأحبار.

ويتمثل موقف الشيخ إزاء النقل عن الصحابة والتابعين في جانبين :

- الجانب الأول النقل دون تعقيب، وكأنه يرتضي الأقوال التي ينقلها، ويرى أن لفظ الآية يحتملها.
- الجانب الآخر هو النقل مع التعقيب واختيار المعنى الذي يراه راجحا.

وهو في ذلك متأثر إلى حد بعيد بتفسير الطبري، وإن لم يشر إليه مع اختصار وحذف للأسانيد والأمثلة التالية توضح ذلك.

فمن الأمثلة على الجانب الأول ما ورد عند تفسير قوله تعالى **(اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم)** [المائدة/١٠٦] يقول في تفسيرها :

(اثنان ذوا عدل منكم) أي من أقاربكم ، أو من المسلمين، (أو آخران من غيركم) أي من المشركين.. وبه قال أبو موسى الأشعري، وابن عباس، وسعيد بن المسيب،

---

(١) روى الحاكم في المستدرك أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع "ولكن هذا مقيد بما كان في بيان سبب النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه، أما تفسير التابعين ففيه خلاف. انظر الذهبي، التفسير والمفسرون (٩٤/١)، الزرقاني، مناهل العرفان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، (١٢/٢).

وسعيد بن جبير، ويحيى بن معمر، وأبو مجلز، وإبراهيم، وشريح، وعبيدة السلماني، وابن سيرين، ومجاهد، وقيل (اثنان ذوا عدل منكم) من أقاربكم المؤمنين، (أو آخران من غيركم) من المؤمنين الذين ليسوا بأقارب لكم، وهو قول الحسن، وعكرمه، والزهري، والشافعي، ومالك، وأبي حنيفة[١] .

وما ورد عند تفسير قوله تعالى(**قال اخرج منها مذءوما مدحورا**)[الاعراف/١٨]. يقول في تفسير مدحورا[٢] .

قيل : مطرودا مبعدا.

وقال ابن عباس : مصغرا ممقوتا.

وقال قتاده : ملعونا ممقوتا.

وقال الكلبي : ملوما مبعدا من الجنة وكل خير.

وعند تفسير قوله تعالى (**لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء**)[ابراهيم/٤٣] يقول في تفسير وأفئدتهم هواء: أي خالية من الفهم، كما هو شأن المتحير الدهش، وقال ابن جريج: أفئدتهم خاليه من الخير والحق. وقال أبو عبيده : خالية من العقل. وقال قتاده : مواضع افئدتهم خالية بانتقال الأفئدة عنها إلى حناجرهم.

وقال سعيد بن جبير: أفئدتهم ذات هواء، بمعنى أنها مترددة تهوي في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه..."[٣] .

وعند تفسير قوله تعالى (**حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى**)[البقرة/٢٣٨] ينقل الأقوال في تعيين الصلاة الوسطى، ثم يذكر الرأي الذي يراه صحيحا كما يلي :

١- عن ابن عباس الصلاة الوسطى، صلاة الصبح، وبه قال عمر، وابنه؛ عبدالله، ومعاذ، وجابر بن زيد، وعطاء، وعكرمه، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومالك، والشافعي، ونسب إلى علي بن أبي طالب، قال مالك في الموطأ بلغني أن علي بن أبي طالب وابن عباس كانا يقولان:صلاة الوسطى صلاة الفجر، وكذا رواه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر...

---

(١) الهميان ٥/٦٢٠ وانظر الطبري، جامع البيان (٥/١٠١ وما بعدها).

(٢) المصدر نفسه ٦/٢/٢٩، وانظر جامع البيان (٥/٤٤٨).

(٣) المصدرنفسه ٩/١/٩٩ .

٢- وقال زيد بن ثابت، وأسامه، وأبو سعيد الخدري، وعائشة في رواية عنها، وعبيد الله بن شداد، وأبو حنيفة في رواية عنه، وابن عمر، الصلاة الوسطى صلاة الظهر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة، .. فكانت أفضل لقوله -صلى الله عليه وسلم- "أفضل العبادة أحمزها"(١) أي اشدها صعوبة...، وأخرج مالك في الموطأ، والترمذي، عن عائشة وزيد بن ثابت، وأبو داؤود عن زيد"أن الصلاة الوسطى صلاة الظهر".

٣- قال الحسن : الصلاة الوسطى صلاة العصر :

وهو قول علي وابن مسعود، وأبي أيوب، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وعائشة في رواية عنها، وعبيدة السلماني، وابراهيم النخعي، وقتادة، والضحاك، والكلبي، ومقاتل، وأبي حنيفة في رواية عنه، وأحمد، وداؤد ، وابن المنذر، والشافعي في رواية عنه، وهو قول أكثر الصحابة، وجمهور الأمه. عن ابن مسعود: حبس المشركون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن صلاة العصر حتى أحمرت الشمس، أو أصفرت فقال رسول -الله صلى الله عليه وسلم-،شغلونا عن الصلاة الوسطى -صلاة العصر- ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا. وعن سمره بن الجندب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصلاة الوسطى صلاة العصر".

٣- وقال قبيصة بن ذؤيب: الصلاة الوسطى صلاة المغرب.

٤- وحكى أبو عمر بن عبد البر، محدث الأندلس عن فرقة: أنها صلاة العشاء الأخيرة.

ثم قال معقبا: وأصح الأقوال صلاة الفجر(٢) .

والمثال الثاني عند تفسير قوله تعالى(**ولباس التقوى ذلك خير**)[الاعراف/٢٦].

يقول: المراد بلباس التقوى: الاسلام، والعمل الصالح، وامتثال المأمور به، واجتناب المنهي عنه، والورع، وخشية الله.

---

(١) ذكره ابن الاثير في النهاية عن ابن عباس قال : "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال أحمزها".(١/٤٤٠) قال الزركشي لا يعرف. وقال ابن القيم في شرح المنازل لا أصل له، وقال المزي هو من غرائب الاحاديث و لم يروى في شيء من الكتب الستة. انظر العجلوني كشف الخفا ١/١٥٥.

(٢) الهميان (٣/٢٨٩-٢٩١) وانظر جامع البيان (٢/٥٦٩ وما بعدها) أقول: والذي تعضده الأحاديث ن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، واختاره الطبري (٢/٥٨١) ورجع اليه الشيخ في التبسي،ر فقد أخرج الترمذي، عن ابي موسى مولى عائشة قال: أمرتني عائشة -رضي الله عنها- ان اكتب لها مصحفا، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني (حافظوا على الصوات والصلاة الوسطى)، فلما بلغتها آذنتها، فأملت علي : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر وقوموا لله قانتين) وقالت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح (٤) كتاب تفسير القرآن باب (٣) حديث ٢٩٨٢ واخرج ايضا عن سمرة بن جندب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "صلاة الوسطى صلاة العصر"، قال ابو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. ومثله عن علي، وعبدالله ابن مسعود، قال: وفي الباب عن زيد بن ثابت، وأبي هاشم عن عتبه، وأبي هريرة حديث ٢٩٨٣، ٢٩٨٤، ٢٩٨٥، انظر الترمذي (٥/٢١٨). و لم أجد في الترمذي أنها صلاة الظهر. وما اضافته السيده عائشه رضي الله عنها هو تفسير للصلاة الوسطى وليست قراءة كما يهمه ظاهر اللفظ .

وقال ابن جريج: الايمان، وقال معبد الجهني: الحياء، وقال ابن عباس: العمل الصالح، وعنه السمت الحسن في الوجه، وقاله عثمان على المنبر، وقال عروه بن الزبير: خشية الله، وابن الانباري: ستر العوره: والحسن: الورع، والسمت الحسن في الدنيا، وعن ابن عباس والكلبي: العفه وقيل: الصوف، وما فيه تواضع لله عز وجل، وقال زيد بن علي: السلاح وآلة الجهاد ... والصحيح ما ذكرته أولا، وما كان من الأقوال بعده. متضمنا له..[1] .

وربما رد قول الصحابي وفنده

كما عند تفسير قوله تعالى (**الله الصمد**) [الاخلاص/٢]

قيل السيد المنتهى في الشرف والسؤدد، وهو قول علي، وقيل عن ابن مسعود: إنه الباقي، وعن الكلبي: الذي لا يأكل، ولا يشرب، وهو مروي أيضا عن الأعمش، وروي عن ابن عباس: أنه الذي لا جوف له وهو ضعيف، لأنه ربما أوهم ثبات غير الجوف له تعالى"[2] .

نرجو بهذا ـن نكون قد أعطينا صورة واضحة عن منهج الشيخ في التفسير بالمأثور، ونختم هذا الفصل بمقارنة هذا المنهج بمنهجه في تفسيره "التيسير".

خاتمة : مقارنة بالتيسير

جمع الشيخ في تفسيره الهميان بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، فكان يجتهد أن يجد للآية تفسيرا عن الرسول عليه السلام، أو عن أحد أصحابه، أو التابعين، فإن لم يجد فسر بما ظهر له من اللغة مستعينا في كل ذلك بمن سبقه من المفسرين، ويلحظ عليه هنا كثرة النقل دون تحقيق ففي جانب التفسير بالحديث الشريف نرى :

أولا: ان الشيخ جمع في تفسيره الهميان الحديث الصحيح، والضعيف، والموضوع دون تمييز في الغالب.

ثانيا: لا يعنى بتخريج الحديث، والحكم عليه في الكثير الغالب.

وقد تنبه الشيخ -رحمه الله- إلى ذلك فحاول أن يجرد تفسيره التيسير من الاحاديث الموضوعة بصفة خاصة، فحذف احاديث فضائل السور، وبعض الاحاديث الاخرى التي

---

(١) الهميان ٤٨/٢/٦ وانظر جامع البيان (٤٥٨/٥-٤٥٩). وانظر للمزيد الهميان (١١١/٣)، ١٥٢/٢/٦، ٥٩/١/٨، ٥٠٧/١٥

(٢) الهميان (٥٠٧/١٥)، وقول ابن عباس أخرجه الطبري بسنده عنه وعن مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمه انظر الطبري، جامع البيان (٧٤٢/١٢-٧٤٤).

وردت في الهميان[١] . كما حذف الأحاديث التي كان يذكرها في عدد من الموضوعات التي لها في تفسيره مثل[٢] .

أحاديث في الحدود ، أحاديث فضل الصوم ، أحاديث في فضل الذكر، أحاديث في الشهادة والشهداء.

أما تخريج الحديث، فكان اهتمامه بذلك في التيسير أكبر بكثير من صنيعه في الهميان، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، فمثلا عند تفسير (**وإن منكم إلا واردها**)[مريم/٧١] يذكر حديث لا يموت لأحد ثلاثة من البنين فتمسه النار إلا تحلة القسم" يرويه في الهميان عن الامام الربيع، ويقول في التيسير رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابي هريرة[٣] انظر .

وعند تفسير (**هذان خصمان اختصموا في ربهم**)[الحج/١٩]، يذكر في الهميان انها نزلت في عبيده بن الحارث، وحمزة وعلي، وخصمائهم يوم بدر، ويقول في التيسير: أخرج البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني، وغيرهم، عن أبي ذر -رضي الله عنه- أنه كان يقسم أن الاية في الثلاثة[٤] .

ويخرج سبب نزول (**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة**)[النساء/١٧٦] قال: روي أن جابر بن عبدالله كان مريضا فعاده رسول الله فقال: إني كلالة، فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت.

ويذكره في التيسير مخرجا فيقول: ولفظ البخاري، ومسلم، عن جابر بن عبدالله مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، يعوداني ماشيين فأغمي علي، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صب علي من وضوئه، فأفقت، فإذا النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي، كيف اقضي في مالي، فلم يرد علي شيئا حتى نزل قوله (يستفتونك) .. ثم ذكر لفظ ابي ذر عند البخاري،

---

(١) مثل حديث "من عرف نفسه عرف ربه" و "المؤمن حلو يحب الحلاوة". انظر ص ٥٢ من الرسالة.

(٢) انظر الهميان ٢/٤٨٣-٤٩١، ٤٠٢-٤٠٤، ٤٠٦-٤١٥، ٣/١٣-٢٤

(٣) انظر الهميان (١٠/١/٣١٥) والتيسير (٩٧/٨). والحديث أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، وفي كتاب الايمان باب قراءة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، رقم الحديث ٢٦٣، ٢٦٣٤، ٢٦٣٥.

(٤) انظر الهميان (٥/٢٨٢)، والتيسير (٢/٤٨٣)، والحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الحج، باب قوله (هذان خصمان اختصموا) وفي المغازي، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش، وأخرجه مسلم في كتاب التفسير باب قوله تعالى (هذان خصمان)، رقم الحديث (٣٠٣٣).

اشتكيت وعندي تسع اخوات، فدخل علي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ... ومثل ذلك لأبي داؤد، وكذا الترمذي، إلا انه ذكر تسعا بالمثناه.(١)

وعند تفسير قوله تعالى **(وإنما توفون أجوركم يوم القيامة)**[آل عمران/١٨٥].

يذكرحديث "القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار".(٢)

ثم يخرجه في التيسير فيقول روى الترمذي، عن أبي سعيد، عن أبي هريرة مرفوعا وذكره .

أما التفسير بأقوال الصحابة، والتابعين، فقد أشرت فيما سبق، أن الشيخ قد أكثر من ذلك في كتابه الهميان واكثر نقله عن الطبري، ولا يهمل هذا النوع من التفسير في كتابه التيسير، لكنه قد يستغني عن بعض ما أو رده في تفسيره الأول، وقد ينقله دون أن ينسب القول إلى قائله.

ومن الأمثلة على ذلك، عند تفسير قوله تعالى **(قال اخرج منها مذءوما مدحورا)** [الاعراف/١٨]. يقول في الهميان، قيل: مطرودا مبعدا، وقال ابن عباس: مصغرا ممقوتا، وقال قتادة ملعونا ممقوتا، أما في التيسيير فيقتصر على قوله مطرودا من كل خير .

وعند تفسير قوله تعالى **(الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم)** [الرعد/٢٩].

يرجح في الهميان أنها شجرة في الجنة لحديث أخرجه أحمد، وابن حبان، عن ابي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "طوبى شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام" وأخرجه ابو نعيم بسنده عن أبي سعيد أيضا، ومثله عن ابي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء... .

أما في التيسير فيفسرها بالكلمة الطيبة.. وقيل علم للجنة بلغة الحبشه أو الشجرة في الجنة(٣) . ومثله عند تفسير قوله تعالى **(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم)**[البقرة/٧٩]. يقول في تفسيرها: قال ابن عباس رضي الله عنهما: الويل شدة

---

(١) انظر الهميان (٣٨٥/٤) والتيسير (٢٣٤/٢). حديث جابر رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب صب النبي -صلى الله عليه وسلم- وضوءه على المغمى عليه، وفي تفسير سورة النساء، باب يوصيكم الله في أولادكم، وفي المرضى، باب عيادة المريض راكبا وماشيا، وباب وضوء العائد للمريض، وفي الفرائض في فاتحته، وباب ميراث الأخوة والاخوات وفي الاعتصام، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ما لم ينزل عليه الوحي .. وأخرجه مسلم في الفرائض، باب ميراث الكلالة، رقم ١٦١٦.

(٢) انظر الهميان (٢٩/٢/٦)، والتيسير (٣٠/٤). والحديث اخرجه الترمذي ٣٨ كتاب صفة القيامة، باب ٢٦ من حديث ابي سعيد الطويل، قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه الا من هذا الوجه، انظر سنن الترمذي ٦٤٠/٤ .

(٣) انظر الهميان (٣٥٠/٢/٨-٣٥١) والتيسير (٢٨٨/٦). والحديث سبق تخريجه ص ٧٧.

العذاب، وأخرج الترمذي، عن أبي سعيد الخدري، وقال: حديث غريب، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره"(١) ... ورواه ابن المنذر مرفوعا عن ابن مسعود، وروى سفيان الثوري، وعطاء بن يسار، واد يجري بفناء جهنم من صديد أهل النار وروى عثمان ابن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه جبل من جبال النار وقول الخليل أنه شدة الحر في معنى قول ابن عباس، بينما يختصر في التيسير فيقول : "فويل" هلاك أو واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا(٢) .

وعندما جاء التفسير قوله تعالى (**ولباس التقوى**) [الاعراف/٢٦]. قال في التيسير وهي على العموم أو خشية الله، أو الحياء، أو الايمان، أو السمت الحسن ... وكان قد فسرها بذلك في الهميان مع نسبة الأقوال إلى قائلها.. (٣) واكتفي بهذه الامثلة للتدليل على ان الاختصار والحذف وعدم نسبة الاقوال منهجا التزمه الشيخ في كتابه التيسير.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الانبياء ، حديث رقم ٣١٦٤

(٢) انظر الهميان (١٣٢/٢-١٣٣) والتيسير (١١١/١).

(٣) انظر التيسير (٤٠/٤) وقد مر هذا المثال في ص .

الفصل الثالث
علوم القرآن في تفسيره

- المكي والمدني
- الناسخ والمنسوخ
- اسباب النزول
- القراءات
- خاتمة

الفصل الثالث
علوم القرآن في تفسيره

اصطلح على تسمية المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، واعجازه، وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبهه عنه، ونحو ذلك بعلوم القرآن(١) .

وتكتسب هذه المباحث أهميتها من حيث إنها معينة للوصول الى معنى القرآن، ومعرفة احكامه، وما يعنينا هنا أن نتتبع منهج الشيخ - رحمه الله - في تناوله لهذه المباحث، ونبدأ بمبحث المكي والمدني.

المبحث الأول
المكي والمدني

يبدأ الشيخ -رحمه الله- حديثه بذكر الضوابط لمعرفة المكي والمدني، فيقول :

"وللناس اصطلاحات في المكي والمدني، أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بالمدينة أو بمكة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار، وقيل ما نزل في طريق المدينة قبل الوصول اليها مكي، قال به يحيى بن سلام، وقيل المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، فما نزل في السفر على هذا ليس مكيا ولا مدنيا، ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم "أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة، مكه، والمدينه، والشام"(٢) ... ويدخل في مكة ضواحيها، كمنى، وعرفات، والحديبية، وفي المدينة ضواحيها، كبدر، وأحد، وسلع، وقيل المكي: ما وقع خطابا لأهل مكه، والمدني: ما وقع خطابا لأهل المدينة"(٣) .

وعند تفسير قوله تعالى (يآ أيها الناس اعبدوا ربكم) [البقرة /٢١].

يتحدث عن خصائص المكي، والمدني، وموضوعاته، فينقل عن الجعبري قوله:

لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي، فالسماعي ما وصل الينا نزوله بأحدهما، والقياسي كل سورة فيها (يآ أيها الناس) فقط أو كلا، أو أولها حرف تهج، سوى الزهراوين والرعد* ، أو فيهما قصة آدم وابليس، سوى البقرة فهي مكيه، وكل سورة فيها

---

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، (٢٧/١). د. الصالح صبحي، مباحث في علوم القرآن، ط١٨، دار القلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م ص١٠.

(٢) هذا ليس بحديث فضلا عن ان يكون حديثا صحيحا أو حسنا، و لم أجده فيما بين يدي من كتب الحديث وانما تذكره كتب علوم القرآن.

(٣) الهميان (٩/١).

* الصحيح ان الرعد مكية، ولكن الشيخ ينقل دون تحقيق.

قصص الانبياء والأمم الخاليه فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية، وقال مكي: كل سوره فيها ذكر المنافقين فهي مدنيه، قال غيره، الا العنكبوت، وفي كامل البذلي، كل سورة فيها سجدة فهي مكيه، وقال الدريني

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى.

كما نقل الشيخ عن ابن مسعود، وابن عباس، وعلقمة، والحسن[١] ، أن كل شيء نزل فيه (يآ أيها الناس) فمكي، و (يآ أيها الذين آمنوا) فمدني، ثم عقب على ذلك بقوله : ولم يصح رفع ذلك إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثا، فضلا عن أن يكون حديثا حسنا أو صحيحا، وقد تقرر أن البقرة مدنية، وقد ذكر فيها (يآ أيها الناس) وكذا النساء والحجرات، وسورة الحج مكية، وقد ذكر فيها (يآ ايها الذين آمنوا)، ... إلا أن يراد بكون السورة مكية، أو مدنية، كون غالبها كذلك.

ثم نقل عن ابن الحصار، والقاضي ما يشير الى ضعف هذه الرواية فقال :

وقال ابن الحصار: قد اعتنى المتشاغلون بالنسخ بهذا الحديث، واعتمدوه على ضعفه... قال القاضي عياض[٢] : إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلم، وان كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكه فضعيف، اذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم، وباسمهم، وجنسهم ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة، كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها[٣] .

ولنا على ما ذكره الشيخ تعقيب يسير :

أولا: إن هذا الكلام منقول برمته من كتابي البرهان للزركشي، والاتقان للسيوطي، واذا قارنت ما ذكره الشيخ بما جاء في الاتقان تبين لك أن العبارة هي نفسها مع حذف يسير[٤] .

ثانيا: سكوت الشيخ عن تعقب ما نقله يعني الموافقة، مما يجعلنا نؤكد ما قلناه سابقا، أن اهتمامه - في تفسيره هذا- بالجمع اكثر منه بالتحقيق.

---

(١) اخرج هذه الرواية ابن ابي شيبه في مصنفه، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في دلائل النبوه، والبزار في مسنده، انظر الزركشي، البرهان (٢٧٦/١).

(٢) هو القاضي الباقلاني كما في البرهان (٢٧٨/١).

(٣) الهميان (٣٢٨/١-٣٢٩) بتصرف.

(٤) انظر الزركشي ، البرهان ٢٧٧/١، السيوطي، الاتقان، ٩/١-١٩

والحقيقة أن ما كتب في علوم القرآن يحتاج إلى مزيد بحث وتحقيق، ولا يجوز أن يؤخذ على علاته، وما نسب منه إلى الصحابة، والتابعين، فيه نظر، فنجد مثلا أن العلماء اصطلحوا في معرفة المكي والمدني على اصطلاحات، ولكنا إذا نظرنا إلى أن الهدف من معرفة المكي، والمدني، هو معرفة المراحل التي مر بها بناء المجتمع المسلم، أيقنا تماما أن التقسيم الزمني هو الصحيح، بغض النظرعن مكان النزول، ولا شك أن كل مرحلة من هذه المراحل تتناول من الموضوعات ما يتناسب وطبيعة تلك المرحله، وليس من المعقول بحال أن نقول أن "يآ أيها الذين آمنوا" يمكن أن تكون مكية، وهي تخاطب مجتمعا مؤمنا لم تتشكل نواته إلا في المدينة.

واذا تتبعنا التفسير نجد أن الشيخ قد طبق مثل هذه الضوابط، والخصائص على الآيات، فمثال الأول:

عند تفسير سورة البقرة يقول :

وهي مدنية، وذكر بعضهم أن قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) نزل بمكه يوم النحر من حجة الوداع، ولا يناقي بأن هذه الآية ايضا مدنية، لأن المدني ما نزل بعد الهجرة مطلقا على ما بسطته في غير هذا المحل.(١)

ومثال الثاني عند تفسير قوله تعالى (**يآ أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا**) [البقرة/١٦٨] يذكر أنها نزلت في قوم حرموا على أنفسهم الأطعمة اللذيذة، والملابس الحسنه، وقيل نزلت في ثقيف، وخزاعة، وعامر بن صعصعه، وبني مدلج، فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، والبحيره، والسائمة، والحام، ويؤيده قوله (يآ أيها الناس) فإنه يقال في مكة وهو المشهور.(٢)

وما ذكره الشيخ فيه نظر، فإن سورة البقرة كلها مدنية، والآية دعوة عامة لأكل ما أحله الله، وهي تتناول بطبيعة الحال المشركين الذين حرموا ما أحل الله، وقد رجعت إلى تفسيري الطبري، وابن كثير، فلم أجد ما ذكره الشيخ، واورده الفخر الرازي دون تعقيب(٣) ، واعجب فيه الشيخ رحمه الله كيف فانه هذا وهو القائل: وقد تقرر أن البقرة مدنية وقد ذكر فيها يا أيها الناس .. .

---

(١) المصدر نفسه ١٦٣/١.

(٢) المصدر نفسه ٤٤٦/٢.

(٣) انظر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (٣/٥).

وقد يحكم على السورة بموضوعها جاء ذلك عند تفسير سورة البينة ذكر الشيخ أنها مكية، وقيل مدنية، ونسب للجمهور... وقيل ذكر الزكاة مع ذكر بني اسرائيل يقوي القول أن السورة مدنية لأن الزكاة انما فرضت بالمدينة، وانما دفع صلى الله عليه وسلم إلى مناقضة أهل الكتاب بالمدينة[١] .

ونسب ابن عطيه القول بمدنية السورة للجمهور، وجزم به ابن كثير، وقال الألوسي "هذا هو الأصح" للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد، وابن قانع في معجم الصحابه، والطبراني، وابن مردويه، عن ابي خيثمه البدري قال : لما نزلت لم يكن الذين كفروا .. قال جبريل: يا رسول الله، إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي: "ان جبريل أمرني أن اقرئك هذه السورة". قال أبي: وقد ذكرت ثم يا رسول الله؟ قال: نعم، فبكى أبي. ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبه بصيغة أخرى[٢] .

منهجه في عرض الأقوال

درج الشيخ رحمه الله أن يذكر في مقدمة كل سورة ما قيل فيها؛ هل هي مكية، أو مدنية، أو مكية إلا آيات، وقد يعقب احيانا على هذه الأقوال بالتصحيح، أو التضعيف وفق معايير معينة كما سأبينه فيما يلي :

١- عرض الأقوال دون تعقيب :

في مقدمة تفسيره لسورة الأعراف يقول الشيخ: سورة الأعراف مكية، الا "واسألهم عن القرية" قاله قتادة، وقيل إلا ثماني آيات "واسألهم عن القرية" إلى "وإذ نتقنا"، وقيل: إلا "واسألهم عن القرية" إلى "وإذ أخذ ربك" خمس آيات، وهو قول مقاتل، ورواية عن ابن عباس، وقال الضحاك كلها مكية، وهو المختار عن بعض[٣] .

والشيخ لم يجزم هنا بشيء من هذه الأقوال، وإنما ذكر أن الأخير هو اختيار بعض العلماء، وممن نقل الأقوال دون ترجيح أبو حيان في البحر، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم، والالوسي في روح المعاني، وقد نقل السيد رشيد رضا في المنار الاجماع على مكيتها وقال: "إن ما قبل هذه الآيات وما بعدها في سياق واحد، وهو قصة بني

---

(١) الهميان (١٥/٣٨٧).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٥٣٨). الألوسي، روح المعاني (٣٠/٢٠٠). والحديث اخرجه البخاري (٦٣) كتاب مناقب الانصار، (١٨) باب مناقب ابي بن كعب، رقم ٣٨٠٩ والترمذي (٥٠) كتاب المناقب، (٦٥) باب ومن فضائل أبي بن كعب رقم ٣٨٩٨.

(٣) الهميان (٦/٢/٥).

إسرائيل، على أن الغاية وهي (وإذ أخذ ربك) غير داخله في المغيا ، فهي بدء سياق جديد عام، ومقتضى ذلك أن السورة كلها مكية وهو الصحيح المختار".(١)

٢- **عرض الاقوال مع التعقيب والترجيح :**

أما في مقدمة تفسيره لسورة الأنفال، فيذكر أنها مدنية، ويورد استثناء مقاتل آية **(وإذ يمكر بك الذين كفروا)**، ثم يعقب الشيخ رحمه الله بقوله: والحق أنها مدنية كما قال ابن عباس، أنها نزلت بالمدينة تذكيرا بما وقع له من تنجيه الله إياه من أهل مكه حين أرادوا قتله من مكه..."(٢)

فهو هنا **يرجح قول ابن عباس** دون أن يستند الى دليل آخر، ولعل من قال بمكية الآية استدل بما روى أن ابا طالب قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ما يأتمر بك قومك؟ قال: يريدون أن يسجنوني، أو يقتلوني، أو يخرجوني. قال: من أخبرك بهذا؟ قال: ربي، قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا...، قال ابن كثير: وذكر أبي طالب في هذا غريب جدا، بل منكر لأن هذه الآية مدنية.(٣) وقال في المنار : وقد صح عن ابن عباس أن الآية نفسها نزلت في المدينة(٤) ، وعليه فالانفال كلها مدنية كما ذهب اليه الشيخ.

وربما رجح قول الجمهور أيضا، بنفس الطريقة، كما هو الحال عند تفسيره لسورة القمر، قال: هي مكية عند الجمهور، وقال بعض: (سيهزم الجمع) الآية مدنية، وقال بعض: (إن المتقين) الايتين مدني، والصحيح قول الجمهور(٥) .

وقد يرجح بالحديث الشريف، كما ورد عند تفسير سورة الجمعة، يقول: وهي مدنية على الصحيح لما روى أن ابا هزيرة قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه

---

(١) ابو حيان، البحر المحيط(٤/٢٦٦)، الالوسي، روح المعاني (٨/٧٤)ن أبو السعود، ارشاد العقل السليم (٣/٢٠٩)، رشيد رضا، المنار (٨/٢٩٤).

(٢) الهميان (٧/١/١١٩).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٨٩).

(٤) رشيد رضا، تفسير المنار (٩/٥٨١).

(٥) انظر الهميان (١٤/٥٦) وذكر الالوسي هذه الأقوال ورد القول بمدينة سيهزم الجمع بما أخرجه ابن أبي هاشم والطبراني في الاوسط، وابن مردويه عن ابي هريرة قال : انزل الله تعالى على نبيه صلى الله وسلم بمكه قبل يوم بدر (سيهزم الجمع ويولون الدبر)... الحديث، روح المعاني (٢٧/٧٣)، وقال ابو حيان: والجمهور على انها مكية، ويكفي لرد القول بمدنيتها ان لا دليل عليه، ابو حيان، البحر المحيط (٨/١٨) وانظر الرازي، مفاتيح الغيب (٢٩/٦٠).

وسلم، فنزلت عليه سورة الجمعة واسلامه بعد الهجرة بمدة، وقوله (يآ ايها الذين هادوا) خطاب لليهود وكانوا بالمدينة[١] .

وربما استغان بسبب النزول لترجيح القول بمكية السورة، فعند تفسير سورة الكافرون ذكر أن سبب نزولها، أن نفرا من قريش منهم أبي بن خلف، وأبو جهل وابنا الحجاج، عرضوا على الرسول عليه السلام أن يعبد ربهم مقابل أن يعبدوا ربه، فنزلت قال الشيخ : وفي ذلك دليل على أن السورة مكية[٢] .

وإذا لم يكن في السورة خلاف نقل الاجماع على ذلك كما في سورة نوح يقول مكية اجماعا[٣] ، وسورة الحشر مدنية باتفاق[٤] .

ونكتفي بهذا الحديث عن المكي والمدني، ولنتابع ما كتبه في الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثاني

الناسخ والمنسوخ

تعرض الشيخ للنسخ في مبحث طويل عند تفسير قوله تعالى **(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)** [البقرة/١٠٦]. فعرفه، وفرق بينه وبين التخصيص، وبينه وبين البداء، ثم رد على منكريه، ثم ذكر طرق معرفة النسخ، وتحدث عن أنواعه وأقسامه.

وعند المقارنة بما جاء في "الاتقان"، "والبرهان" تبين لي أنه منقول من الاتقان، وأن العبارة هي عبارة السيوطي بنصها ولهذا السبب اكتفى بالاحالة على الكتابين[٥] .

---

(١) الهميان (٢٤٤/١٤) اخرجه البخاري في تفسير سورة المعه، (٢٨٤) باب قوله تعالى "وآخرين منهم لما يلحقوا بهم" رقم ١٧٨٢، وذكره ابن كثير ثم قال (ففي هذا الحديث دليل على أن السورة مدنية)(٣٦٣/٤).

(٢) الهميان (١٤٦٥/١٥) أخرجه ابن جرير عن عكرمه عن ابن عباس، وآخر عن محمد بن اسحاق، انظر الطبري جامع البيان (٧٢٧/١٢) والالوسي، روح المعاني (٢٥٠/٣)، وانظر الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول ، الطبعة الأولى، تخريج عصام الحميدان، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٤٦٧.

(٣) الهميان (٣٩٨/١٤).

(٤) المصدر نفسه (١٨٤/١٤).

(٥) انظر الهميان (٢٢٢/٢ – ٢٥٨)ن وانظر السيوطي، الاتقان (٢٠/٢-٢٧) ، والزركشي، البرهان (١٦٠/٢ وما بعدها).

المبحث الثالث

أسباب النزول

يعرفه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "أسباب نزول القرآن هي حوادث يروى أن آيات القرآن نزلت لأجلها، كبيان لحكمها، أو لحكايتها، أو إنكارها، أو نحو ذلك"(١) .

وكما أن المكي والمدني والناسخ والمنسوخ علوم مهمة لمعرفة كتاب الله، فإن أسباب النزول لا تقل أهميتها عن ذلك، يقول أبو الفتح القشيري: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز(٢) وقال ابن تيميه "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب(٣) .

أما طريق معرفة سبب النزول فهو النقل الصحيح عن الصحابة رضوان الله عليهم، فهم وحدهم الذين عايشوا نزول القرآن، وشاهدوا الأحداث التي لأجلها نزلت بعض الآيات، قال الواحدي : "لا يحل القول في اسباب نزول الكتاب إلا بالرواية، والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها"(٤) .

وإذا تتبعنا منهجية الشيخ – رحمه الله – في تفسيره الهميان نجده إما أن

– **يذكر السبب من مصدره من الصحاح مع سنده.** ومن الأمثلة على ذلك :

أ- ما ذكره من سبب نزول قوله تعالى **(وما كان الله ليضيع إيمانكم)** [البقرة/١٤٣]. يقول قال البخاري، ومسلم عن البراء: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان أول ما قدم المدينة نزل على اجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأن أول صلاة صلاها إلى الكعبة بعد بيت المقدس صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قبل الكعبة- فداروا كما هم قبل، وكانت اليهود قد أعجبهم، أنه كان يصلي –صلى الله عليه وسلم– قبل بيت المقدس، وهي قبلة اهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، قال البراء:

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤(١/٤٦).

(٢) الزركشي، البرهان (١/١١٧).

(٣) ابن تيميه، مقدمة اصول التفسير، ص ٤٧.

(٤) السيوطي، الاتقان (١/٣١).

ولقد علمنا

وفات على القبلة قبل ان تحول رجالا
كان الله ليضيع ايمانكم)[١] .

ب- وما ذكره أيضا عند تف
ظهورها)[البقرة/٨٩
البراء بن عازب ر
قبل أبواب البيوت، فجاء
فنزلت الآية[٢] .

لم- حرص
المسجد،
فنزلت

عليه
لا

وإما أن يورد السبب من غير د

منها: يقول عند تفسير (إن الحسنات يذهبن
اليسر كعب بن عمرو بن غزية الأنصاري قال.
فاعجبتني، فقلت: إن في البيت تمرا أطيب من هذا، فدخ
الى نفسي، فقالت لي: اتق الله فتركتها وندمت، فأتيت ابا بحر
على نفسك وتب، ولا تخبر أحدا فلم أصبر، فأتيت عمر، فذكرت
فلم أصبر فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكرت ذلك له .
في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ وأطرق عني، وظننت أني من أهل النـ
يغفر لي أبدا، وتمنيت أن لو أسلمت حينئذ فنزل بعد الاطراق الطويل (وأقم الص
قوله (للذكرين)[٣] .

---

(١) الهميان (٣٨١/٢)، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الايمان، باب الصلاة من الايمان، وفي كتاب القبله، باب التوجه نحو القبله حيث كان، وفي تفسير سورة البقرة، باب "سيقول السفهاء"، وباب قوله تعالى "ولكل وجهة هو موليها" وفي خبر الواحد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق وأخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم الحديث (٥٢٥). وانظر الطبري، جامع البيان (١٩/٢)، ابن كثير (١٨٢/١)، الالوسي (٣/٢).

(٢) الهميان (٦٧/٣) ، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب قوله تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها، وفي التفسير، باب وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ومسلم في كتاب التفسير، رقم ٣٠٢٦ .

(٣) الهميان (٢٩٩/١/٨) والحديث أخرجه البخاري. صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة (٩) باب الصلاة كفاره (٤) الحديث ٥٢٦ وكتاب التفسير (٦٥) باب قوله تعالى (أقم الصلاة طرفي النهار)(٦) الحديث (٤٦٨٧) واخرجه مسلم كتاب التوبه (٤٩) باب قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) (٧) الحديث (٢٧٦٣/٣٩) وذكره الترمذي من رواية أبي اليسر كتاب تفسير القرآن(٤٨) باب سورة هود(١٢) الحديث (٣١١٥) وقال "هذا حديث حسن صحيح". ويلاحظ أن هذه الواقعة في المدينة وسورة هود مكية وخرج الزركشي هذا الاشكال بأن الآية نزلت مرتين، البرهان(١٢٤/١) وهذا لا يصح. والحديث اخرجه ابن جرير بهذا اللفظ عن ابي اليسر انظر جامع البيان ١٣٤/٧،وأخرج نحوه أحمد، ومسلم، وأهل السنن إلا أبا داؤد من طرق عن أبي عثمان النهدي ورواه احمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وهذا لفظه من طرق عن سماك بن حرب انه سمع ابراهيم بن يزيد يحدث عن علقمه والاسود عن ابن مسعود قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:يا رسول الله:إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبلتها، ولزمتها، و لم أفعل غير ذلك فافعل بي ما شئت، فلم يقل رسول

وعند تفسير قوله تعالى (وما كان ... ولقد علمنا
أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) [1]
صلى الله عليه وسلم خطب ز...
ظنت أنه يخطبها لنفسه ف...
يا رسول الله فلا أرضاه لـ...
وغضبا جميعا فنزل (وما كان ...

وربما ذكر الروايات المتعددة ...
تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم ...
سبب نزولها روايتين :

الأولى: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى حم...
بكاء شديدا، ولم ير شيئا أوجع لقلبه منه، فقال: رحمة الل...
فعالا للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك تم...
والله لأن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك. فنزلت الآية.

والرواية الأخرى عن كعب* قال أصيب من الانصار أربعة وستو...
المهاجرين ستة، فقالت الأنصار: لأن أصبنا منهم يوما لنزيدن من الفعل والمثل...
فتح مكه انزل الله تعالى (وان عاقبتم)، فقالوا بل نصبر يا ربنا، وروى أن رج...
المسلمين قال: لاقريش بعد اليوم، فقال صلى الله عليه وسلم: كفوا عن القوم إلا اربعة[3].

= الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه، فاتبعه رسول الله بصره ثم قال "ردوه علي" فردوه عليه فقرأ عليه (أقم الصلاة...) وليس في هذه الرواية ما يشير إلى أن الحادثة كانت سببا للنزول فلعل نزول الاية كان في مكة، ثم قرأها الرسول عليه السلام على الصحابي في المدينة. قال في المنار (٢/١٢) عند تفسير سورة هود "هي مكية حتما كالتي قبلها واستثنى بعضهم ثلاث آيات منها (اقم الصلاة) قيل إن هذه الثلاث مدنية وهو خلاف الظاهر ولا يقوم عليه دليل. وروى الحديث بالفاظ وطرق مختلفة انظر جامع البيان (١٣١/٧-١٣٥) تفسير ابن كثير (٤٤٤/٢-٤٤٥).

(١) الهميان (٩٠/٢/١٢) وانظر ابن كثير، تفسير (٤٧٠/٣)، الألوسي، روح المعاني (٢٣/٢١) وللمزيد انظر الهميان ٤، ١٥٩، ٤٠٣، ٢٨٣/٥، ٤٨/١/١٠، ٢٧٩/١/١٢.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٨٣، ابن العربي، احكام القرآن (١٧٥/٣). البيهقي، دلائل النبوه ٢٩٠/٣، المعجم الكبير ١٥٦/٣، الطبراني، المستدرك ١٩٧/٣، مجمع الزوائد ١١٩/٦، الدر المنثور ١٣٥/٤، فتح الباري ٣٧١/٧ ابن كثير ٢٠٥/٣، انظر البخاري كتاب المقارن ب٢٣ ، زاد المسير (٣٧٠/٤).

(٣) المستدرك، ٣٥٩/٢، موارد الظمان ١٦٩٥، دلائل النبوه ٢٨٩/٣ زاد المسير (٣٧١/٤) ابن كثير ٥٧٣/٢.

* الرواية عن ابي بن كعب وليست عن كعب ولعله خطأ في الطباعة انظر ابن كثير (٥٧٣/٢).

أقول وما ذكره الشيخ من اسباب نزوا
أخرج ابن جرير، وابن كثير، من أسباب
عن المشركين فاسلم رجال لهم منعة
هؤلاء الكلاب فنزل (وان عاقبتـ

واختار ابن جرير أن الاية م
مما نال الظالم منه.(١) وقد ذكر ابن كـ
طريقين:

الطريق الأول عن محمد بن إسحاق، عن بـ
وذكره... قال: "وهذا مرسل وفيه رجل مبهم لم يسم".

الطريق الأخرى: متصلة عن أبي هريرة، وذكره. ثم
لأن صالحا هو ابن بشير المري ضعيف عند الائمة، وقال البخاري

أما الرواية الثانية، فلا تصلح أن تكون سببا لنزول الآية، لار
متزامنه مع نزول الأية، وعليه فالآية مكية، ويؤيد ذلك السياق، قال الفخر الرا
استبعد أن تكون إحدى هاتين الحادثتين سببا لنزول الاية ما حاصله: "إن الله أمر
عليه السلام أن يدعو الى ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن
وربما تعرض للايذاء، فان حمله ذلك على معاقبة من آذاه، فليراع العدل، ولا يشتط في
العقوبة ثم قال: "فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه"(٣).

ب- وعند تفسير سورة الضحى ذكر في سبب نزولها ما يلي:(٤)

أ- سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، وذي القرنين
وأصحاب الكهف، فقال سأخبركم غدا، ولم يقل إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي أربعين
يوما، قال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اثنى عشر فقال المشركون ودعه ربه وقلاه
فانزل الله عز وجل السورة.

---

(١) الطبري، جامع البيان (٦٦٥/٧).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٧٣/٢).
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب (١١٣/٢٠).
(٤) الهميان (٣٢٧/١٥)، وانظر الطبري، جامع البيان (٦٢٣/١٢)، وابن كثير (٥٢٤/٤).

ب- عن جندب بن سفيان: اشتكى رسول ، ولقد علمنا
أو ثلاثا، فجاءت امرأة وهي أم جميل فقالت
تركك. فنزلت[١] .

ج- عن جندب أيضا: كنت مع ر
فدميت أصبعه، فقال صلى الله عليه وسلم: هل
لقيت، فابطأ عنه جبريل فقال المشركون: إن محمد

د- قال زيد بن اسلم : إن جروا دخل بيته، وما
عنه، وهو لا يدري بالجرو، ولما جاءه جبريل عاتبه ما أبطأ
فيه كلب أو صورة.

أقول: إذا جئنا إلى هذه الروايات، فإننا لا نجد من أخرج ،
الصحاح، ولا السنن، ولا الذين اعتنوا بالمأثور كابن جرير، وابن كثير.
بعض المفسرين.

أما الرواية الأخيرة، فأخرجها الطبراني وابن أبي شيبه، من طريق حفص
سعيد، قال الهيثمي: "في اسناده من لا يعرف" وقال عنها ابن حجر في فتح الباري :

"قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب،
بل شاذ، بل مردود بما في الصحيح، وفي اسناده من لا يعرف، فالمعتمد ما في
الصحيح"[٣] وقال د. صبحي الصالح: "ورائحة الوضع ظاهرة في الرواية الثانية [أي
رواية الجرو]، فكل ما فيها من اللفظ، والمعنى يدعو إلى الدهشة والاستغراب، بينما
الرواية الأولى صحيحة..." [٤] .

(١-٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ابى حاتم، وابن جرير من طرق عن الاسود بن قيس عن جندب هو ابن عبدالله البجلي ثم العقيلي انظر ابن كثير ٥٢٣/٤، وانظر جامع البيان (٦٢٣/١٢) وفي الرواية الثانية عن جندب زيادة فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقال له امرأة ما أرى شيطانك..الخ" وعليه فمرد الروايتين واحده. قال ابن كثير ، وقوله هذا الكلام الذي اتفق انه موزون ثابت في الصحيحين، ولكن الغريب ههنا جعله سببا لتركه القيام ونزول هذه السورة " اهـ ابن كثير (٥٢٤/٤) وذكر الالوسي هذه الروايات "والمعول ما عليه الجمهور وصحت به الاخبار ان القائل هم المشركون... الخ" انظر روح المعاني (١٥٨/٣٠).

(٣) ابن حجر، فتح الباري، (٥٨٠/٨)، مجمع الزوائد ١٣٨/٧.

(٤) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط/١٧، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٤٧.

وعليه فإن سبب نزول الآية هو رواية جندب
الالوسي : "والمعول ما عليه الجمهور، وصح

وإن فات الشيخ -رحمه الله- بعض الر
يعقب عليها، فليس معناه أنها قاعدة مضطردة عند
العقلي، وربما ضعف بعضها معتمدا على تاريخ النزو

فمن الأول، ما ذكره من سبب نزول قوله تعالى (ا
قريب..) [البقرة/١٨٦]. روي أن اعرابيا قال لرسول الله صلى
ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت الآية.

- وقيل إن الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: في أي س
فنزلت.
- وقيل ان بعض الصحابة الحديثي العهد بالإيمان، قالوا لرسول الله صلى ا
وسلم: أين ربنا؟ فنزلت.
- وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال يهود المدينة: يا محمد كيف سمع ربنا
دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وأن غلظ كل سماء مثل
ذلك؟ فنزلت: ثم يعقب على هذه الروايات بقوله والروايتان السابقتان أولى، لأن
اضافة العباد الى نفسه مع قوله: (إني قريب) تدل على اللطف والرحمة، ولا يناسبها
هؤلاء الكفرة المغضوب عليهم[٢] .

وقد أخرج هذه الروايات إلاالأخيرة الإمام الطبري بسنده، الأولى عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن ابيه عن جده، والثانية عن عطاء، والثالثة عن الحسن[٣] .

وذكر ابن كثير الأولى من رواية ابن مردوية وأبي الشيخ الأصبهاني[٤] . والألوسي عن أبي[٥] ، والأقرب أن هذه الروايات تفسيريه، وليست اسباب نزول والله أعلم.

---

(١) الالوسي، روح المعاني (١٥٨/٣٠).
(٢) الهميان (٣٦/٣)
(٣) الطبري، جامع البيان (١٦٥/٢).
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٠٧/١).
(٥) الالوسي، روح المعاني (٦٣/٢).

وعند تفسير قوله تعالى (ولقد علمنا المستقدمين منكم، ولقد علمنا المستأخرين)[الحجر/٢٤] يذكر روايتين سببا لنزولها[١] .

أ- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حرض على الصف الأول في الصلاة، فازدحموا عليه، وكانت بيوت قوم بعيدة عن المسجد، فقالوا لنبيعن دورنا، ونشتري دورا قريبه من المسجد، لندرك الصف الأول فنزلت الآية.

ب- عن ابن عباس أيضا: كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم-، لا والله ما رأيت مثلها قط، فكان بعض الناس يتقدم للصف الأول لئلا يراها، وبعض يتأخر ليراها، فإذا ركع، أو سجد، نظر إليها من تحت ابطه. قال ابن العربي رواه الترمذي[٢] وغيره وأراد بغيره النسائي ورواه ابن الجوزي ولم يذكر ابن عباس.."

ثم يعقب الشيخ على هذه الرواية بقوله :

فإن صح ذلك فلعل ذلك صدر من بعض المنافقين، أو من الأعراب الذين قرب عهدهم بالاسلام..

أقول وهذه الروايات كلها لا تصلح أن تكون سبب نزول الآية:

أولا: قال ابن كثير في تفسير الأية: "وقد ورد فيه حديث غريب جدا، فقال ابن جرير حدثني محمد بن موسى الجرشي، حدثنا نوح بن قيس، حدثنا عمرو بن قيس، حدثنا عمر بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس وذكره... وكذا رواه أحمد، وابن ابي حاتم في تفسيره، ورواه الترمذي، والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما، وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس، وقد وثقه أحمد، وأبو داود وغيرهما، وحكى عن ابن معين تضعيفه، وأخرجه مسلم، وأهل السنن وهذا الحديث فيه نكاره شديده... والظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط، وليس فيه لابن عباس ذكر... "[٣]

وروى مثله عن الترمذي، وابن حجر في الكافي الشافي. وأبو الجوزاء هذا اسمه أوس بن عبدالله الربعي البصري. قال ابن حجر في تهذيب التهذيب، "وأبو الجوزاء روى

---

(١) الميزان (١٤٢/١/٩)، وانظر الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٧٥.

(٢) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، (٤٨) كتاب التفسير، (١٦) باب ومن سورة الحجر، رقم الحديث ٣١٢٢- ج٥، ص ٢٩٦ وفي سنده أبو الجوزاء.

(٣) ابن كثير، (٥٣٠/٢).

عن الصحابة وأرجو أن لا بأس به ولا يصح روايته عنهم أنه سمع منهم" وقال في التقريب : يرسل كثيرا[١] .

ثانيا: هذه الروايات مدنية، والسورة كلها مكية بالاجماع، نقل ذلك القرطبي في تفسيره، والشوكاني في فتح القدير[٢] وآخرون .

ثالثا: قال الإمام الطبري في تفسير الآية "ولقد علمنا من مضى من الأمم فتقدم هلاكهم، ومن قد خلق وهو حي، ومن لم يخلق بعد ممن سيخلق" ونسبه إلى عكرمه ومحمد بن كعب، وقتاده ومجاهد، والضحاك، والشعبي ورجحه ابن جرير[٣] ، وهو الذي يقتضيه السياق، فالايات التي قبل هذه الآية **(وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون)**، والآيات التي بعدها **(وإن ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم، ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون)** [النحل ٢٣-٢٦].

فالآيات جاءت في معرض الرد على أهل مكة وإنكارهم للبعث، فالله وحده هو المحيي والمميت، وهو العالم بمن تقدم، ومن تأخر، وأنه هو وحده القادر على بعثهم، وحشرهم، وليس لها دلاله من قريب أو بعيد بصفوف الصلاة.

ومن الثاني ما أورده سببا لنزول قوله تعالى **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)** [الانعام/٥٢] يقول :

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- : مر ملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب، وعمار، وخباب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين؟ فقالوا: يا محمد، رضيت بهؤلاء بدلا من قومك، أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعا لهؤلاء، اطردهم فلعلك إن طردتهم تبعناك فنزلت الآية.

وتفسير الملأ جاء في رواية عكرمه أنه قال جاء عتبه بن ربيعة، وشيبه بن ربيعه، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى ابي طالب عم النبي -صلى الله عليه و سلم-، فقالوا: يا أبا طالب، لو أن ابن اخيك محمدا يطرد عنه موالينا، وحلفاءهم، فإنما هم عبيدنا، وعتقاؤنا، كان اعظم في صدورنا..

الرواية الثانية عن سلمان، وخباب بن الأرت: فبينا نزلت **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم..)** الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي، وعيينه بن حصن الفزاري، وهما من المؤلفة قلوبهم، فوجدا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب، وبلال، وعمار،

---

(١) العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب (٣٤٨/١).

(٢) انظر الشوكاني، فتح القدير، ط١، حققه سيد ابراهيم دار الحديث القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، (١٧١/٣).

(٣) الطبري، جامع البيان (٥٠٧/٧-٥٠٨).

وخباب، في نفر حوله من ضعفاء المسلمين؟ فلما رأوهم حقروهم، فأتوهم فقالوا: يا رسول الله، لو جلست في صدر المجلس، ونفيت عنا هؤلاء، وأرواح جباتهم -، وكانت عليهم جبات صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها- لجالسناك، وأخذنا عنك، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما أنا بطارد المؤمنين) قال: فإنا نحب أن تجعل لنا مجلسا تعرف به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فأقعدهم إن شئت، قال: نعم، قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا، قال فأوتي بالصحيفة، ودعا عليا ليكتب قال سلمان: ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله **(ولا تطرد الذين يدعون ربهم)** إلى قوله **(أليس الله بأعلم بالشاكرين)** فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده، ثم دعانا فأتيناه، وهو يقول: "**سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة**".

ويعقب الشيخ على هذه الرواية بقوله : ولا شك أن اسلام سلمان بالمدينة كما شهرت قصته من السير، وكذا إسلام المؤلفة قلوبهم كان في المدينة، بل شهر أنه بعد الفتح، والانعام مكية فلم تصح هذه الرواية[١] ، وهي كما قال.

والروايتان اخرجهما ابن جرير دون أن يعقب عليها[٢] ، وذكرهما ابن كثير، وقال معقبا على الرواية الثانية: "وهذا حديث غريب فإن الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينه إنما أسلما بعد الهجرة بدهر"[٣] .

---

(١) الهميان (٦/١/٩٢-٩٣).

(٢) الطبري، جامع البيان (٥/١٩٩).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن (٢/١٢٨)، وانظر الالوسي، روح المعاني (٧/١٥٨).

المبحث الرابع

منهجه من القراءات

القراءات هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها بعزو الناقلة.(١)

واتفقوا على تواتر السبع، واختلفوا فيما عدا ذلك. يقول البنا: "والحاصل أن السبع متواترة اتفاقا، وكذا الثلاثة أبو جعفر، ويعقوب، وخلف، على الأصح، بل الصحيح المختار، وهو الذي تلقيناه عن عامة شيوخنا، وأخذنا به عنهم، وبه نأخذ وأن الأربعة بعدها، ابن محيصن، واليزيدي، والحسن، والأعمش شاذه اتفاقا"؟(٢)

وإذا عدنا إلى تفسير الشيخ رحمه الله، وجدنا أن عنايته بالقراءات اكثر من غيرها من علوم القرآن الأخرى، فلا يكاد يمر بآية، إلا ويذكر ما فيها من قراءات، صحيحة كانت أم شاذه، مع توجيهها على المعنى في الغالب الأعم، وربما أشار إلى الشاذه منها ولكن بقدر، وهو في ذلك كله يعزو كل قراءة إلى من قرأ بها سواء كان من الصحابة، أو التابعين، أو غيرهم من القراء، ونظرا لأن الشيخ -رحمه الله- يقرأ بقراءة نافع، ورسم مصحفه على هذه القراءة، فقد لا يذكرها، وكثيرا ما يقول: "وقرأ غير نافع" وإذا ذكرها قدمها على سائر القراءات، وقد لا يذكر القاريء احيانا فيقول، وقرئ كذا، وقرأ بعضهم كذا. أما منهجه في عرض القراءات فيمكن تلخيصه فيما يلي :

١- يستعرض القراءات الصحيحة الواردة في اللفظ من غير توجيه.

عند تفسير قوله تعالى (**إذ يغشيكم النعاس أمنة منه**) [الانفال/١١] يعرب الاية على قراءة نافع [تخفيف يغشيكم] على أن الكاف هو المفعول الثاني، والنعاس مفعول أول، والفاعل الضمير العائد إلى رب العزة، ثم يذكر قراءة عاصم، وحمزة، وابن عامر، والكسائي، بفتح الغين وتشديد الشين، يقول وبه قرأ عروة بن الزبير، والحسن، وأبو رجاء، وعكرمه وغيرهم، والاعراب مثله في ذلك. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، (إذ يغشاكم) بفتح الباء والشين ورفع النعاس، وبه قرأ مجاهد، وابن محيصن(٣) .

---

(١) ابن الجزري، منجد المقرئين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٥، الزركشي، البرهان.

(٢) البنا أحمد الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر، دار الندوه، بيروت، ص٧. والقراءات السبع هي قراءة: عبدالله بن عامر الشامي، ١١٨هـ، وعبدالله بن كثير الداري المكي، ت ١٢٠هـ، وأبي عمرو بن العلاء البصري ت١٥٤هـ، وحمزة بن حبيب الزيات الكوفي، ت١٥٦هـ، ونافع بن عبد الرحمن الليثي المدني، ت١٦٩هـ، وعلي بن حمزة الكسائي، ت ١٨١هـ وعاصم بن أبي النجود الكوفي، ت ١٢٧هـ.

(٣) الهميان (١٦٦/١/٧). وانظر الداني، التيسير، (١١٦)، وانظر القيسي، مكي بن ابي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، الطبعة الرابعة، تحقيق د/محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧، (٤٨٩/١).

وعند تفسير قوله تعالى (**يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه**) [هود/١٠٥] يقول:

باثبات الياء في الوصل عند نافع، وأبي عمرو، والكسائي، وفي الوصل والوقف، ابن كثير، وحذفها ابن عامر، وعاصم، وحمزة، واجتزوا بالكسره.(١)

٢- يستعرض القراءات الصحيحة الواردة في اللفظ مع التوجيه على المعنى.

والشيخ رحمه الله قلما يترك القراءات دون توجيه، والأكثر من حاله أنه يوجه هذه القراءات على المعاني، كما عند تفسير قوله تعالى (**وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا**)[النساء/١٣٥]. يقول: أصله تلويوا، من لوى يلوي، كرمى يرمي، ثقلت الضمة على الياء. فنقلت للواو قبلها، وسكنت الياء، فحذفت لالتقاء الساكنين، أو حذفت الضمة فحذفت الياء بالتقائهما، وضم ما قبلها، وقرأ حمزة، وابن عامر: (وإن تلوا) بضم اللام بعدها واو واحدة هي واو الجمع من ولي يلي..، ثم يوجه القراءتين فيقول: والمعنى على قراءة الجمهور: وإن تلووا ألسنتكم عن إقامة الحق في الشهادة، أو الحكم من لي الشيء بمعنى إمالته، وعلى قراءة حمزه، وابن عامر: إن وليتم إقامة الشهادة أو الحكم فجئتم بالحق(٢) .

وعند تفسير قوله تعالى (**وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته**) [الاعراف/٥٧] يبدأ الشيخ كعادته بقراءة نافع ومن وافقه (نشرا) فيقول: (نشرا) جمع نشور بفتح النون؛ أي ناشرات السحاب، أي جامعة له وقرأ ابن عامر بسكون الشين، أما جمعا له آخر، أو تخفيفا وقرأ حمزة، الكسائي بسكون الشين، وفتح النون، على أنه مصدر، أو حال مبالغة، أو بتأوله بالوصف؛ أي ناشرات أو بقدر مضاف دوات نشر.

وقرأ عاصم : (بشرا) بباء موحدة مضمومه، وسكون الشين، جمع بشير بمعنى (مبشرا)، وأصله الضم سكن تخفيفا، وهو ايضا جمع(٣) .

---

(١) الهميان (٢٧٩/١/٨) وانظر الداني، التيسير، (١٢٧)، مكي، الكشف، (٥٤٠/١)، وقال مكي: "وعلة من حذف في الوقف، أنه اتبع خط المصحف في وقفه، واتبع الأصل في وصله، فجمع بين الوجهين.. ووجه قراءة من اثبتها في الوقف والوصل، أنه أتى بها على أصلها، ووفق بين الوصل والوقف... ، وحجة من حذفها في الوصل والوقف، أنه اتبع الخط واكتفى بالكسرة من الياء في الوصل، وأجرى الوقف على الوصل فحذف، والاختيار حذفها استخفافا، واتباعا للمصحف، ولأن عليه اكثر القراء" اهـ الكشف (٣٣٣/١) وانظر الداني، التيسير، ٩٧، مكي، الكشف، (٣٩٩/١).

(٢) الهميان (٢٠٥/٥)، وانظر الداني، التيسير، ص ٩٧، مكي، الكشف، (٣٩٩/١).

(٣) الهميان (٤٣٥/١١)، وانظر الداني، التيسير، (١١٠)، مكي، الكشف (٤٦٥/١).

٣- يستعرض القراءات الصحيحة والشاذة ثم يوجهها على المعاني.

ولا يقتصر الشيخ -رحمه الله- على القراءة الصحيحة، بل يذكر معها الشاذة ويوجهها، ومن الامثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى (**وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم**)[هود/٤١] يقول: "قرأ الاخوان: حمزه، والكسائي، بفتح الميمين، فيكون ذلك أسمي مكان، أو زمان، أو مصدر ميمي، من جرى، ورسا الثلاثيين، وكذا قرأ حفص عن عاصم".

وقرأ الحرميان، نافع، وابن كثير، وغيرهما بضم الميم، من أجرى وأرسى الرباعين، والرسو الثبوت، والإرساء الإثبات.(١) وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بضم الميمين، وكسر الراء والسين، وهما اسما فاعل أجرى وأرسى نعتان لله. وأما ما روى أن حفصا قرأ بضم الميم وكسر الراء، فالمراد بالكسر فيه الإمالة، والقراءة التي نقلها الشيخ عن مجاهد هي قراءة الحسن، وليست لمجاهد كما في الإتحاف(٢) .

وعند تفسير قوله تعالى (**فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية**)[يونس/٩٢] يذكر مع قراءة الجمهور قراءة يعقوب (ننجيك)، بالتخفيف، ثم يجمع بينها أن المعنى واحد، قال: ويجوز أن يكون مأخوذين من النجوه، وهو المكان المرتفع، أي نلقيك على نجوة من الأرض، وقرئ (ننحيك) بالحاء المهملة من انحاه بمعنى ألقاه في ناحية"(٣) .

والقراءة الأخيرة هي قراءة ابي بن كعب، ومحمد بن السميفع ويزيد البربري.

٤- يذكر القراءات الصحيحة الواردة في اللفظ ثم يجمع بينها :

وعند ذكره للقراءات الصحيحة، يحاول الشيخ أن يجمع بينها اذا كانت تؤدي إلى معنى واحد، كما عند تفسير قوله تعالى(**سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**)[الانفال/١٢] يقول وقرئ بضم العين وهو قراءة ابن عامر، والكسائي، ومعناه على القراءتين الخوف.(٤)

وعند تفسير قوله تعالى (**أقتلت نفسا زكية بغير نفس**)[الكهف/٧٤] ينقل قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو ورويس ويعقوب زاكية بالف بعد الزاي وتخفيف الياء،

---

(١) الداني، التيسير، (١٢٤)، مكي، الكشف ٥٣٨/١.

(٢) الهميان (٢٠١/١/٨)وانظر البنا، أحمد عبد الغني الدمياطي، اتحاف فضلاء البشر، (٢٥٦).

(٣) الهميان (١٢٥/١/٨) وانظر، ابن جني، المحتسب، (٣١٦/١).

(٤) الهميان (١٦٩/١/٧) وانظر، البنا، إتحاف فضلاء البشر، (٢٣٦).

وقرأ الباقون بدون الف وتشديد الياء، ثم يجمع بين القراءتين بأن معناهما واحد لكن في الثانية مبالغة.(١)

٥- يستعرض القراءات الصحيحة والشاذة ثم يجمع بينها :

وكما يجمع الشيخ بين القراءات الصحيحة التي تتفق في المعنى، فكذلك يجمع بين الصحيحة والشاذه، لتوافق القراءة الشاذه قراءة الجمهور، ومن أمثلة ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى **(فجاسوا خلال الديار)** [الاسراء/٥] يفسر جاسوا بالطواف، والتردد للقتل، والغاره، ثم يذكر قراءة أبو السمال (فحاسوا)، بالحاء المهمله، ثم يجمع بين القراءة الصحيحة والشاذه بأن المعنى واحد(٢) .

وعند تفسير قوله تعالى **(أو يأتيهم العذاب قبلا)**[الكهف/٥٥] يبدء بقراءة نافع (قبلا) بكسر القاف وفتح الباء، ثم يذكر قراءة الكوفيين بضمتين، وقرى بفتحتين، يقول:

وهما لغتان فيه، ومعنى الثلاثة واحد، وهي المعاينة والمقابلة.(٣)

٦- يستعرض القراءات الصحيحة الوادة في اللفظ مع الترجيح:

وعندما يختلف الاعراب بين القراءات، يتعذر الجمع بينها، إذ باختلافه يختلف المعنى، وفي هذه الحال ربما فاضل الشيخ بين القراءات الصحيحة مرجحا بعضها، فمن تفضيله بعض القراءات الصحيحة على بعض عند تفسير قوله تعالى **(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا)** [آل عمران/٨٠]

يشير الشيخ -رحمه الله- إلى قراءة الرفع (يأمركم) بقوله: وجملة "لا يأمركم مستأنفه" ثم يذكر أن ابن عامر، وحمزه، وعاصم، ويعقوب قرأوا بنصب يأمر عطف على يقول، ثم يضيف مرجحا قراءة الرفع، و "قراءة الرفع أظهر، للوقوع بعد تمام الآية"(٤) .

ولا يخفى الشيخ ميلولته لقراءة نافع فيقدمها حينا ويختارها أحيانا فعند تفسير قوله تعالى **(ذلك ما كنا نبغ)** [الكهف/٦٤] يقول:

---

(١) الهميان (١٠/١/١٥٨) وانظر الداني، التيسير، ١٤٤، مكي، الكشف ٢/٦٨، والبنا، اتحاف فضلاء البشر، ٢٩٣.

(٢) الهميان (٩/٢/٨٧) ، وانظر ابن جني، المحتسب (٢/١٥).

(٣) الهميان (١٠/١/١٣١) وانظر الكشف ٢/٦٤، الكشاف (٣/٢١١) ، ابو حيان، البحر المحيط (٦/١٣٢).

(٤) الهميان (٤/١٤٩)، وانظر الداني: التيسير ص٨٩، مكي، الكشف، (١/٣٥٠).

أثبت الياء في الوصل نافع، وحذفها في الوقف، وكذا أبو عمرو، والكسائي، واثبتها في الوصل والوقف ابن كثير، وقراءة نافع أولى اتباعا لخط المصحف.(١)

هذا وقد منع بعض العلماء ترجيح إحدى القراءات الصحيحة على الأخرى وفي ذلك يقول أبو جعفر النحاس: "السلامة عند أهل الدين، أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة، ألا يقال: إحداهما أجود، لأنهما جميعا عن النبي- صلى الله عليه وسلم-.

وقال شهاب الدين أبو شامه: "قد أكثر المصنفون في القراءات، والتفاسير، من الترجيح بين قراءة "ملك" و "مالك" (الفاتحة) حتى ان بعضهم يبالغ إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود، بعد ثبوت القراءتين، واتصاف الرب تعالى بهما..." وقال صاحب التحرير "لا وجه للترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض، وهو مشهور في كتب الائمة من المفسرين، والقراء، والنحويين ... "(٢)

٧- يستعرض القراءات الواردة في اللفظ مع بيان أوجه الإعراب لها:

من توجيه القراءة أيضا بيان الوجه الإعرابي لهذه القراءة، فبه يتضح المعنى، وهذا عند الإمام القطب كثير، أذكر منه على سبيل المثال عند تفسير قوله تعالى **(وكفلها زكريا)** [آل عمران/ ٣٧].

يسكت الإمام القطب عن قراءة التخفيف (كفلها) لأنها قراءة نافع، وهي التي يقرأ بها، ولكنه يذكر القراءة الأخرى ثم يعربها، فيقول: "وشدد الفاء حمزة، والكسائي، وعاصم، وقصروا (زكريا)، فزكريا على هذه القراءة إما فاعل، والتشديد للمبالغة، وإما مفعول ثان، والتشديد للتعدية، وروى عن حفص عن عاصم: أنه مد (زكريا) ونصبه على أنه مفعول ثان، وهو دال على الوجه الثاني، وكذا يدل عليه قراءة أبي: وأكفلها زكريا، بالهمزة قبل الكاف، وهي للتعدية، ونصب زكريا أي : أكفلها الله زكريا، وعلى التشديد والنصب ففاعل "كفلها" ضمير يعود على الله تعالى"(٣) .

وعند تفسير قوله تعالى **(ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله)**[الكهف/٤٣] يقول: وقرأ حمزة، والكسائي (ولم يكن) بالمثناة التحتية، لأن مرفوعه ولو كان مؤنثا، لكنه ظاهر مجازي التأنيث، وهو فئة فجاز تذكيره، وهو اسم للكون، كما في قراءة الجمهور، ويجوز على قراءتهما أن يكون في يكن ضمير الكافر النادم، فيكون قوله (له) خبرا للمبتدأ

---

(١) الهميان (١٠/١/١٤٨)، وانظر، البنا، اتحاف فضلاء البشر، ٢٩٢.

(٢) الزركشي، البرهان، (١/٤٩٠-٤٩١)، السيوطي، الاتقان (١/٨٣).

(٣) الهميان (٤/٧٧)، والثابت عن حفص قصر (زكريا) لا مده انظر الداني، التيسير، ٨٧، مكي، الكشف، (١/٣٤١).

الذي هو قوله (فئة)، والجملة خبر للكون، وأما على قراءة الجمهور فيتعين أن يكون (لـه) خبرا للكون، وفئة اسمه..."[١] .

٨- يستعرض القراءات مع بيان ما ترجع إليه من اللغات.

وربما كانت بعض القراءات هي في أصلها لغة من لغات العرب، فلا يفوت الشيخ رحمه الله أن ينوه إلى ذلك، كما عند تفسير قوله تعالى (**ولله على الناس حج البيت**)[آل عمران/٩٧] يقول في تفسيرها مصدر مضاف لمفعول، وقرأ حمزه، والكسائي، وعاصم في رواية حفص بكسر الحاء على لغة نجد، وهو أيضا مصدر[٢] .

وعند تفسير قوله تعالى (**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**) [الانعام/٥٥] بين الشيخ أن القراءة بنصب سبيل هي قراءة نافع،[*] وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم برفع السبيل على الفاعلية، فتكون تاء تستبين للتأنيث، وهو لغة من يؤنث السبيل والطريق، وهو لغة الحجاز، وقرأ الباقون (وليستبين سبيل المجرمين) بالياء التحتية، ورفع سبيل على الفاعلية، وهو لغة تميم في تذكير السبيل والطريق[٣] .

وعند تفسير قوله تعالى (**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا**) [الانفال/٦٦] لم يذكر قراءة نافع في ضعفا وهي بضم الضاد، لأنها هي التي جرى عليها في تفسيره، بل ذكر قراءة حمزة، وعاصم، بفتح الضاد (ضعفا) ثم قال: وهما لغتان، والضم لغة الحجاز، والفتح لغة تميم[٤] .

وقليلا ما ينبه الشيخ على القراءة الشاذه، أو على القراءة المدرجة (التفسيرية)، وإن ورد ذلك في تفسيره، فهو بقدر محدود جدا، والمثال على الأول:

عند تفسير قوله تعالى (**وإني خفت الموالي من ورائي**)[مريم/٥] يذكر قراءة ابن كثير (من ورائي) مهموزة، ممدودة، مفتوحة الياء ثم يقول: "وقرئ بالقصر والفتح وهو شاذ"[٥] .

---

(١) الهميان (١١٣/١/١٠)، وانظر، الداني، التيسير، ص١٤٣، مكي، الكشف، (٦٣/٢).

(٢) الهميان (١٨١/٤)، وانظر، مكي، الكشف ٣٥٣/١.

(*) قراءة نافع بنصب سبيل على أن الفعل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو الفاعل، وسبيل مفعول به، انظر الكشف ٤٣٤/١.

(٣) الهميان (١٠١/١/٦)، الداني، التيسير، ١٠٣، مكي، الكشف، (٤٣٣/١).

(٤) الهميان (٢٧٠/١/٧)، الداني، التيسير، ١١٧، مكي، الكشف ٤٩٥/١.

(٥) الهميان (٢٤٢/١/١٠)، البنا، اتحاف، ٢٩٧.

وعند تفسير **(إن لكم فيه لما تخيرون)**[القلم/٣٨] يقول بعد إعراب القراءة الصحيحة "ويجوز أن تكون (إن) استئنافا، وتؤيده قراءة الأعرج: إن بهمزة الاستفهام، وقرئ شاذا بفتح الهمزة مع ثبوت اللام[١] .

وجاء ذكر القراءة والتفسيرية عند قوله تعالى **(أفلم يايئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا)**[الرعد/٣١]. يذكر الشيخ ما جاء في تفسير (ييأس) من أقوال، ثم يردف ذلك بقوله: والجمهور على أنه بمعنى يعلم، ويدل له قراءة علي، وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين: (افلم يتبين) وهي تفسير قراءة الجمهور[٢] .

ويشير الى القراءة الضعيفة عند تفسير **(أفحكم الجاهلية يبغون)** [المائدة/٥٠]. يقول: "قرأ ابن عامر تبغون بالخطاب، وقرأ السلمي (أفحكم الجاهلية يبغون) برفع حكم على الإبتداء ويبغون خبره، والعائد محذوف أي يبغونه وهي قراءة ضعيفة لأنه حذف العائد إلى المبتدأ إذا أدى حذفه إلى ايهام كون المبتدأ مفعولا مقدما لولا رفعه.."[٣]

خاتمة : مقارنة بالتيسير :

رأينا فيما مر بنا من أمثلة مدى عناية الشيخ بمباحث علوم القرآن، ففي مبحث النسخ مثلا وجدنا الشيخ ينقله برمته من كتابي البرهان للزركشي، والاتقان للسيوطي، مما يدل على أنه كان يهدف إلى جمع أكبر قدر من المعلومات دون تحقيقها، في حين إنه جرد تفسيره التيسير من مثل هذه المباحث، اللهم إلا من وقوفه عند بعض الآيات التي كان يستدعي الحديث عن النسخ عند تفسيرها، كما هو صنيعه في الهميان، وربما اختلف رأيه في الآية الواحدة فيرجح في التيسير رأيا غير الذي ذهب اليه في الهميان كما في قوله تعالى **(فإمامنا بعد وإما فداء)**[محمد /٤] فيختار في الهميان أنها مبينة لقوله تعالى **(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)** يقول وهو الصحيح[٤] بينما يذهب في التيسير إلى أنها منسوخه بالثانية قال "ويكاد يجمع عليه، كذلك الحال في المكي والمدني، فقد درج الشيخ في الهميان ان يذكر بداية كل سورة ما فيها من مكي ومدني والاقوال في ذلك لكنه يستغني عن هذه المقدمة في التيسير، كما لم يذكر ما يتعلق بهذا المبحث من مصطلحات

---

(١) الهميان (١٤/٣٥٤). وقراءة فتح الهمزة مع ثبوت اللام هي قراءة طلحة والضحاك، انظر البحر المحيط ٣٨٠/٨

(٢) المصدر نفسه (٨/٢/٣٥٧)، وانظر الزمخشري،الكشاف(٣/١٠٧)، ابو حيان، البحر المحيط(٥/٣٨٣). ابن جني المحتسب ٣٥٧/١

(٣) الهميان (٥/٤٧٨). وانظر ابن جني المحتسب ٢١١/١ ، أبو حيان البحر المحيط ٥١٦/٣.

(٤) الهيان (١٣/٤٢٥) ، التيسير.

وضوابط وخصائص كما هو الشأن في الهميان. إلا أنه يقف عند بعض الآيات التي ورد الخلاف فيها فيعرض ما قيل فيها دون ترجيح تارة ومرجحا تارة أخرى[١] .

أما القراءات فبينما هو ينقل فصولا للقراءات في الهميان[٢] . ويكاد لا يمر بأية الا ويذكر ما فيها من قراءة صحيحة كانت أو شاذه بينما لا تجد للقراءات أثرا في التيسير إلا قليلا، وأعجب من قول أحد الباحثين في منهج الشيخ في التيسير، ان الشيخ عنى بالقراءات عناية فائقة[٣] وهو لا يذكرها الا نادرا ومن اطلع على تفسيرية عرف وجه ما قلته.

(١) انظر التيسير (٧، ٢٢٧، ٣٣٢)، ١٢/١٢٣-١٢٤، ١٥/١٨٥، ٢١٠، ٢٢٤.

(٢) الهميان (١/٥٠١-٥٠٦)، ٢/١٣٦، ١٤١-١٤٣.

(٣) انظر الخوالجا محمد، منهج الشيخ اطفيش في كتابه التيسير، ص١٢٦.

الفصل الرابع
منهجه في العقيدة

- تمهيد.
- الصفات وعلاقتها بالذات.
- الآيات المتشابهات.
- مسألة خلق القرآن.
- مسألة الرؤية.
- خاتمة.

الفصل الرابع
منهجه في العقيدة

تمهيد:

إن ما تمتاز به الأمة الإسلامية وحدة المصدر وثبات الأصول التي لا يختلف عليها اثنان، ولكن شاء الله تعالى ، أن تختلف هذه الأمة فيما عدا ذلك من الفرعيات، لاختلاف العقول بين بني آدم وتباين فهومهم في الاستنباط، وفهم الدليل.

وهذا الخلاف أمر طبعي، وظاهرة صحية، لأن الله الذي ركب هذه العقول، أمر باستعمالها في التفكر، والتدبر فيما أنزل على الانسان من آيات، وحث على ذلك في أكثر من نص صريح، قال تعالى **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)** [النحل/٤٤].

أما أن يتحول هذا الاختلاف الذي هو في الأصل نعمة، إلى نقمة، وخصومة، وعداء بين بني الأمة الواحدة، فهذا الذي نهى الله عنه، في قوله : **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)** [الانفال/ ٤٦].

وفي أمة الاسلام الصالح والطالح، فإن سعى البر التقي، في وحدة هذه الأمة، ولم شملها ساء ذلك الفاجر الشقي، فما فتئ يذكي نار العداوة والفرقة بين الأخ وأخيه، حتى استخفه الشيطان فأغراه بأنه وحده المحق، وغيره على باطل، فدعا إلى باطله حتى وجد من الهمج الرعاع من يشايعه على ذلك، فالله وحده المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

إن من أوجب واجبات هذه الأمة، أن تعود إلى كتاب ربها وسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم وتتأسى بأصحابه المهديين -رضي الله عنهم- الذين عرفوا أدب الخلاف فكان لهم نعمة وأن تنبذ هذا الخلاف الذي يؤدي إلى العداوة والبغضاء، وأن لا تجعل بينها مكانا لأي دعي.

وعودا على بدء، فإن من الفرعيات التي كان فيها خلاف بين المسلمين :

١- مسألة الصفات.

٢- مسألة القرآن، هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟

٣- مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة.

وأود أن أتوقف عند هذه المسائل مبينا موقف الشيخ في تفسيره الهميان، وسيكون حديثي منصبا على ما كان فيه إتفاق، متجنبا الخلاف ما أمكن، والله حسبي ونعم الوكيل.

المبحث الأول

مسألة الصفات وعلاقتها بالذات

إن من الأصول المسلمة عند أهل التوحيد أن يوصف الباري جل شأنه بصفات الكمال وينزه عن صفات النقص وتقسم هذه الصفات الى قسمين[١] :

صفات الذات : وهي التي لم تزل ولا يزال موصوفا بها، ولا تجامع ضدها في الوجود. كالعلم، والسمع، والبصر، والارادة، والحياة، والكلام، والقدرة.

وصفات الأفعال : هي التي لم يتصف بها تعالى في الأزل، وإنما فيما يزال، ويجوز أن تجامع أضدادها في الوجود مع اختلاف المحل. كالخالق، والرازق، والمحيى، والمميت وغيرها.

فلا يجوز أن تنفي عنه صفة من صفات الذات في الأزل كالعلم مثلا، فلا تقول كان الله ولم يكن عالما، بخلاف صفات الأفعال كالرزق، فيجوز أن ننفيها عنه في الأزل، وقبل خلق الخلق، وتقدير أرزاقهم كما لا يجوز أن يوصف بضد العلم، وهو الجهل، في حين انه يجوز أن تقول رزق زيدا، ولم يرزق عمروا، وعلى هذا فصفات الذات قديمة أما صفات الأفعال فحادثة.

وقسم الأشاعرة الصفات الذاتية الى أربعة أقسام :[٢]

١- الصفة النفسية وهي الوجود الذاتي.

٢- الصفات السلبية وهي خمس القدم، والبقاء، ومخالفة الحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.

٣- صفات المعاني وهي العلم، والإرادة، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام.

٤- صفات معنوية منسوبة الى تلك المعاني وهي سبع، كونه عالما، وقادرا، وحيا، وسميعا، وبصيرا ومتكلما.

---

(١) انظر، البلاقلاني، ابو بكر بن الطيب، الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الطبعة الثانية تحقيق الكوثري، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، ص ٢٦، السالمي عبدالله بن حميد، بهجة الانوار حاشية على شرح طلعة الشمس، ٨٥/١ البياضي أحمد، اشارات المرام تحقيق يوسف عبد الرزاق ط١، ١٣٦٨-١٩٤٩م، مصر، الهامش ص ٢١٢.

(٢) . الباجوري، ابراهيم، شرح جوهرة التوحيد، نسقه محمد أديب الكيلاني، عبد الكريم تنان، ص ٨٥.

ما هذا إلا خلاف في الاصطلاح، والذي يهمنا أن نقف قليلا عند علاقة هذه الصفات بالذات.

علاقة الصفات بالذات :

كثر حديث المتكلمين عن هذه القضية وانتهى بهم الأمر الى جدل فلسفي عقيم، إن لم يزدها غموضا، فإنه لم يساعد على حلها، وخلاصة القول فيها:

"اتفق علماء الكلام من أشاعرة، وماتريدية، ومعتزلة، وحكماء على وجوب التصديق بكون الواجب الوجود لذاته قادرا، مريدا، عالما، حيا، سميعا، بصيرا، متكلما... ولكنهم اختلفوا بعد ذلك في أن اتصافه بكونه قادرا مريدا الخ يقتضي ثبوت صفات أخرى له كقدرة وإرادة أو لا يقتضى"(١) .

فذهبت الاشاعرة الى أن الصفات زائدة على الذات فالله عالم بعلم هو غيره، وقادر بقدره هي غيره، وهكذا(٢) .

وذهب فريق آخر إلى أن صفات الذات هي عين الذات، وليست بزائدة عليها. أي أنها أمور اعتباريه يراد بها نفي أضدادها من النقائص المنزه عنها سبحانه، فذاته تعالى كافية في انكشاف حقائق الأشياء انكشافا تاما وهو ما يعبر عنه بصفة العلم، وكافية من انكشاف جميع المسموعات ويسمى سمعا، وكافية في انكشاف جميع المبصرات ويسمى بصيرا وهكذا ويمثل هذا الرأي المعتزلة والشيعة الإمامية والإباضية.

وقد تعرض الشيخ اطفيش لهذه المسألة عند تفسير قوله تعالى **(وفوق كل ذي علم عليم)**[يوسف/٧٦]. فقال: " ... واعلم أن الله سبحانه وتعالى عالم بالذات، عندنا معشر الاباضية وعند المعتزلة، بمعنى أن ذاته كافية في انكشاف الأشياء له، وزعم غيرهم بأنه غير عالم بالذات، فلزمهم أن يكون علمه حادثا، وأن يكون تعالى محلا للحوادث، وإن قالوا مع ذلك علمه قديم، لزمهم تعدد القدماء، فهذه ونحوها مما احتج به لأصحابنا"(٣) .

ويقيننا أن الفريقين قصدوا التنزيه، وإنما قال الفريق الأول بزيادة الصفات فرارا من شبهة نفي الصفات، ولما ألزمهم خصومهم بأن قولهم هذا يؤدي إلى تعدد القدماء

---

(١) ابو دقيقة، محمود، القول السديد في علم التوحيد، دار الطباعة الحديثة، ١٣٠هـ/١٩٣٤م ٢/٨٥ ويرى ابو دقيقة ان صفات الذات من الأمور الاعتبارية، انظر ٢/٨٤.

(٢) انظر الآمدي، سيف الدين غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن عبد اللطيف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٣٨، التفتازاني، سعد الدين ،شرح المقاصد، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الرحمن عميره عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٤، ص٦٩.

(٣) الهميان (٨/٢/٢١٧).

قالوا: إن الغيرية ليست منفكة بحيث لا يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر، ولا ينافي أن حقيقتها غير حقيقة الذات ومنهم من قال لا هو هي ولا هي غيره[١] .

وقال الفريق الثاني بأنها عين الذات فرارا من القول بتعدد القدماء، ولم يقولوا بنفي الصفات كما فهم خصومهم، يقول العلامة الكوثري "ليس بين المعتزلة فضلا عن الاشاعرة من ينفي أن الله سبحانه عالم، قدير، سميع، بصير ... الى آخر تلك الصفات الواردة في الكتاب والسنة حتى يصح رميهم بجحد الصفات[٢] .

ونقل السعد في المقاصد ان الامام الرازي يميل الى هذا الرأي[٣] .

بل إن الشيخ أبا زهرة نقل في كتابه عن الإمام الشافعي أنه يقول بهذا الرأي، قال "وقد اقتبسوا من بعض فتاويه – أي الامام الشافعي– رأيه في الصفات وكونها ليست شيئا مغايرا للذات، فقد روى أنه قال من حلف بعلم الله، أو بحق الله، إن أراد بعلم الله معلومه وبقدرة الله مقدوره، وبحق الله ما وجب على العباد فهذا لا يوجب كفارة، لأن هذا حلف بغير الله، وإن أراد الحلف بصفات الله فهذا يوجب "ويقول الرازي في التعليق على هذه الفتيا "وهذا يدل على أن صفات الله ليست أغيارا لذاته". قال في الهامش "هذا مذهب المعتزلة وإليه يميل الرازي[٤] ".

وخلاصة القول أن هذه المسألة ليست من الأصول التي يكفر تاركها، ولولا ولع المسلمين بالجدل، وعلم الكلام، لما كان لها ذكر يقول العلامة الدواني في شرحه للعقائد العضدية: (واعلم أن مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الأصول التي يتعلق بها تكفير أحد الطرفين، وقد سمعت بعض الأصفياء أنه قال:

عندي أن زيادة الصفات، وعدم زيادتها، وأمثالها مما لا يدرك إلا بالكشف[٥] ، ومن أسنده إلى غير الكشف فإنما يتراءى منه ما كان غالبا على اعتقاده بحسب النظر الفكري، ولا أرى بأسا في اعتقاد أحد طرفي النفي والاثبات في هذه المسألة"[٦] .

---

(١) ابن ابي الشريف القدسي، المسامره بشرح المسايرة، مطبعة السعادة بمصر، ص٧٢، وانظر، البيجوري، ابراهيم بن محمد، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ص ٥٠.

(٢) الكوثري ، محمد زاهد، حاشية على السيف الصقيل، مكتبة زهران، مصر، ص ٢٧.

(٣) التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد، (٤/٧٠).

(٤) ابو زهرة، الامام الشافعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٢٠.

(٥) القضايا العقائدية تعرف بالعقل والنقل ولا تحتاج الى كشف (وهو تعبير صوفي) الذي لا يصل اليه الا الصفوة .

(٦) فحطان الدوري، اصول الدين الاسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ص ١٢٩، نقلا عن العقائد العقدية ١/٣٠٠، وانظر، ابو دقيقة القول السديد، ٢/٩٤.

المبحث الثاني

المتشابه وموقف الشيخ منه

أعنى بالمتشابه الألفاظ المضافة الى الله عز وجل، والتي يوهم ظاهرها التشبيه، كاليد، والوجه، والساق، والاستواء، وقد عدها بعض العلماء من الصفات، وأنكر ذلك آخرون وممن أنكر، تسميتها بالصفات الآمدي، وذلك لأن دلالتها على الصفات محتملة(١). وابن الجوزي حيث قال ردا على مجسمة الحنابله :

"ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح... فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورة ووجها زائدا على الذات، وعينين وفما ولهوات واضراسا وأضواء لوجهه هي السبحات ويدين وأصابع وكفا وإبهاما وصدرا وفخا وساقين ورجلين، وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس... ثم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل، وقد اخذوا بالظاهر من الأسماء والصفات، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى الغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث، ولم يقنعوا بأن يقولوا صفة فعل، حتى قالوا صفة ذات ثم لما أثبتوا انها صفات ذات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة، ومجيء وإتيان على معنى بر ولطف، وساق على شدة، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين، والشيء انما يحمل على حقيقته اذا أمكن، ثم يتحرجون من التشبيه، ويأنفون من اضافته إليهم ويقولون نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام..."(٢)

ويرى الشيخ العلامة سلامة القضاعي، أن تسميتها صفات "مغالطة من الحشوية وباطل مكشوف للناقد البصير، فإن الوجه والعين والرجل والساق أجزاء وأبعاض وأعضاء لما هي فيه من الذوات، لا معان وأوصاف تقوم بموصوفاتها فاين هي مما ألحقوها به من الحياة والعلم والارادة والقدرة؟ وهل تسميتهم لها بالصفات الا ستر لموقفهم من التشبيه بما لا يسترهم عن ذوي الانظار النافذة"(٣) .

---

(١) الكردي، د. راجح عبد الحميد، علاقة اسماء الله بذاته، الطبعة الثانية، دار الفرقان، عمان، ١٩٤٩، ١٩٨٩م، ص ١٢٨.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن، دفع شبه التشبيه باكف التنزيه، الطبعة الثالثة، تحقيق حسن السقاف، دار الامام النووي، عمان ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ص ٩٩-١٠١.

(٣) سلامة القضاعي، فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الاكوان، مطبعة السعادة، مصر ، ص٨٠

وقد انقسم الناس إزاء هذه المسألة الى ثلاثة :

الأول : أهل التفويض، وهم الذين توقفوا عن القول فيها بشيء، وفوضوا الأمر إلى الله، مع إعتقادهم تنزيه الحق سبحانه عن الشبيه والحلول في مكان، وعن الحركة والسكون "ليس كمثله شيء".

الثاني: أهل التأويل: وهم الذين أولوا هذه النصوص على مقتضى لغة العرب لأن القرآن نزل بلغتهم، وعلى معنى يليق بجلال الله تعالى.

الثالث: الحشوية المجسمة(١) : الذين قالوا بظاهر اللفظ، وزادوا للتمويه على العامة "كما يليق بجلاله".

وقد أخذ بالقولين الأولين سلف هذه الأمة وخلفها، فلما كان العربي يفهم بمقتضى السليقة المقصود بهذه الالفاظ، فليست هناك ثمت التباس يقتضى التأويل، ولهذا سكت عنها من سكت من السلف، وأول بعضهم كابن عباس وتلاميذه رحمهم الله".

ولما انتشر الإسلام وظهرت البدع بدخول غير العرب في الاسلام، ووجد أعداء الإسلام مدخلا للقول بالتشبيه ظهرت الحاجة الى التأويل حتى حكى الإمام الرازي، الاتفاق على ذلك(٢) ، واختاره إمام الحرمين في الإرشاد(٣) ، وابن دقيق العيد(٤) ، والعز بن عبد السلام(٥) ، والباجوري في شرح الجوهره(٦) وغيرهم، قال القضاعي وعليه المحقوق من السلف(٧) .

---

(١) الحشوية هم الذين شبهوا الله بخلقه، وسبب تسميتهم بذلك أن الحسن البصري كان يلازم مجلسه نبلاء أهل العلم، وقد حضر مجلسه يوما أناس من رعاع الرواة، ولما تكلموا بالسقط عنده قال: ردوا هؤلاء الى حشل الحلقة، أي جانبها فسموا الحشوية، ومنهم اصناف المجسمة والمشبهة، انظر الكوثري، حاشية على السيف الصقيل، المقدمة.

(٢) الفخرا الرازي، اساس التقديس.

(٣) الجويني، الارشاد الى قواطع الادلة وأصول الاعتقاد، حققه محمد يوسف موسى، وآخر، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص ١٥٧ وما بعدها.

(٤) سلامة القضاعي، فرقان القرآن ، ص ٩٦ .

(٥) القدسي، المسامرة، بشرح المسامره ص ٣٧.

(٦) الباجوري، تحفة المريد، شرح جوهرة التوحيد، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ص ٥٧.

(٧) القضاعي، فرقان القرآن، ص ٩٨. وإذا كان ذلك كذلك فاعلم أن ما قاله الخواجا من أن الإباضية ومن قال بقولهم في الصفات قد تعسفوا في التاويل وحملوا النصوص ما لم تحتمل ونهجوا نهجا عقليا خالفوا فيه المنهج الذي قرروه عند وسيلة معرفة التوحيد من تقديم الشرع على العقل وهذا منحرف خطير" اهـ كلامه ما هو إلا خبط جاهل متعسف لا يدري ما يقول.

يقول الشيخ على القارئ "والحاصل أن السلف والخلف مؤلون لاجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره، ولكن تأويل السلف اجمالي لتفويضهم الى الله تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين"(١)

ولسنا بصدد جمع الأقوال فلها مصنفات خاصة(٢) ، ولكنا نود أن نتبين موقف الشيخ اطفيش من مثل هذه النصوص وسنقف عند بعضها كما يلي:

الوجه، اليد، المجيء، الساق، الفوقيه، الاستواء.

١- **الوجه :**

تعرض الشيخ لتأويل الوجه عند تفسير قوله تعالى :

(ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) [البقرة/١١٥].

(كل شيء هالك إلا وجهه)[القصص/ ٨٨].

(ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)[الرحمن/٢٧].

قال في تفسير الأولى : "أي جهات الأرض كلها لله شرقيها وغربيها، فأي موضع وجهتم إليه وجوهكم بأمر الله في الصلاة، ففيه الله بالعلم والقدرة والحفظ، لا بالاحتواء والحلول... ".

قال "و (وجه الله) ذاته، ونفسه تعالى. وذاته ونفسه هو(٣) .

وقال في تفسير الثانية **(كل شيء هالك إلا وجهه)**.

إلا ذاته الواجب الوجود، والوجه يعبر به عن الذات، وقيل المعنى كل عمل لم يرد به الله فهو ضائع إلا ما أريد به الله"(٤) .

---

(١) انظر ابن جماعه، ايضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ط/١ ، تحقيق وهبي سليمان غاوجي، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠ ، مقدمة المحقق ص ٤٧.

(٢) من هذه المصنفات المطبوعة :

١- دفع شبه التشبيه باكف التنزيه لابن الجوزي.

٢- ايضاح الدليل، لبدر الدين بن جماعه.

٣- اساس التقديس للفخر الرازي.

٤- استحالة المعيه بالذات، محمد الخضر الشنقيطي.

٥- اتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات، لمحمود محمد خطاب السبكي، وغيرها.

(٣) الهميان (٢/٢٧٨-٢٧٩)، .

(٤) المصدر نفسه (١٢/١/٣٠٥).

ويكاد يجمع المفسرون على تفسير الوجه بالذات، وممن فسره بذلك الشيخ هود[١] ، والإمام الطبري[٢] ، والراغب الأصفهاني[٣] والإمام الزمخشري[٤] ، والطبرسي[٥] ، وابن الجوزي[٦] والإمام الرازي[٧] ، وابو حيان[٨] ، وابن كثير[٩] ، والإمام البيضاوي[١٠] ، وأبو السعود[١١] ، والألوسي[١٢] .

وأكتفي بنقل ما قاله إمام الحرمين في الإرشاد :

قال : "وأما قوله تعالى (ويبقى وجه ربك) .. "فلا وجه لحمل الوجه على صفة، إذ لا تختص بالبقاء بعد فناء الخلق صفة لله تعالى، بل هو الباقي بصفاته الواجبه، فالأظهر حمل الوجه على الوجود، وقيل المراد بالوجه الجهة التي يراد بها التقرب الى الله تعالى يقال : "فعلت ذلك لوجه الله تعالى، معناه لجهة إمتثال أمر الله"[١٣] .

٢- اليد :

ورد ذكرها في عدة مواضع أشهرها :

- **(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان)**[المائدة/٦٤].

- **(قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)**[ص/٧٥].

- **(إن الذين يبايعونك، انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)**[الفتح/١٠].

يرى الشيخ أن المقصود باليد في الآية الأولى، الكناية عن سعة الإنفاق، ويجوز أن يكون المراد باليدين النعمتين؛ نعمة الدنيا، ونعمة الآخرة، أو النعمة الظاهرة والباطنة،

---

(١) الهواري، هود بن محكم، تفسير كتاب الله العزيز، ٢٩٤/٣.

(٢) الطبري، جامع البيان (١١٩/١٠).

(٣) الراغب الاصفهاني، المفردات.

(٤) الزمخشري، الكشاف (٢٣٨/٤).

(٥) الطبرسي، مجمع البيان مجلد ٩٢/٢/٦ .

(٦) ابن الجوزي، زاد المسير ١١٨/٦، ٢٦١/٧.

(٧) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٩٣/٢٩.

(٨) ابو حيان، البحر المحيط، ١٣٣/٧.

(٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٨٩/٣.

(١٠) البيضاوي، بيان التنزيل واسرار التأويل ٢٠٢/٢، ٤٥٣.

(١١) ابو السعود، ارشاد العقل السليم ٢٨/٧، ١٨٠/٨.

(١٢) الالوسي، روح المعاني ١٠٨/٢٧.

(١٣) الجويني، الارشاد ، ص ١٥٧.

ونسب ذلك لابن عباس، ويجوز أن يكون المراد باليدين الملكين ملك الدنيا وملك الآخرة، ويجوز تفسير اليدين بالقدرتين يقول والأولان أنسب لان المقام مقام ذكر بسط النعمة[١] .

ويفسر الآية الثانية بالقدرة والقوة، لأن أكثر الأعمال تباشر باليدين أو باليد، فعبر بهما، كما يقال في عمل من لا يد له (هذا ما عملته يداك)[٢] .

وقال في تفسير آية الفتح: إن الآية جارية مجرى التمثيل، فيد رسوله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله، والله منزه عن الجوارح وصفات الأجسام اي هو خبير بمبايعتهم فيجازيهم، وعن ابن عباس (يد الله) بالوفاء بما وعد من الخير فوق ايديهم، وعن السدي يأخذون بيد رسول الله فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم؛ أي هم في حكمه، وقال الكلبي يده نعمته عليهم بالهداية فوق ما صنعوه من البيعة..."[٣] .

والذي يلحظ هنا أن الشيخ رحمه الله لم يفسر اليد منفصلة عن السياق الذي وردت فيه، بل نظر إلى سياق الآيات، فأولها بالنعمة، والعطاء، والجود، عندما كان الحديث عن ذلك، وأولها بالقدرة عندما كان السياق يقتضي ذلك.

ومراعاة السياق أمر مهم جدا لتفسير كتاب الله عامة، وتأويل مثل هذه النصوص بصفة خاصة ولو أخذ به القائلون بعدم التأويل لما كان لهذا الصراع الفكري أثر، إذ من الواضح جدا أن لفظة (يد) المضافة إلى الله تعالى يختلف معناها باختلاف السياق الذي وردت فيه، وهذه المعاني قد تكلم بها العرب، وجاءت بها لغتهم، كما هو منقول في شعرهم ونثرهم، وما جاء القرآن إلا ليخاطبهم بما يفهمون من لغتهم، وهذا الذي ذكره المفسرون وائمة اللغة، بل اجمعوا عليه.

يقول الامام الطبري عند تفسير قوله تعالى :(**وقالت اليهود يد الله مغلولة ..**) قال: "يعنون أن خير الله ممسك، وعطاءه محبوس عن الاتساع عليهم، وإنما وصف تعالى ذكره (اليد) بذلك، والمعنى العطاء، لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم فجرى استعمال الناس في وصف بعضهم بعضا اذا وصفوه بجود وكرم أو ببخل وشح وضيق باضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه كما قال الأعشى :

يداك يدا مجد فكف مفيدة وكف إذا ما ضن بالزاد تنفق

---

(١) الهميان (٥/٥١٧-٥١٨).

(٢) المصدر نفسه (١٣/٥٧) بتصرف.

(٣) المصدر نفسه (١٣/٤٦٦).

فأضاف ما كان صفة صاحب اليد من انفاق وافادة الى اليد ومثل ذلك من كلام العرب في أشعارها وأمثالها أكثر من أن يحصى فخاطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم فقال :

(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان).

يعنى بذلك، أنهم قالوا إن الله يبخل علينا ويمنعنا فضله فلا يفضل، كالمغلولة يده، الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء، ولا بذل معروف تعالى الله عما قالوا(١) .

وعند تفسير قوله تعالى **(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم)** قال الامام الطبري : وجهان من التأويل :

أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البيعة لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

والآخر : قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله -صلى الله عليه وسلم- لأنهم انما يبايعون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على نصرته على العدو(٢) .

وما قاله الطبري هو الذي ذهب إليه إمام الحرمين في الإرشاد(٣) ، وقال به المفسرون قاطبة(٤) . بل اطال الامام الرازي في الاحتجاج له والرد على مخالفه.

ولقائل أن يقول لو فسرنا اليد بالقدرة في آية ص لكان المعنى إن لله قدرتين؟ والجواب عن هذا كما قال الامام الزمخشري: "إن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له "يداك أوكتا وفوك نفخ" وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى **(مما عملت ايدينا) (لما خلقت بيدي)**(٥) .

وقال ابن الجوزي : "فإن قالوا القدرة لا تثنى وقد قال بيدي .

---

(١) الطبري جامع البيان (٦٣٩/٤).

(٢) المصدر نفسه (٣٣٩/١١).

(٣) قال الجويني في الارشاد "ولم يمتنع عندنا حمل اليدين على القدرة... "ص ١٥٥

(٤) انظر الراغب الاصفهاني، المفردات ص٨٩٠، الزمخشري، الكشاف (٣٧/٢)، (١٥٠/٥)، (٤/٦) ابن الجوزي زاد المسير(٢٩٨/٢)، (١٦٣/٧) الرازي، مفاتيح الغيب (٣٥/١٢)، (٧٥/٢٨) ابو حيان، البحر المحيط (٥٣٣/٣)، ابن كثير تفسير (١٨٨/٤)، البيضاوي، أسرار التأويل(٢٧٤/١)، أبو السعود، ارشاد العقل السليم (٥٨/٣) الالوسي، روح المعاني.

(٥) الزمخشري ، الكشاف (١٥٠/٥).

قلنا:بلى قالت العرب: ليس لي بهذا الأمر يديان أي ليس لي به قدرة وقال عروة بن حزام

فقالا شفاك الله، والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان[١] .

٣- المجيء :

وتعرض له عند تفسير قوله تعالى (**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة**)[البقرة/٢١٠].

وعند قوله (**وجاء ربك والملك صفا صفا**)[الفجر/٢٢].

قال عند تفسير الآية الأولى (إلا أن يأتيهم الله) على حذف مضاف، أي أمر الله بدليل قوله تعالى (**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك**)[النحل/٣٣]. أو بأس الله كقوله سبحانه (**فجاءها بأسنا**)[الاعراف/٤]، أو على حذف المتعلق، أي إلا أن يأتيهم الله بأمره، أو بباسه كما يدل له :(عزيز حكيم) ... والمعنى في ذلك كله واحد ولا بد من المصير إليه، لأن الله تعالى منزه عن الحركة والسكون، لأنهما يستلزمان الحد، والتحيز، والجهات، والتركيب، والعجز، والحدوث، وغير ذلك من صفات الخلق، هذا مذهبنا، ومذهب المعتزلة، والمحققين من الشافعية كالقاضي، ومذهب المتكلمين..."[٢] .

وعبارة الشيخ الأولى هي بعينها عبارة الزمخشري[٣] ، والقاضي البيضاوي[٤] وأبو السعود[٥] مع تصرف يسير، فكل منهم فسر اتيان الله بأتيان امره وبأسه، والحاصل أن في المسألة قولين ذكرهما الإمام الرازي:

القول الأول : مذهب أهل التفويض، وهو السكوت عن تأويل الآية، مع القطع بأن المجيء والذهاب على الله محال.

الثاني : مذهب أهل التأويل وفيه وجوه :

- الأول: (يأتيهم الله) أي آيات الله، فجعل مجيء الأيات مجيئا له على التفخيم لشأن الآيات، ... قال وهذا تأويل حسن موافق لنظم الآية.

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن دفع شبه التشبيه ، ص ١١٥.

(٢) همیان الزاد (١٦٠/٥)، (٢٩٣/١٥).

(٣) الزمخشري، الكشاف ١٢٣/١.

(٤) القاضي البيضاوي، أسرار التأويل ١١٤/١.

(٥) ابو السعود / ارشاد العقل السليم ٢١٢/١٢.

- الثاني: ان يكون المراد (**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله**) أي أمر الله وقوله (وجاء ربك) المراد جاء أمر بك وليس فيه إلا حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وهو مجاز مشهور، قال: والذي يؤكد صحة هذا التأويل وجهان: الأول أن قوله ههنا (يأتيهم الله)، وقوله (وجاء ربك) إخبار عن حال يوم القيامة، ثم ذكر هذه الواقعة بعينها من سورة النحل فقال: (**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك**)[النحل/٣٣]. فصار هذا المحكم مفسرا لذلك المتشابه.

الثاني: أنه قال بعده (وقضي الأمر)، ولا شك أن الألف واللام للمعهود السابق، فلا بد أن يكون جرى ذكر أمر قبل ذلك، حتى تكون الألف واللام اشارة إليه، وما ذاك إلا الذي أضمرناه من أن قوله (يأتيهم الله) أي يأتيهم أمر الله.

الوجه الثالث من التأويل: المعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب والحساب، فحذف ما يأتي به تهويلا.

الرابع: وهو الذي اختاره الرازي، أن الآية خطاب لليهود، ولأنهم مشبهه مجسمة فتكون على حقيقتها ... "[١]

والحق الذي يوجبه النظر، أن المقصود بأتيان الله إتيان أمره وبأسه، ذلك أن آية النحل مفسرة لهذه الآية، وقد نقل ابن الجوزي في زاد المسيرعن القاضي أبي يعلي، عن الامام أحمد، أنه قال: المراد به قدرته وأمره قال: وقد بينه في قوله تعالى (**أو يأتي أمر ربك**)[٢] [النحل/٣٣]

وقال إمام الحرمين في الارشاد في تفسير الآيتين : "وليس المعني بالمجيء الإنتقال، والزوال تعالى الله عن ذلك، بل المعني بقوله "وجاء ربك" أي جاء أمر ربك، وقضاؤه الفصل، وحكمه العدل[٣] .

٤- الســـاق :

ورد ذكر الساق في سورة القلم عند قوله تعالى (**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون**)[القلم/٤٢].

قال الشيخ في تفسيرها: والكشف عن الساق كناية عن شدة الأمر للجزاء والحساب، ولا ساق ثم، ولا كشفا عنه، كما تقول: كشفت الحرب عن ساقها وشمرت،

---

(١) الامام الرازي، مفاتيح الغيب (١٨٢/٥-١٨٤) بتصرف.

(٢) ابن الجوزي زاد المسير (٢٠٥/١).

(٣) الجويني، الارشاد، ص ١٥٩-١٦٠.

وكما يقال، أبدت العذراء حزامها، والحزام: رباط السراويل عند أسفل رجل المرأة، وشمرت المخدرات عن سوقهن، يقال ذلك عند الشدة، كأنهن هربن وكشفن عند ذلك عن السوق، والحزام، ليتمكن من الهرب، ولو لم يكن هناك عذراء ولا مخدرة، وكما تقول لمن لا يد له إذا كان شحيحا: يده مغلولة تمثيلا للبخل...

والمراد بالساق الأصل، أي يكشف عن أصل الأمر وحقيقته، استعارة تحقيقية تصريحية أصلية، من ساق الإنسان أو ساق الشجرة، ومن شبه الله بخلقه، وأثبت له الساق كساق زيد وعمرو، فلقلة فهمه لعنه الله وقبحه(١) .

ولنا هنا وقفتان :

الأولى : أن لفظ الساق وردت في القرآن نكرة مجردة عن الاضافة (يوم يكشف عن ساق) ولا خلاف بين أهل التوحيد العقلاء الذين يفهمون معاني الكلام العربي، اقول لا خلاف بينهم في تأويلها بالأمر الشديد العظيم.

قال الإمام الطبري في تفسير الآية:

"قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: "يبدو عن أمر شديد"، ثم ذكر ذلك بأسانيده إلى ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتاده، والضحاك، وعكرمه(٢)" وأخرج البيهقي باسانيد صحيحة- في الأسماء والصفات- عن ابن عباس في قوله عز وجل (**يوم يكشف عن ساق**) قال : هو الأمر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة وقال: إذا خفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر، فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر :

اصبر عقاق إنه شر باق قد سن قومك ضرب الأعناق

وقامت الحرب بنا على ساق.

قال : هذا يوم كرب وشدة(٣) .

ونقله عنه كذلك ابن الجوزي، وعن مجاهد، وابراهيم النخعي، وقتادة، وعزاه إلى جمهور العلماء واللغويين(٤) ، وقال به إمام الحرمين في الارشاد(٥) ، والزمخشري في

---

(١) الهميان (١٤/٣٥٥-٣٥٦).

(٢) الطبري، جامع البيان (١٢/١٩٧-٢٠٠)..

(٣) البيهقي أحمد بن الحسين، الاسماء والصفات، تحقيق الكوثري مطبعة السعادة، مصر ص ٣٤٥،٣٤٦.

(٤) ابن الجوزي، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، ص ١١٨-١١٩.

(٥) الجويني، الارشاد، ص ١٥٩.

الكشاف(١) وعامة المفسرين، وهو الحق الذي لا محيص عنه، حتى قال السمين الحلبي "وكشف الساق، كناية عن الشدة، لا يمتري في ذلك من ذاق طعم الكلام، وسمع قول العرب في نظمها وشعرها"(٢) .

الوقفة الثانية: مع الحديث الذي رواه البخاري في تفسير (يوم يكشف عن ساق) قال: حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن ابي هلال، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعه، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا"(٣) .

وسند الحديث فيه سعيد بن أبي هلال الليثي، وقد تكلم فيه كما في تهذيب التهذيب قال الساجي: صدوق، كان أحمد يقول: ما أدري أي شيء يخلط في الأحاديث، وقال ابن حزم ليس بالقوي(٤) .

أما متن الحديث فقد نقل البيهقي في الأسماء والصفات عن أبي سليمان الخطابي، انه قال: هذا الحديث مما تهيب القول فيه شيوخنا، فأجروه على ظاهر لفظه، ولم يكشفوا عن باطن معناه... قال أبو سليمان (أي الخطابي) فيحتمل أن يكون معنى قوله (يوم يكشف ربنا عن ساقه)، أي عن قدرته، التي تتكشف عن الشدة والمعرة(٥) .

وقال العلامة ابن حجر في شرح الحديث "وهو عن رواية سعيد بن ابي هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلي كذلك، ثم قال : في قوله "عن ساقه" نكرة. ثم أخرجه عن طريق حفص بن ميسره عن زيد بن أسلم بلفظ "يكشف عن ساق" قال الإسماعيلي: هذه اصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة، لا يظن أن الله ذو اعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، تعالى الله عن ذلك ليس كمثله شيء.(٦)

وممن أنكر هذه الرواية المحدث الكوثري في تعليقه على الأسماء والصفات للبيهقي فقال بعد أن ذكر قول ابن حجر "... وقال أبو بكر بن العربي في العواصم: وأما

---

(١) الزمخشري، الكشاف، ١٤٥/٦.

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون ٤١٧/١٠٥.

(٣) البخاري، محمد بن اسماعيل صحيح البخاري (٦٥) كتاب التفسير. (٢) باب (يوم يكشف عن ساق) حديث رقم ٤٩١٩ انظر الفتح ٦٦٤/٩ دار الفكر بيروت ١٤١٤-١٩٩٣م.

(٤) العسقلاني أحمد بن حجر تهذيب التهذيب، دار الكتاب الاسلامي ٩٤/٤-٩٥.

(٥) البيهقي احمد بن الحسين، الاسماء والصفات، علق عليه محمد زاهد الكوثري، مصر دار السعادة ص٣٤٥.

(٦) العسقلاني أحمد بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت دار الفكر ١٤١٤-١٩٩٣ (٦٦٤/٩-٦٦٥).

قال في تفسير الآية الأولى: الغالب لخلقه على ما يريد، لا يعجزه شيء، الكامل القدرة الذي قدرته فوق قدرة السلاطين وغيرهم من كل قوي من خلقه والمواد بالفوقية علو القدرة(١) .

وقال في تفسير الثانية: أي يخافون ربهم أن يرسل عذابا من فوقهم، أو يخافون ربهم كائنا فوقهم بالقهر(٢) .

وذكر أقوالا ثلاثة في تفسير آية الملك فقال:

- المراد بهم الملائكة الموكلون على تدبير أمر هذا العالم.
- أو المراد الله على معنى من في السماء أمره وقضاؤه فإن السماء مسكن ملائكته وإلى جهة عرشه وكرسيه واللوح والمحفوظ منها ينزل امره ونهيه.
- أو المراد بناء على ما زعم العرب أن الله في السماء شبهوه بخلقه(٣) .

وهذا الذي ذكره الشيخ هو ما ذهب إليه المحققون من علماء الأمة ولولا ما أدخله الحشوية من عقيدة التشبيه والتجسيم تعالى الله عما يقولون(٤) لما كانت هذه الآيات، وأمثالها موضع خلاف بين المسلمين، إذ لا يشك عاقل يعتقد عقيدة التنزيه، أن فوقية المكان مستحيلة على الله تعالى كما صرح بذلك كثير من أهل العلم من السلف والخلف، وأنقل للقارئ الكريم بعضا مما قالوه.

يقول الإمام الطبري عند تفسير قوله تعالى **(وهو القاهر فوق عباده)**[الانعام/١٨].

والله الغالب عباده المذللهم العالي عليهم بتذليله لهم وخلقه إياهم فهو فوقهم بقهره وهم دونه، وإنما قال فوق عباده لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه(٥) .

وقال الإمام الزمخشري "فوق عباده" تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله **(وإنا فوقهم قاهرون)**(٦) . وذكر الامام أبو حيان(٧) ، أن الفوقية المكانية تقتضي التجسيم، وأما الجمهور فذكروا أن الفوقية مجاز... والعرب تستعمل (فوق) اشارة لعلو المنزله

---

(١) الهميان (٣٨/١/٦).

(٢) المصدر نفسه (٢٧٣/١/٩).

(٣) المصدر نفسه (٣٣١/١٤-٣٣٢).

(٤) يقول الكوثري في تعليقه على الاسماء والصفات "لا يقول بالفوقية الحسية غير مجسم أثيم يساير الوثنية" ص٤١٦.

(٥) الطبري ، جامع البيان (١٦١/٥) وبمثله قال ابن كثير في تفسيره انظر (١١٩/٢)، وابن الجوزي (١١/٣).

(٦) الكشاف، الزمخشري (٦٠/٢)، وذهب اليه القاضي البيضاوي في اسرار التاويل وأبو السعود في ارشاد العقل السليم.

(٧) ابو حيان، البحر المحيط (٩٣/٤) بتصرف يسير.

٦- الاســتــواء :

ونختم هذه النصوص بآيات الاستواء، وقد ورد معدي (بإلى) في بعض الآيات ومعدى (بعلى) في بعضها الآخر ففي سورة البقرة قال تعالى : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن) [البقرة/٢٩].

(إن ربكم الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش)[الاعراف/٥٤]. في سورة طه : (الرحمن على العرش استوى) [طه/٥].

يقول في تفسير الآية الأولى "ومعنى استوائه الى السماء قصده إليها، وتوجيه الإرادة إليها بأن يخلقها. يقال استوى زيد إلى كذا كالسهم المرسل إذا قصده من غير أن يميل إلى غيره. فكذا خلق ما في الأرض وخلق بعده السموات بلا خلق شيء بين خلقهن.. عن ابن عباس استوى إلى السماء، ارتفع إليها وفي رواية صعد، والمراد: ارتفاع أمره، أو صعد أمره، أو ارتفع إليها وصعد بقصد وإرادة. قال الطبري: علا أمره وقدرته وسلطانه* ، وقال ابن كيسان: قصد إلى السماء أي بخلقه واختراعه، وذلك لأنه تعالى منزة عن الانتقال والحلول.(١)

ويقول في آية الاعراف "واستوى بمعنى استولى بالملك والغلبة والقوة والتصرف فيه كيف شاء، والعرش جسم عظيم وذلك مذهبنا ومذهب المعتزلة وأبي المعالي* وغيره من حذاق المتكلمين... ولا يقال استولى زيد على كذا إذا لم يكن له، ثم كان أو كان له مضاد له فيه ثم غلبه عليه، والله سبحانه مالك للعرش من أول أمره.. لأنا نقول معنى إستيلائه على العرش قدرته على خلقه قبل أن يخلقه، وملكه له بعد خلقه... ثم أخذ يرد على المشبهة(٢) .

وقال عند تفسير آية طه : والاستواء على العرش كما مرت الاشارة إليه كناية عن الملك والقهر كناية مشهورة، يقال: استوى فلان على عرشه أي سريره: أي ملك وقهر، وإن لم يكن له سرير.(٣)

---

* عبارة الطبري (علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال) انظر جامع البيان (١/١٩٢).

(١) الهميان ١/٤٠٦.

* هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني .

(٢) المصدر نفسه ٦/٢/١٠٤-١٠٨.

(٣) الهميان (١٠/٢/١١-١٢).

واعلم أولا أيها القاريء الكريم أن تفسير الإستواء بالإستقرار هو عقيدة وثنية يهودية نصرانية، ولم يقل به أحد من المسلمين الا الحشوية المجسمة(١) ، وإذا عرفت هذا فاعلم أن للمسلمين في تأويله طريقين :

الأولى : طريقة التفويض، وهي التأويل الإجمالي بأن تصرف هذه الآية وأمثالها عن ظاهرها مع إعتقاد نفي الجهة والمماسة لله تعالى، والسكوت عن تأويلها التفصيلي، فقد روى البيهقي في الاسماء والصفات بسنده عن يحيى بن يحيى قال: كنا جلوسا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبدالله الرحمن على العرش استوى، فكيف استوى؟ قال فاطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك الا مبتدعا، فأمر به فأخرج(٢) .

ولا يظنن أحد أن مقصودهم بذلك حمل اللفظ على ظاهرة من الاستقرار والجلوس على العرش، كما تقول المجسمة، -حاشاهم- وتعالى الله عما يقول المجسمة علوا كبيرا، فإنهم كانوا يدركون أن الظاهر غير مراد وما سكتوا إلا خشية أن يتوسع العامة والغوغاء في التأويل فيضلوا بغير علم، قال صاحب المنار لم يشتبه أحد من الصحابة في معنى استواء الرب تعالى على العرش، على علمهم بتنزهه سبحانه عن صفات البشر وغيرهم من الخلق، إذ كانوا يفهمون أن استواءه تعالى على عرشه عبارة عن استقامة أمر ملك السموات والأرض له وانفراده هو بتدبيره وأن الإيمان بذلك لا يتوقف على معرفة كنه ذلك التدبير، وصفته وكيف يكون بل لا يتوقف على وجود عرش(٣) .

الطريقة الثانية : طريقة التأويل، وقد أخذ بها كثير من السلف والخلف بعد ظهور بدعة المجسمة، وقد مر بنا قبل قليل تأويل الإمام الطبري لقوله تعالى **(ثم استوى إلى السماء)**[البقرة/٢٩]. قال : علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال وقال الراغب: اذا عدى (استوى) (بعلى) اقتضى معنى الاستيلاء كقوله **(الرحمن على العرش استوى)**[طه/٥]... واذا عدى (بإلى) اقتضى معنى الانتهاء إليه، إما بالذات أو بالتدبير، وعلى الثاني قوله **(ثم استوى إلى السماء وهي دخان)**[فصلت/١١].

وقال إمام الحرمين "ذكر أهل التأويل في قوله تعالى **(الرحمن على العرش استوى)** وجوها: فذهب بعضهم إلى أن المراد بالاستواء الاقتدار، والقهر، والغلبة وذلك

---

(١) انظر تعليق الكوثري على الاسماء والصفات ص ٤٠٥

(٢) البيهقي، الاسماء والصفات، ص ٤٠٨.

(٣) المنار ، ٨/ ٤٥١ .

سائغ في اللغة شائع فيها، إذ القائل يقول : استوى الملك على الاقليم اذا احتوى على مقاليد الملك فيه، ومنه قول القائل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وقال الآخر :

ولما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وطائر

فان قال قائل : الاستواء المحمول على الإستيلاء ينبئ عن سبق مغالبه وتقدم مقاومة ومكافحة، قلنا: هذا ظن منكم، فإن الاستواء ليس من ضرورته الاستخبار عن مغالبه، إذ لو أنبأ الإستواء عما قلتموه لأنبأت عنه الغلبة ايضا، والله تعالى غالب على أمره، ويتعالى عن أن يغالب... فإن قال قائل فما وجه التخصيص بالعرش؟

قلنا: يخصص الله بذكره من يشاء تشريفا وتعظيما... ولنا أن نقول خصص العرش بالذكر من حيث كان اعظم المخلوقات في أوهام البرية(١) .

وقال البيهقي في الاسماء والصفات :

كتب إلي الاستاذ أبو منصور بن أبي أيوب أن كثيرا من متأخري أصحابنا ذهبوا إلى أن الاستواء هو القهر والغلبة، ومعناه أن الرحمن غلب العرش وقهره، وفائدته الاخبار عن قهره مملوكاته، وانها لم تقهره وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المملوكات، فنبه بالأعلى على الأدنى، قال والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع في اللغة كما يقال استوى فلان على الناحية إذا غلب أهلها وقال الشاعر في بشر بن مروان:

قد استولى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق.

يريد أنه غلب أهله من غير محاربه(٢) .

وقال بدر الدين بن جماعه في ايضاح الدليل "... فقوله تعالى (استوى) يتعين فيه معنى الاستيلاء والقهر لا القعود والاستقرار"(٣) .

وقد أطال الإمام الرازي في معرض تفسيره لآيات الاستواء في الرد على المجسمة وتقرير مذهب التأويل بما لا مزيد عليه، ومما قاله "إنه تعالى لما خاطبنا بلسان

---

(١) الجويني عبد الملك، الشامل في أصول الدين، حققه علي النشار، فيصل بدير، سهير مختار، الاسكندرية، منشأة المعارف ١٩٦٩ ص٥٥٣-٥٥٤.

(٢) البيهقي، الاسماء والصفات ص٤١٢.

(٣) بدر الدين بن جماعه، ايضاح الدليل حققه وهبي سليمان غاوجي، الطبعة الأولى، بيروت،دار السلام، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص١٠٣.

العرب وجب أن لا يريد باللفظ إلا موضوعه في لسان العرب وإذا كان لا يعني للإستواء في اللغة إلا الإستقرار أو الإستيلاء، وقد تعذر حمله على الاستقرار، فوجب حمله على الإستيلاء، وإلا لزم تعطيل اللفظ وإنه غير جائز(١) .

المبحث الثالث

خلق القرآن

ذكرنا فيما سبق أن صفة الكلام لله تعالى صفة ذاتية قديمة، والحديث عن هذه الصفة يستتبع الحديث عن القرآن الكريم، وما دار حوله من جدل، وغرضنا هنا أن نتبين موقف الشيخ من هذه القضية، ثم نعقب عليه بتحرير موضع الخلاف وما يمكن أن يقال فيه عند تفسير قوله تعالى: **(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)**[البقرة/٣٠] قال رحمه الله: "وكلامه تعالى على قسمين: الأول صفة فعل، ودخل فيه خطابه لمن ذكر كله.

والثاني: صفة ذات، وهو معنى نفي الخرس، مع التنزه عن الجوارح وصفات المخلوقات، وذاته كافية في علم كل شيء بلا أول، ولا إثبات للكلام النفسي كما زعم قومنا أنه ثابت كما يثبت كلام الإنسان في نفسه، ثم يتكلم بألفاظ تدل عليه، وجعلوا القرآن وكتب الله تعالى كلها وخطابه كله لخلقه وكلامه كله قديما بهذا المعنى، وهو أنه ثابت في النفس الواجب الوجود بلا أول، كما يجيء وقته فيعبر عنه بألفاظ مخلوقة، فالفاظ القرآن عندهم مخلوقة كما عندنا، والعلم بها أنها ستكون وبمعانيها عندنا قديم كما عندهم، غير أنهم اثبتوا الكلام النفسي ونفيناه .. (٢)

هذا هو مجمل حديث الشيخ عن هذه المسألة، ولعل الترف الفكري الذي عاشته الأمة، والأوضاع السياسية التي خلفتها الدول المختلفة التي تعاقبت على حكم المسلمين، أقول لعل ذلك كان من أقوى الأسباب التي أدت بالمسلمين إلى حرب فكرية، ما زال أوارها مشتعلا حتى اليوم.

وأعود إلى هذه المسألة التي شغلت بال الكثير من المسلمين، حتى جعلوها حدا فاصلا بين الكفر والايمان، وما كان لها أن تكون كذلك لولا ما ارتبط بها من بعد سياسي وديني، ومحصلة القول فيها هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟

---

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (٢١/٦-٨) وانظر ١٤/٩٤-٩٦.

(٢) الهميان ١/٤٤٧-٤٤٨ وانظر ١/٢٣٢، ٦/٢/٢٣٦.

ولا يهمنا من قال بهذا أو ذاك بقدر ما يهمنا تحرير محل النزاع في القضية، ثم القول المجمع عليه؟ ولتعرف محل النزاع لا بد لنا من تحديد المقصود بكلام الله الذي هو القرآن عند كل من الفريقين.

الذي يظهر -والله أعلم- أن ما يقصده الفريق القائل بقدمه هو ذلك "القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الإشارات"(١) .

أي يقصدون بذلك الكلام الذي هو صفة ذات، واصطلحوا على تسميته بالكلام النفسي، ولا مشاحة في الإصطلاح، وهذا لم يقل أحد بحدوثه.

أما الذين قالوا بخلقه فما قصدوا الكلام النفسي، وإنما عنوا بقولهم ذاك، هذا القرآن الذي بين أيدينا، المتلو بالألسن، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور..

وهذا لا يقول عاقل بقدمه إلا غلاة الحنابلة والحشوية، وقالت الكرامية: ان كلام الله تعالى صفة له، مؤلف من الحروف والأصوات الحادثة وقائمة بذاته.

قال العلامة السعد التفتازاني في المقاصد(٢) :

"ولا عبرة بكلام الحشوية والكرامية، فبقي النزاع بيننا وبين المعتزله، وهو في التحقيق عائد إلى اثبات الكلام النفسي ونفيه، وأن القرآن هو المتلو هذا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي، وإلا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي، ولا لهم [أي المعتزلة] في قدم الكلام النفسي لو ثبت".

وهذا الذي ذكره الشيخ اطفيش رحمه الله في تفسيره الآية، وذهب إليه من علمائنا الإمام السالمي رحمه الله فقال في المشارق :

"وانما الخلاف في الصفة الذاتية المسماة بالكلام، فذهبت الأشعرية وطائفة من المشارقة إلى أنه قديم، لأنه صفة ذات، وصفات الذات قديمة واطلقوا عليها اسم قرآن فقالوا: القرآن الذي هو صفة الذات ليس بمخلوق، ولم يقم دليل على تسمية الكلام الذاتي

---

(١) الجويني، عبدالملك، الارشاد ص ١٠٤، الباقلاني، ابو بكر بن الطيب، الانتصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الطبعة الثانية، تحقيق الكوثري، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص ١٠٦، السعد التفتازاني، شرح المقاصد (١٤٤/٤).

(٢) التفتازاني، مسعود بن عبدالله، شرح المقاصد (١٤٦/٤)، وانظر القدسي، المسامره، ص ٧٧، والبياض كمال الدين احمد، اشارات المرام من عبارات الامام تحقيق يوسف عبد الرزاق، الطبعة الأولى، مصر، شركة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٨-١٩٤٩م ص ١٤٤، وانظر أبو دقيقة محمود، القول السديد في علم التوحيد، ج/٢، تعليق سماحة الشيخ أحمد الخليلي، سلطنة عمان ١٢٨/٢-١٣٠.

بالقرآن دليل، ولكن لهم أن يصطلحوا على ذلك فيكون الخلاف لفظيا حاصله؛ هل يسمى الكلام الذاتي قرآنا أم لا؟(١) .

وبينه شيخنا الخليلي -حفظه الله- أحسن بيان إذ قال :

"ونحن عندما نتحدث عن خلق القرآن فإنما نتحدث عن هذا القرآن المتلو بالألسن المكتوب في المصاحف... ولسنا نتحدث عن الكلام النفسي إذ لم يقم شاهد من الكتاب نفسه ولا من السنة على تسميته قرآنا وإنما اصطلحت الاشاعرة على تسميته بذلك، ولا مشاحة في الإصطلاح، غير أنهم لم يستندوا في اصطلاحهم هذا على شيء ثابت سماعه فلذلك لم نعول عليه، ونحن نثبت لله صفة الكلام كما قال الإمام ضياء الدين عبد العزيز الثميني في معالمه "اعلم أن الكلام يضاف تارة إلى الله على معنى نفي الخرس فيكون صفة ذات على ما مر من الصفات، وتارة يضاف إليه على معنى أنه فعل له، فيكون فعلا من أفعاله سبحانه، فمعنى كونه متكلما على الأول ليس بأخرس، وعلى الثاني أنه خالق الكلام.(٢)

ومما يجب أن يستقر في الأذهان عند الحديث عن خلق القرآن أنه لا يقصد بالقرآن علم الله بما أنزله من كتبه على رسله، فإنه لا يماري أحد في قدم علمه تعالى بهذه الكتب، إلا الذين قالوا بحدوث صفاته سبحانه، ولا يعبأ بهم، غير أنه قدم العلم لا يقتضي قدم المعلوم، فالله سبحانه عليم بكلام البشر علما أزليا، كما أنه عليم بكلامه، وعليم بكل مخلوقاته ... ولذلك قال بعض السلف القرآن حادث، وعلم الله به قديم...(٣)

ولا أظنك تشك أخي القاريء بعد الذي نقلته لك في حدوث القرآن الذي بين أيدينا وإلى هذا ذهب المحققون من الأشاعرة يقول الإمام الرازي "الكلام الذي هو متركب من الحروف والأصوات فإنه يمتنع في بديهة العقل كونه قديما لوجهين:

الأول: أن الكلمة لا تكون إلا إذا كانت حروفها متوالية فالسابق المنقضي محدث، لأن ما ثبت عدمه امتنع قدمه، والآتي الحادث بعد انقضاء الأول لا شك أنه حادث.

---

(١) السالمي عبدالله بن حميد مشارق الأنوار، ص ٢٤٥، والسالمي هو الامام عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي، أكبر علماء عمان في القرآن الرابع عشر الهجري ت ١٣٣٢هـ له عدة مصنفات منها مشارق الأنوار في التوحيد، معارج الآمال في الفقه.

(٢) قال السعد في شرح العقائد النسفية ص ٤٦ ما نصه "التحقيق : أن كلام الله تعالى اسم مشترك بين الكلام النفسي القديم. ومعنى الاضافة: كونه صفة لله تعالى، وبين اللفظي الحادث المؤلف من السور والآيات، ومعنى الاضافة أنه مخلوق لله تعالى" انظر التفتازاني، سعدالدين مسعود بن عمر، شرح العقائد النسفية، الطبعة الأولى، تحقيق احمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص ٤٦.

(٣) الشيخ الخليلي، أحمد بن حمد، الحق الدامغ، مطابع النهضة، مسقط، ص ١٠٣.

الثاني: أن الحروف التي منها تألفت الكلمة إن حصلت دفعة واحدة لم تحصل الكلمة، لأن الكلمة الثلاثية يمكن وقوعها على التقاليب الستة، فلو حصلت الحروف معا لم يكن وقوعها على بعض تلك الوجوه أولى من وقوعها على سائرها، ولو حصلت على التعاقب كانت حادثة(١) .

بل إنه ذهب إلى أبعد من هذا في تفسير سورة الأعراف فجزم بأن كلام الله ما هو إلا هذه الحروف المؤلفة مخالفا بذلك من قال بالكلام النفسي فقال "والناس مختلفون في كلام الله تعالى فمنهم من قال كلامه عبارة عن الحروف المؤلفة المنتظمة، ومنهم من قال كلامه صفة حقيقية مغايرة للحروف والأصوات، أما القائلون بالقول الأول، فالعقلاء المحصلون اتفقوا على أنه يجب كونه حادثا كائنا بعد أن لم يكن، وزعمت الحنابلة والحشوية أن الكلام المركب من الحروف والأصوات قديم وهذا القول أخس من أن يلتفت العاقل إليه(٢) .

وقد تحدث العلامة ابن عاشور في تفسيره لسورة النساء عن كلام الله المنزل بواسطة الملك على الرسل المسمى بالقرآن، وبالتوراة، وبالانجيل، وبالزبور فقال "وهذا لا يمترى في حدوثه من له نصيب من العلم في الدين، ولكن أمسك بعض أئمة الاسلام عن التصريح بحدوثه أو بكونه مخلوقا في مجالس المناظرة التي غشيتها العامة أو ظلمة المكابرة، والتحفز الى النبز والأذى دفعا للإيهام وابقاء على النسبة إلى الإسلام وتنصلا من غوغاء الطغام(٣) .

هذه هي مسألة خلق القرآن، وهذه خلاصة القول فيها، وما أظن بعد ذلك أن مسلما يخاف الله واليوم الآخر، حريص على وحدة أمته وبقائها، ما أظنه يرمي أخاه المسلم بكفر أو زندقة بسبب خلاف لفظي في مسألة ليست من أصول التوحيد التي يكفر تاركها.

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، المقدمة ٣٦/١ ويقصد بكلام الله القرآن، لا صفه الكلام التي هي صفة ذات.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب ، ٢٢٨/١٤.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (٣٨/٦).

المبحث الخامس

الـــرؤيـــــة

نالت مسألة الرؤية عند الشيخ حظا وافرا من التحليل والمعالجة، يحسن بنا أن نطلع القاريء الكريم على أهم ما جاء فيها وأكتفي بآيات ثلاث تفي بالغرض هي قوله تعالى :

(قال رب أرني انظر إليك قال لن تراني)[الأعراف/٤٣].

(لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار)[الأنعام/١٠٣].

(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)[القيامة/٢٣].

يبدأ الشيخ في تفسير الآية الأولى بتعريف النظر فيقول "النظر توجيه البصر إلى شيء يدركه به، سواء أدركه أم لا ، وليس مطلوبه به مجرد التوجيه، بل التوجيه لأجل الإدراك فنفى الله سبحانه الادراك، لأنه محال من حيث إن ما تراه العين لون، والله منزه عن اللون، ومحدود بالجهات، وحال في مكان أو في الهواء، والله منزه عن ذلك، فإنه يلزم من رؤية الله -حاشاه- أن يكون على لون من الألوان، وأن يكون في جهة، وأن يكون له الجهات والحدود، وأن يحل في مكان أو في هواء، وأن يكون جسما أو عرضا، وأن تخلو عنه الأماكن التي ليس فيها عند رؤية الرائي، وذلك تشبيه بالخلق، ومستلزم للحدوث، فإنه يكون بين الحادثين، وعلى الحادث من هو حادث. ومستلزم للتركيب، والتركيب مستلزم للحدوث وللجهل.

وإن قيل يدرك بغير اتصال شعاع العين به؟

قلنا هذا تفي لرؤيته بالعين كما قلنا، وإثبات للعلم بحقيقته كما قال الغزالي والفخر وغيرهما من المحققين: إن رويته أن يحصل للبشر إدراك بالنسبة إلى ذات الله تعالى، كنسبه الابصار إلى المبصرات في قوة الظهور.

قال الغزالي: إنما أنكر الخصم الرؤية لأنه لم يفهم ما نريد بها وظن أنا نريد بها حالة تساوي الحالة التي يدركها الرائي عند النظر إلى الأجسام، والألوان، هيهات نحن نعترف باستحالة ذلك في حق الله تعالى.

وهذا أيضا لا نقبله عنه، فإن ذات الله أعظم من أن تدركها عقول البشر ولا غيرها، أو تحيط به، وليس عند البشر معرفة كنه الله، وما عرفناه بالأدلة إلا أنه موجود،

عالم قادر، حي، مريد، قديم، باق، لا جسم ولا عرض، وغير ذلك من الصفات، ولو جازت عليه الرؤية بالعين لجاز عليه اللمس والذوق والشم تعالى الله عن ذلك.

ثم طفق الشيخ يرد على القائلين بالرؤية[١] .

وعند تفسير قوله تعالى **(لا تدركه الأبصار)**

يؤكد الشيخ: أن الإدراك مقصود به مطلق الرؤية، ولا دليل على تخصيصه بالاحاطة، وأن النفي في الآية لعموم السلب بمعنى لكل بصر من كل زمان، ولما كان نفي الشركة مدحا وتعظيما، كذلك فإن نفي الرؤية مدح وتعظيم، وقد علمت الأشعرية بهذا فاضطروا للقول نرى بلا كيف...

أما آية القيامة التي يستدل بها المثبتون **(إلى ربها ناظرة)** فإن الشيخ يفسر النظر بالانتظار -كما مر- ثم رد على ما أثير حول هذا التفسير من ايرادات منها أنه إذا كان بمعنى الانتظار لا يتعدى (بإلى) ولا يسند إلى الوجوه مؤيدا رأيه بالشعر وبما ورد في اللغة.

ثم ذكر الشيخ أن هذا التفسير مروي عن ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، ومجاهد، وابراهيم، ومكحول، والزهري، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وسعيد بن جبير، والضحاك، وأبو صالح صاحب التفسير، وعكرمه، ومحمد بن كعب، وعائشة، وعن الحسين بن علي: ناظرة إلى سلطان ربها وقدرته وتدبيره، وروى أيضا عن الفضيل بن عياض، وجليل بن عبدالحميد الطائي وعمار بن أخت سفيان الثوري، ومنصور بن المعتمر بن سليمان عن أبيه، عن وكيع بن الجراح، واسباط بن محمد عن يحيى بن أبي زكريا بن زياد عن إسرائيل بن يونس، وعيسى بن يونس، عن ليث وهو الراوي عن مجاهد.

والذي نلحظه أن الشيخ قد سلك في تحليله للقضية طريقة المتكلمين في الحجاج والرد، فذكر الأدلة العقلية المانعة، فالمجوزه ورد عليها، ثم نقل عن بعض الصحابه والتابعين القول بنفي الرؤية، وقد سلك هذه الطريقة أكثر من تكلم في الرؤية، فإن كان من النافين اجتهد أن يبطل أدلة المجوزين، وإن كان من المجوزين حاول بكل ما أوتي من براعة أن يبطل أدلة القائلين بنفيها، وبهذا تكون المسألة قد اشبعت بحثا دون أن تجد حلا، وليس بوسعنا نحن أن نعيد ما قيل ولا نوده، ولكنا نقتصر على النظرفي هذه الآيات الثلاث بعيدا عن تعقيد المتكلمين.

---

(١) الهميان (٦/٢/٢٣٨-٢٤٦) بتصرف.

أقول نحن أمام آيات ثلاث من القرآن الكريم "لن تراني" "لا تدركه الابصار" "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة". وجد النافون أن آيتي النفي أصرح من آية الإثبات، وأن الآية التي صرح فيها بالنظر تحتمل وجهين:

الأول: الرؤية بالعين.

الثاني: الانتظار، فرجحوا الوجه الثاني لأمور :

١- إنه يتفق والتنزيه المطلق لله سبحانه وتعالى.

٢- إنه يتفق وآيات النفي السابقة والقرآن يفسر بعضه بعضا.

٣- وهو أهمها إن سياق الآيات يقتضي تفسيرها بالانتظار، فالآية التي قبلها "وجوه يومئذ ناضره [إلى ربها ناظرة] والتي بعدها ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة.

قالوا: إننا أمام مقابلة بين صورتين، صورة الوجوه النضرة، الحسنة المستبشرة بلقاء ربها تنتظر ثوابه، وصورة الوجوه المكفهرة الكالحة التي تتوقع أمرا يقطع فقار ظهورها، والذي يؤيد هذا التفسير أن الصورة بعينها تكررت من سورة عبس في قوله تعالى **(وجوه يومئذ مسفرة، ضاحكة مستبشرة، ووجوه يؤمئذ عليها غبره، ترهقها قتره)**[عبس/٣٨-٤١].

أما المجوزون فقد نظروا إلى آية القيامة، فحاولوا أن يؤولوا الآيتين النافيتين لتتمشى مع هذا التأويل، وكلا الفريقين حاول أن يؤيد رأيه بالعقل والنقل.

ولما نظر العلامة صاحب المنار إلى هذه الآيات الثلاث وتأمل فيها خلص إلى ما يلي فقال:

"... وأما رؤية الرب تعالى فربما قيل بادي الرأي، إن آيات النفي فيها أصرح من آيات الاثبات كقوله تعالى **(لن تراني)**، وقوله تعالى **(لا تدركه الابصار)** فهما أصرح دلالة على النفي، من دلالة قوله تعالى **(وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)** على الاثبات، فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير في القرآن وكلام العرب كقوله **(ما ينظرون إلا صيحة واحدة)**[يس/٤٩] **(هل ينظرون إلا تأويله)**[الأعراف/٥٣] **(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)**[البقرة/٢١] وثبت أنه استعمل بهذا المعنى متعديا بإلى ولذلك جعل بعضهم وجه الدلالة فيه على المعنى الآخر- وهو توجيه الباصرة إلى ما تراد رؤيته- أنه اسند إلى الوجوه، وليس فيها ما يصحح اسناد النظر إليها إلا

العيون الباصرة، وهو في الدقة كما ترى، ولذلك اختلف في فهمها العلماء قبل هذه المذاهب، فقد روى عبد بن حميد عن مجاهد تفسير (ناظرة) بقوله : تنتظر الثواب، قال الحافظ ابن حجر: سنده إلى مجاهد صحيح، والجمهور ثم ذكر الشيخ أن تأويل (ناظرة) بالانتظار أو بالرؤية ليس قطعي الدلالة بحيث يعد حجة على جميع المكلفين، ويمتنع جعل تأويله عذرا للمخالفين، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعذر اصحابه في اختلاف فهمهم للنصوص، ويقرهم على ما كان للاجتهاد فيه وجه وجيه...

فإذا مخضنا أسباب الخلاف من جهة النصوص وحدها وجدنا لكل من النفاة للرؤية والمثبتين لها ما يصح أن يكون له عذرا عند الآخر يمنع جريمة التفرق في الدين، وجعل أهله احزابا وشيعا متعادية غير مبالية بما ورد فيه من الوعيد الذي كاد يجعله كالكفر، ما دام كل منهم يعلم أن الآخر يؤمن بأن جميع ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الدين حق، وأن الخلاف محصور في اختلاف الفهم".

وهذا الذي ذكره صاحب المنار هو الذي يجب أن يقال في القضية خاصة إذا علمت أن من المجوزين من فسر الرؤية بالعلم، يقول الإمام الغزالي "وأما وجه اجراء الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد إلى المحال فإن الرؤية نوع كشف وعلم* ، إلا أنه أتم وأوضح من العلم، فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة، جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة"(١) .

وقال العلامة ابن حجر العسقلاني في فتح الباري :

"واختلف من أثبت الرؤية في معناها، فقال قوم يحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات، وهو على وفق قوله في حديث الباب (كما ترون القمر) إلا أنه منزه عن الجهة والكيفية، وذلك أمر زائد على العلم، وقال بعضهم إن المراد بالرؤية العلم، وعبر عنها بعضهم بأنه حصول حالة في الانسان نسبتها إلى ذاته المخصوصة نسبة الإبصار إلى المرئيات، وقال بعضهم رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم، وهذا أقرب إلى الصواب من الأول(٢) .

---

* قال العلامة السعد في شرح المقاصد "ولا نزاع لهم [أي المعتزلة] من الانكشاف التام العلمي ولا الناني امتناع ارتسام الصورة، أو اتصال الشعاع، أو حالة مستلزمة لذلك، وإنما محل النزاع إنا إذا عرفنا الشمس مثلا بحد أو رسم كان نوعا من المعرفة، ثم إذا ابصرناها وغمضنا العين كان نوعا آخر فوق الأول، ثم إنا اذا فتحنا العين حصل نوع آخر من الادراك فوق الأولية نسميها رؤية" السعد التفتازاني، شرح المقاصد (١٨١/٤)، وانظر البياضي، اشارات المرام ، ص ٢٠٢

(١) الغزالي : ابو حامد احياء علوم الدين، ١٨٧/١.

(٢) العسقلاني، ابن حجر فتح الباري ٤٢٦/١٣.

وقال العلامة الجصاص عند تفسير قوله تعالى (لا تدركه الابصار) وهو من القائلين بنفي الرؤية "والأخبار المروية في الرؤية إنما المراد بها العلم، لو صحت وهو علم الضرورة الذي لا تشوبه شبهه، ولا تعرض فيه الشكوك لأن الرؤية بمعنى العلم مشهورة في اللغة"(١) .

ولعل هذا الذي دعا الأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة إلى القول بأن الخلاف لفظي فقال: "إذا تأملت في الشبه العقلية التي استند إليها المانعون لرؤية الباري سبحانه وتعالى، تراها تكاد تصرح بأن الذي دعاهم الى القول بعدم جواز الرؤية ووقوعها هو تنزيه الباري سبحانه عن ان يكون مماثلا للحوادث، حيث إن الرؤية المألوفة تستلزم هذه المماثلة، وإذا نظرت إلى اجابة المجوزين للرؤية عن هذه الشبه، تراها صريحه أن الرؤية التي قالوا بها تخالف رؤية الحوادث ماهية أو هوية، وحينئذ يكون الخلاف لفظيا، كذلك حقق شيخنا الاستاذ الكبير محمد بخيت في كتابه القول المفيد في علم التوحيد، أن الخلاف بين المانعين والمجوزين للرؤية لفظي، وأنه لا خلاف بين الفريقين إلا في تسمية ما يخلقه الله تعالى للمؤمنين من الانكشاف التام فالمانعون يسمونه علما ضروريا والمجوزون يسمونه إبصارا ورؤية وهذا الذي تميل إليه النفس"(٢) .

ولا شك أن في الجنة من التجليات واليقين والانكشاف ما لا يوجد قبلها فلا غرو إن عبر عنه بالرؤية، واكتفى بهذه المسائل كانموذج لمنهج الشيخ في العقيدة.

خاتمة: بين الهميان والتيسير :

من الاسباب التي دعت الشيخ إلى تأليف كتابه الهميان تقرير مذهبه في العقيدة والرد على مخالفيه فلذا تراه يستنفذ جهده في تأييد مذهبه والرد على مخالفيه فيما كان فيه خلاف، فلو أخذنا قضية عقدية كالرؤية مثلا نجد الشيخ في تفسيره الأول يستطرد في مباحث كلامية اشبه بمباحث الإمام الرازي في تفسيره فيقرر مذهبه أولا مستدلا لذلك بالعقل والنقل ثم يثنى بالرد على الرأي المخالف محاولا تفنيد كل دليل عقلي أو نقلي يخالفه استغرق ذلك أربع عشرة صفحة.

---

(١) الجصاص، احكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، جـ٣، ص ٤.

(٢) من العلماء المتشوفين إلى وحدة الأمة، والداعين الى نبذ الخلاف، استاذنا الدكتور / فضل عباس حفظه الله ومما قاله معلقا على هذه القضايا : قال "حرام على المسلمين أن يختلفوا في أمور لا تمس عقيدتهم مسا عمليا، وأن يختلفوا في أمور موعدها الآخرة، فإذا كان هناك رؤية كما يقول المثبتون، فنسأل الله لذة النظر إلى وجهه في غير ضراء مضره، وإن كان الأمر كما يقول النافون، فنسأل الله ان يلبسنا زينة الكرامة، وإذا كان الأمر لا بد فيه من كلمة أخيرة، فإننا على يقين من أن هدف النافين، والمثبتين، وغايتهم لا يتطرق إلى خيرتها شك فالكل هدفه تنزيه الله تبارك وتعالى، وعدم تعطيل نصوص الكتاب والسنة المطهرة، ولعل من يتدبر الأمر يدرك أن الخلاف أقرب ما يكون الى اللفظ، والله يعصمنا بتوفيقه ويجنبنا الزلل"اهـ كلامه املاء.

بينما يكتفي في التيسير بتقرير مذهبه دون أن يتكلف عناء الرد[١] . ويتضح ذلك أيضا عند تفسير قوله تعالى (**للذين احسنوا الحسنى وزيادة**)[يونس/١٦] ففي الهميان يرد الشيخ على القائلين بأن الزيادة هي الرؤية بينما يكتفي في التيسير بتفسير الزيادة كما روى عن بعض الصحابة دون اشارة إلى خلاف في المسألة[٢]

وما فعله هنا فعله عند تفسير آية القيامة[٣] . وعند تفسير قوله تعالى (**خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك**) [هود/١٠٧] يرد الشيخ على القائلين بفناء النار وعلى القائلين بالخروج منها، في حين تجده في التيسير لا يذكر اي قضية عقدية وانما يكتفي بتفسير الآية نحويا[٤] .

ويذكر اقسام الشفاعة ثم يرد على القائلين بأن الشفاعة تنال أهل الكبائر عند تفسير قوله تعالى (**عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا**)[الاسراء/٧٩]. بينما لا يذكر شيئا من هذا في التيسير[٥] .

وقد يعقد الشيخ فصلا من عشرات الصفحات لبحث مسألة عقدية كمسألة الصفات[٦] وإذا رجعت إلى التيسير لا تجد لهذا الفصل أثرا. وهكذا سار الشيخ في كتابه على هذا المنهج.

---

(١) انظر الهميان (٦/٢/٢٣٨-٢٥٢)، التيسير ٤/١٩١-١٩٢.

(٢) الهميان (٨/١/٥٠)، التيسير (٥/٢٤٢).

(٣) الهميان (١٥/٨٨-٩٣)، التيسير (١٤/٣١٢-٣١٤).

(٤) الهميان (٨/١/٢٨٤-٢٨٨)، التيسير (٦/٤٣-٤٤).

(٥) الهميان (٩/٢/٢٩٦-٣١٤)، التيسير (٧/٢٣٨).

(٦) الهميان (١/٥٢-٨٩)

الفصل الخامس
منهجه في علوم اللغة

- الاشتقاق والأوزان الصرفية.
- معاني المفردات.
- الإعراب.
- الصور البلاغية.
- الشواهد في تفسيره.
- خاتمة.

الفصل الخامس
منهجه في علوم اللغة

أولع الشيخ بعلم اللغة، وشغف بدراسته وتدريسه، ايمانا منه بأنه الأداة لفهم كتاب الله تعالى، وقد انعكس هذا الاهتمام على تفسيره، مما جعل مباحث اللغة فيه تطغى على غيرها من المباحث الأخرى، ويستطيع الباحث، وبكل طمأنينة، أن يصنف تفسيره هذا مع التفاسير التي تهتم بهذا الجانب.

وسيكون حديثنا في هذا الفصل عن المباحث التالية :

المبحث الأول : الاشتقاق والأوزان الصرفية.

المبحث الثاني : معاني المفردات.

المبحث الثالث : الإعراب.

المبحث الرابع : الصور البلاغية :

- البيان .
- المعاني.
- البديع .

المبحث الخامس : الشواهد في تفسيره

- الشواهد من القرآن الكريم.
- الشواهد من السنة الشريفة.
- الشواهد الشعرية.

ثم خاتمة : مقارنة بمنهجه في التيسير.

الاشـــتقاق :

هو اقتطاع فرع من أصل، يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل، وهو من أهم خصائص العربية، يدل على حيوتها، وثرائها، وقدرتها على التطور والتجديد.

قال أبو حيان في المبدع: الاشتقاق :

أكبر : وهو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد، وذهب إليه ابن جني.

وأصغر: وهو إنشاء فرع عن أصل يدل عليه.(١)

وقد ورد الإشتقاق بنوعيه في تفسير الشيخ.

فمن الإشتقاق الأكبر، ما جاء عند تفسير قوله تعالى : (**فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم**)[البقرة/١٧]، فذكر أن مادة (ح و ل) تدل على الدوران والتغير، والإنقلاب، والظهور، سواء كانت على هذا الترتيب (حول)، أم لا ، فسمي ما يقرب من المستوقد حولا لاستدارته به، وسمي العام حولا لأنه يدور، وحال الشيء، واستحال تغير، وحال عن العهد؛ انقلب، وتحول إلى مكان، ولاحه السفر غيره، ولاح النجم ظهر، ووحل بالكسر؛ وقع في الوحل وهو الطين، كما أن مادة كمل للقوة، ككمل، وكلم، وملك، ومكل، ولكم(٢) .

أما الإشتقاق الأصغر، كاشتقاق اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم المرة، واسم الهيئة، واسمي الزمان والمكان، فقد ورد في كتاب الشيخ بكثره.

فمثال اسم الفاعل، (مرتاب) في قوله تعالى (**كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب**)[غافر/٣٤] يقول: هو اسم فاعل أصله مرتيب، بكر الياء تحركت بعد فتح فقلبت ألفا بعد زوال حركتها.(٣)

ومن اشتقاق اسم المفعول، عند تفسير قوله تعالى: (**فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**) [يونس/٢٤] يقول: حصيدا: أي محصودة، وذكر، لأن فعيلا بمعنى مفعول يذكر أيضا إذا وصف به المؤنث، وكانت قرينة دالة على المؤنث.(٤)

---

(١) أبو حيان ، المبدع في التصريف.

(٢) الهميان (٢٩٣/١) وانظر للمزيد (٢٢٩/١) مادة "فلح" ، ٢٧٣/٢/٩ مادة "دلك"

(٣) الهميان (١٥٩/١٣) وانظر (٢٦٦/٢/٨).

(٤) المصدر نفسه (٤٧/١/٨) وانظر ٢٩٧/١٥.

أما الصفة المشبهة، فمثل (بديع) في قوله تعالى (**بديع السموات والأرض**)[البقرة/١١٧].

يقول فيها: خبر لمحذوف، أي هو بديع، وبديع، صفة مشبهة مضافة لفاعلها، كقولك زيد غريب الصنع، وحسن الوجه، وكريم الفعل(١) .

ومن صيغ المبالغة فعيل، مثل (نسي) في قوله تعالى (**وما كان ربك نسيا**)[مريم/٦٤] يقول الشيخ: والنسي : صفة مبالغة بوزن فعيل، أو مفعول، فأصله نسوي كصبور، قلبت الواو ياء، والضمة كسرة وادغمت الياء في الياء.(٢)

ومثال اسم التفضيل، عند قوله تعالى (**ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**)[الزمر/٣٥]. يقول في اسوأ، وأحسن: أسمي تفضيل باقيات على معناهما(٣) .

ومن اشتقاق اسم الهيئة، ما جاء عند تفسيرقوله تعالى (**سنعيدها سيرتها الأولى**)[طه/٢١] يقول: والسيرة : فعلة بكسر الفاء لهيئة من السير(٤) .

ومن الأمثلة على اسمي الزمان والمكان، عند قوله تعالى (**لكل نبأ مستقر**)[الانعام/٦٧]. يقول: لكل خبر يخبر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم زمان يستقر فيه تأويله، فمستقر ، اسم زمان(٥) .

وعند قوله تعالى (**ثم أبلغه مامنه**)[التوبة/٦].

يقول: فالمأمن، اسم مكان: وهو الموضع الذي لا يخاف فيه(٦) .

وعلى هذا مشى الشيخ في تفسيره، يذكر الاشتقاق دون أن يفصل فيه، والجدير بالذكر، أنه يرى أن المصدر هو أصل الاشتقاق، موافقا بذلك مدرسة البصرة.

أما الأوزان الصرفية: فإن الشيخ ينقل وباستفاضة ما كتبه الأقدمون في ذلك، إما بذكر المصدر أو بعدم ذكره، وقد يرجح ما يراه صحيحا.

---

(١) المصدر نفسه (٦/١/٢٠٠).

(٢) المصدر نفسه (١٠/١/٣٠٢).

(٣) المصدر نفسه (١٣/٩٢).

(٤) المصدر نفسه (١٠/١/٢٦) وانظر (١٢/١/٣٨٩).

(٥) المصدر نفسه (٦/١/١٢١).

(٦) المصدر نفسه (٧/٢/٢٣).

فمثال الأول: ما كتبه الشيخ نقلا عن ابن هشام، والشيخ خالد، وابن مالك في تصريف (آية) عند تفسيرقوله تعالى (**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**)[البقرة/٣٩].

نقل عن الشيخ خالد ستة أقوال في الوزن الصرفي لآية، ثم نقل عن ابن هشام، وابن مالك، وما ورد على هذه الأقوال من اعتراضات ، والردود عليها، بما يقارب أربع صفحات، ودون أن يفصل فيها برأي.(١)

أما المثال على الثاني فما جاء عند تفسيرقوله تعالى (**يآ أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء إن تبد لكم تسؤكم**)[المائدة/١٠١].

ينقل الشيخ ما قيل في وزن أشياء، مرجحا قول الخليل وسيبويه، أن أصلها (شيئاء)، على وزن (لفعاء)، قدمت الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة، على الفاء (الشين)، ثم سكن الشين ليبقى وزن المفرد، لأن هذا غير جمع، والأصل بقاؤه من غير الجمع.(٢)

قال السمين الحلبي: "ورجح هذا المذهب بأنه لم يلزم فيه شيء غير القلب، والقلب في لسانهم كثير، أما المذاهب الأخرى، فإنه يرد عليها إشكالات، هذا المذهب سالم منها، فلذلك اعتبره الجمهور دون غيره.(٣)

وربما اكتفى بالقول الذي يراه صحيحا، دون سواه، كما عند تفسير قوله تعالى (**وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة**)[يوسف/٤٥].

يقول في تصريف ادكر: وزن افتعل، والأصل اذتكر، بذال معجمة، فتاء ابدلت الذال المعجمة دالا مهمله، ثم ابدلت التاء دالا مهمله، وادغمت الذال في الدال، هذا ما رأيته عن شيخي، وذكره ابن هشام، وهو الأفصح الموافق للقياس(٤) .

---

(١) الهميان ٤٩٣/١-٤٩٦.

(٢) المصدر نفسه (٦٠٨/٥-٦٠٩).

(٣) السمين الحلبي، الدر المصون (٤٣٤/٤).

(٤) الهميان (١٣٩/٢/٨) وانظر، الزمخشري، الكشاف (٧٩/٣)، ابو حيان البحر المحيط (٣١٣/٥).

المبحث الثالث

منهجه في الإعراب

تبدو ظاهرة الإعراب جلية واضحة في تفسير الشيخ، إذ لا يكاد يمر بآية إلا ويذكر ما فيها من وجوه إعرابية، إثراء للمعنى، وزيادة في إيضاحه ويمكن أن نلخص منهجه الإعرابي في النقاط التالية:

١- عرضه الأقوال دون تعقيب أو ترجيح.

٢- يعرض الأقوال مع التعقيب والترجيح، ويرجح بناء على :

أ- سلامة القاعدة النحوية من الضعف.

ب- قوة المعنى وسلامته من الضعف.

ويرد بعض الأقوال، لضعف القاعدة النحوية المبنية عليها، أو ضعف المعنى.

٣- كثرة النقل عن كتب النحاة كابن هشام. وإليك أمثلة على ما ذكر.

أولا: عرضه الأقوال دون تعقيب أو ترجيح:

ومن الامثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى **(ثم تاب الله عليهم، ثم عموا وصموا كثير منهم)**[المائدة/٧١] يقول في إعراب كثير:

إنها بدل من واو (صموا) بدل بعض من كل، ويقدر مثله لواو (عموا) أو فاعل لقوله (عموا)، على لغة : (يتعاقبون فيكم ملائكة)، ويقدر مثله (لصموا) على التنازع، أو بالعكس، والواوان على هذا حرفان يدلان على جماعة الذكور، وقيل مبتدأ وعموا خبر مقدم، وسوغ ذلك أنه لا يلتبس التقديم، لاتصال الواو بالفعل..."(١)

وعند تفسير قوله تعالى **(وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون، ذكرى وما كنا ظالمين)**[الشعراء/٢٠٨-٢٠٩] يقول في إعراب ذكرى: إما مفعول مطلق لمنذرون، أي لها منذرون إنذارا، فإن الانذار والتذكير والوعظ متقاربة، ويؤول منذرون بمذكرون، .. وإما حال من المستتر في منذرون على المبالغة، جعلوا لامعانهم في التذكرة، نفس التذكرة، أو على تقدير مضاف، أي ذوي تذكرة، أو على تأويله بمذكرين، وإما مفعول

---

(١) انظر الهميان (٥/٥٣٥)، والكشاف (٢/٤٠). والاعراب الثاني هو لغة قليله لبني الحارث بن كعب، ورده ابو حيان فقال "ولا ينبغي ذلك لقلة هذه اللغة، وضعف ابو البقاء، وأبو حيان، الاعراب الاخير، بحجة أن الفعل قد وقع موقعه فلا ينوي به غيره، وتعقبهما السمين الحلبي بقوله "وفيه نظر لأنا لا نسلم أن وقع موقعه، وإنما كان واقعا موقعه لو كان مجردا من علامة" انظر، ابو حيان البحر المحيط (٣/٥٤٣) العكبري، املاء ما من به الرحمن (١/٢٣٣) السمين، الدر المصون (٤/٣٧٢).

لأجله، وإما صفة لمنذرون مبالغة، أو بتقدير مضاف، أو بالتأويل بالوصف، أو خبر لمحذوف، أي هذه ذكرى..."(١)

ثانيا- عرض الأقوال مع الترجيح:

أ- الترجيح بناء على سلامة القاعدة النحوية، ومثاله عند تفسير قوله تعالى (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)[الحجر/٧٢] يذكر في اعراب لعمرك قولين :

الأول: انه مبتدا محذوف الخبر وجوبا، لاختصاصه بالقسم، لعمرك قسم.

والثاني: خبر لمحذوف، اي لقسمي عمرك.

ثم يعقب على ذلك بقوله: والحق عندي الأول، لسلامته من تقدير الفصل بين اللام ومدخولها، ومن دخول لام الابتداء لفظا على الخبر والأصل دخولها على المبتدأ(٢) .

ومن أمثلة الترجيح بناء على المعنى :

عند تفسير قوله تعالى (قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي)[طه/١٨]. يرى الشيخ أن الراجح في (واو) (وأهش) العطف، لأن في جعلها للعطف افادة معنيين ، معنى بقوله: أتوكأ عليها، ومعنى آخر بالهش، وإذا جعلنا الواو للحال، كان الهش، الذي هو الزجر قيدا للتوكؤ، فيقيد أنه يتوكأ عليها في حال الزجر، وذكر حاجتين مما يعمل بالعصى، أولى من ذكر حاجة..."(٣) .

وإذا كان يرجح القول بناء على سلامة القاعدة من الضعف، فإنه كذلك يرد القول إذا خالف أصل القاعدة الصحيحة، كما عند تفسير قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم)[التوبة/١٠٨] يقول في اللام في لمسجد:

اللام للابتداء : وقيل اللام الواقعة في جواب القسم، والقسم محذوف أي والله، وهذا القول عندي ضعيف، لأن الأصل عدم الحذف، ولا دليل عليه(٤) ويرد القول كذلك

---

(١) الهميان (١٢/١/٩٥)، وانظر هذه الاقوال في الكشاف ١٨٥/٤. ومن الاقوال التي ذكرها الزمخشري: هو أن ذكرى متعلق بأهلكنا مفعولا به، والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما الزمناهم الحجة بإرسال المنذرين اليهم، ليكون اهلاكهم تذكرة، وعبرة لغيرهم... قال وهذا الوجه عليه المعول، وتعقبه أبو حيان كعادته فقال "وهذا لا معول عليه، لأن مذهب الجمهور أن ما قبل "إلا" لا يعمل فيما بعدها إلا أن يكون مستثنى أو مستثنى منه أو تابعا غير معتمد على أداه، والمفعول له ليس واحدا من هذه الثلاثة..." انظر الزمخشري، الكشاف، (١٨٥/٤)، ابو حيان، البحر المحيط (٤٢/٧) اقول : وإذا كان الاعراب فرع على المعنى، فإن المعنى الذي ذهب اليه الزمخشري، هو اللائق بسياق الآيات، فإن المقصود من الا هلاك هو الذكرى.

(٢) الهميان (١٧٦/١/٩).

(٣) الهميان (٢٤/٢/١٠).

(٤) الهميان (٢٥٧/٧) وانظر ٤٠٧/٤، ٢١٤/٥

لضعف المعنى عليه كما في قوله تعالى (**قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده**)[الاسراء/٥٣] يقول الشيخ في اعراب (يوم) أنها ظرف لمحذوف، أي يقع البعث يوم، أو يتعلق بمحذوف خبر لمحذوف، أي هوثابت يوم، هذا ما ظهر لي من الأوجه، وأجاز بعضهم أن يكون بدلا من (قريبا)، على أن قريبا ظرف... ولا يحسن ذلك لضعف المعنى عليه.(١)

أما نقله عن كتب النحو، واستطراده في مباحث نحوية فكثير اكتفى من ذلك بمثال:

ما جاء عند تفسير قوله تعالى (**ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر**)[القصص/٨٢].

ينقل الشيخ ما قيل في إعراب (ويكأن) من أقوال ومذاهب فيقول "مذهب الخليل وسيبويه أن وي حرف تنبيه، واتصالها بكأن في الخط من شذوذ خط المصحف، وادعى بعضهم أنها اتصلت لكثرة الاستعمال وكأن هي تشبيهية.

وقال الكوفيون: ويك بمعنى ويلك، وقال ابو حاتم(٢) : هي ويلك حذفت لامه لكثرة الاستعمال، فهي مفعول مطلق، عامله محذوف وجوبا، من معنى الزجر، والخطاب لمن يصلح له، أو من معنى الهلاك، والخطاب لقارون بعد الخسف به، و(أن) حرف تأكيد، واتصال الكاف بها شذوذ، وفتحت الهمزة على تقدير: اعلم أن الله، وقيل: و ي اسم فعل للتعجب وكأن للتشبيه، أي ما اشبه الأمر ان الله يبسط، واتصال الياء بالكاف شذوذا ونسب للبصريين، وقيل: وي اسم فعل بمعنى التعجب، والكاف للخطاب واتصالها بأن شذوذ، وفتحت همزة إن لتقدير لام التعليل متعلقة بوي، او بمحذوف أي كان ذلك لأن الله.

وقيل: ويك معناه ألم تعلم، وقيل الم تر، وقيل (ويكأن) كلمة واحدة، بمعنى لكن، فالاتصال قياسي لا شذوذ، وفي المسائل السفرية(٣) ، قيل: ويك اسم فعل معناه استفهام تقريري، وأن الله يبسط منصوب بويك، وقيل وي اسم فعل ومعناه اعجب، وكأن ناصبة

---

(١) الهميان (٢١٢/٢/٩)، وذكر العكبري، والسمين، هذه الأوجه و لم يعقبا عليها بشيء وما ذكره الشيخ صحيح، ذلك أن القصد من اجابتهم اشعارهم بقرب وقوعه، لا تعيين زمانه انظر العكبري، املاء ما من به الرحمن، (٩٣/٢)، السمين الحلبي، الدر المصون (٣٦٩/٧)، ابو حيان، البحر المحيط (٤٥/٦).

(٢) وهو مذهب الكسائي ويونس البحر ١٣١/٧، الدر المصون ٦٩٨/٨.

(٣) لابن هشام الانصاري.

الاسم، رافعة الخبر، ومعناه الظن لا التشبيه وقال الاخفش[١] : وي اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف حرف خطاب، وأن على تقدير اللام..

وقيل: وي اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف حرف جر للتعليل[٢] وصححه بعض ونسب للخليل وسيبويه[٣] ، وعليه جرى ابن هشام في حرف الكاف من المغنى، لكن ذكره في ويكأنه الثاني[٤] .

ومثال استعراضه للأوجه الاعرابية وما ورد عليها من اعتراضات والجواب عن هذه الاعتراضات ما ورد عند تفسير قوله تعالى (**إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم..**)[٥] [فصلت/٤١] وقد يعقب على بعض هذه الأوجه بالتصحيح ونظرا لطول الامثلة اكتفي بالاحالة على بعضها[٦] .

والذي يلحظ هنا أن الشيخ عادة ما يرجح أقوال نحاة البصرة بصفة عامة، وأقوال سيبوية بصفة خاصة. ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى (**قل اللهم مالك الملك**)[آل عمران/٢٦] يقول الشيخ الميم في "اللهم" عوض عن حرف النداء، ولذلك لا يجتمعان الا في الشعر، أي: يالله، وشد دت لأن "يا" حرفان، وتعويض الميم عن حرف النداء من خصائص هذا الاسم... وذلك مذهب البصريين.

وقال الكوفيون: الميم بقية فعل الدعاء، والأصل: يا الله أمنا بخير، أي: اقصدنا بخير، فحذف حرف النداء، وحذفت همزة (أم) والمفعول "بخير" ويعقب الشيخ على هذا بقوله: ولو كان كذلك لجاز حذف النداء معه، واحتاج ما بعده العطف مثل اللهم واغفر لنا – لم يسمع[٧] .

قال الصبان بعد ما ذكر مذهب الكوفيين (بقية جملة محذوفة): "ورد بأنه يقال اللهم لا تؤمهم بخير، وبأنه كان يحتاج الى العاطف في نحو اللهم اغفر لي"[٨] .

---

(١) مذهب الاخفش ان "ويك" كلمه براسها والكاف حرف خطاب، و "أن" معموله محذوف اي اعلم انه لا يفلح... الدر المصون ٦٩٨/٨

(٢) اي اعجب لانه لا يفلح الكافرون.

(٣) الذي ذكره ابو حيان في البحر المحيط ان مذهب الخليل ان (ويكأن) تنقسم الى ثلاثة اقسام (وي) اسم فعل للتعجب، والكاف للتشبيه، و (أن) المؤكده اهـ (١٣١/٧).

(٤) الهميان (٣٠٠/١/١٢)

(٥) انظر الهميان (٢١٩/١٣).

(٦) انظر الهميان (٥٣/١/١٢) ومن مثله نقله عن ابن هشام انظر (١٢٨/٢/١٠)، والشيخ خالد (٢٦٤/١/١٠).

(٧) الهميان (٤٥/٤-٥٥) وانظر للمزيد (٥٣٢/٥، ٦٢٠) ، ٣٤/٢/٦، ٢١٩/١/٤

(٨) حاشية الصبان (١٤٧/٣) وانظر ابن عقيل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، (٢٤٢/٢).

وعند تفسير قوله تعالى (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون)[الانبياء/٩٥] يذهب الشيخ رحمه الله إلى أن حرام هنا بمعنى ممتنع وأن إعرابها خبر، وأنهم الخ مبتدأ أي عدم رجوعهم إلينا يوم القيامة ممتنع ويضعف كون (حرام) مبتدأ (وأنهم لا يرجعون) فاعله أغنى عن الخبر لانه لم يتقدم استفهام أو نفي(١) .

والشرط الذي ذكره الشيخ من إعتماد الوصف على نفي أو استفهام حتى يعرب مبتدأ هو مذهب البصريين إلا الأخفش، أما الأخفش والكوفيون فأجازوا أن يعرب الوصف مبتدأ وما بعده فاعل سد مسد الخبر وإن لم يعتمد على نفي أو استفهام كما هو الحال في الآية(٢) .

ومن أمثلة اختياره لمذهب سيبويه ما ذكره من إعراب (لأي) في قوله تعالى (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا)[مريم/٦٩]. يقول في اعراب (أيهم)

أي: مفعول ننزع اسم موصول مبني على الضم لحذف صدر صلته والتقدير أيهم هو أشد...، ثم يعلق على هذا الاعراب بأنه هو الصحيح وهو مذهب سيبوية، قال ابن هشام: وخالفه الكوفيون وجماعة من البصريين(٣) لأنهم يرون أن أيا الموصوله معربه دائما، ولو أضيفت وحذف صدر صلتها... ويستمر الشيخ في ذكر أقوال الخليل ويونس والكسائي والأخفش والردود عليها(٤) .

وما ذكره الشيخ عن سيبوية هو الذي ذهب اليه ابن مالك في الألفية بقوله

أي كما واعربت ما لم تضف وصدر وصلها ضمير انحذف.

قال شارحه: أي: وأعربت (أي) إذا لم تضف في حالة حذف صدر الصلة فدخل في ذلك الأحوال الثلاثة السابقة وهي إذا اضيفت وذكر صدر الصلة، أو لم تضف ولم يذكر صدر الصله، أو لم تضف وذكر صدر الصله، وخرج الحالة الرابعة، وهي: اذا أضيفت وحذف صدر الصلة فإنها لا تعرب حينئذ(٥) .

---

(١) الهميان (١٠/١/٢٦٥).

(٢) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، (١/١٨١)

(٣) الخليل ويونس ومن وافقهما، اما الخليل فجعلهما استفهامية محكية بقول مقدر والتقدير "ثم لننزعن من كل شيعة" الذي يقال فيهم أيهم اشد، اما يونس فجعلها استفهامية ايضا لكنه حكم بتعليق الفعل قبلها عن العمل لأن التعليق عنده غير مخصوص بافعال القلوب، وجعلها الاخفض والكسائي استفهامية والمفعول كل شيعة، ومن زايدة بناء على قولهما أنها تزاد في الايجاب..انظر حاشية الصبان١/١٦٦.

(٤) والهميان ١٠/١/٣٠٩

(٥) ابن عقيل، شرح ابن عقيل ، (١/١٥٣-١٥٥).

بقي أن أشير إلى مسألة اهتمام الشيخ بالحروف ومعانيها، وأكتفي هنا بمثالين:

المثال الأول : حروف العطف.

عند تفسير قوله تعالى **(فهي كالحجارة أو أشد قسوة)**[البقرة/٧٤]. يبدأ الشيخ كعادته بذكر مذهبه فيقول (أو) على أصلها من الدلالة على النسبة لأحد الشيئين أو الاشياء، فهي للشك باعتبار المخلوق، يعني أن من عرف حال قلوبهم تردد بين أن يشبهها بالحجارة أو بما هو أشد منها.

واختار أبو حيان أنها للتنويع أي منها ما هو كالحجارة ومنها ما هو أشد، ومن أجاز وقوع (أو) التخييرية أو الإباحية بعد غير الأمر والنهي أجاز أن تكون هنا للتخيير، أي الناس مخيرون بين أن يشبهوا قلوبكم يا بني اسرائيل بالحجارة أو بما هو أشد، أو للإباحة أي أبيح للناس أن يشبهوها بالحجارة أو بما هو أشد لصدق من يشبهها بالحجارة، ولصدق من يشبهها بالحديد، لأن فيها شدة الحجارة، وشدة ما هو أقوى منها، ويجوز أن يكون للاضراب كبل، وعليه اقتصر الشيخ هود رحمه الله.

ثم نقل عن ابن هشام بعض هذه المعاني وزاد معنيين أخرين هما الابهام قاله بعض البصريين، والثاني الشك مصروفا إلى الرأي قاله ابن جني، قال ولا يجوز أن تكون بمعنى الواو قلت [الشيخ] يجوز أن تكون بمعنى الواو فإن في الحديد مثلا قوة الحجارة وزيادة(١) .

ومن معاني الحروف أيضا، حرف اللام عند تفسير قوله تعالى **(ربنا ليضلوا عن سبيلك)** يذكر الشيخ من معاني اللام، التعليل، أو العاقبة، أو للدعاء ومعنى التعليل: أنك آتيته زينة وأنواعا من المال استدراجا للضلال، وبه قال الفراء.

ومعنى العاقبة: أنك آتيتهم ذلك فكانت عاقبتهم الضلال وبه قال الأخفش.

ومعنى الدعاء : أنه لما علم بالوحي، أو بممارسة أحوالهم أنهم لا يؤمنون دعا عليهم... على طريق قولك لعن الله ابليس، وبه قال ابن الأنباري وعليه فيضلوا مجزوم(٢) .

---

(١) الهميان (٢/١٢٢-١٢٣). نظم المرادي معاني أوفى بيتين هما

بـ (أو) خير، أبح، قسم، وأبهم ... وفي شك ، واضراب تكون

ومثل "ولا" و "واو" أو النصب ... باضمار لحرف لا يبين

انظر المرادي ، الجنى الداني، تحقيق : د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٢٣٢.

(٢) الهميان (٨م١/١١٦) وانظر (٩/١/١٢٠).

الزوائد في القرآن الكريم

أقصد بالزوائد هنا هي تلك الحروف التي ذكر أكثر النحاة، أنه ليس لها حكم إعرابي، ويبقى الكلام من دونها تاما، وممن ذهب إلى ذلك الفراء، والاخفش، وأبو حيان، وغيرهم، في حين رد آخرون القول بالزيادة – في كتاب الله خاصة – حتى قال الرافعي: "إن اعتبار الزيادة فيه، واقرارها بمعناها نقص يجل القرآن عنه، وليس يقول بذلك إلا رجل يعتسف الكلام، ويقضي فيه بغير علمه، أو بعلم غيره.

فما في القرآن حرف واحد إلا ومعه رأي يسنح في البلاغه من جهة نظمه، أو دلالته، أو وجه اختياره، بحيث يستحيل البته، أن يكون في موضع قلق، أو حرف نافر، أو جهة غير محكمة، أو شيء مما تنفذ في منفذه الصنعة الإنسانية من أي ابواب الكلام إن وسعها منه باب".(١)

وقد ناقش هذه القضية الاستاذ الدكتور فضل عباس في كتاب سماه لطائف المنان فمما قاله في معرض رده على القائلين بالزيادة: "إن ما سموه زائدا أو صلة، عندما ننعم النظر فيه، فإننا لا نتردد أي تردد، ولا نرتاب أدنى ارتياب، بأن هذا الذي سموه زائدا، لم يكن للتأكيد فحسب، ولم يكن ليجمل به الإيقاع فقط، وليس ظاهره أسلوبيه – كما قيل–، إنما هو بعد ذلك كله أمر اقتضاه المعنى– وحتمته الحكمة البيانية، والحكمة العقلية كذلك، فلو ذهب من الكلام لذهب جزء جوهري من المعنى، فهي بحق برهان ساطع على اعجاز هذا الكتاب، بل هي من أهم روافد هذا الاعجاز..."(٢)

وقد تابع الإمام القطب –رحمه الله– القائلين بالزيادة، في مواضع كثيرة منها:

عند تفسير قوله تعالى (**فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء**)[ابراهيم٢١] يرى الشيخ –رحمه الله– أن (من) في قوله (من شيء) زائدة أي فهل أنتم دافعون عنا شيئا هو عذاب الله، يقول وانما زيدت (من) لتقدم الاستفهام هذا ما ظهر لي وهو إن شاء الله خال من تكلف..."(٣)

وما ذهب اليه الشيخ هو قول أبي البقاء، وأبي حيان(٤) ، وهناك قولان آخران للزمخشري، أولى أن تحمل عليهما الآية، قال الزمخشري: "فإن قلت: اي فرق بين من

---

(١) الرافعي تاريخ آداب العرب، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٢/٢٣١-٢٣٢.

(٢) د. فضل عباس ، لطائف المنان، الطبعة الأولى، دار النور ، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩، ص ٦٢.

(٣) الهميان (٩/١/٣٥).

(٤) انظر العكبري، املاء ما من به الرحمن، (٦٧/٢)، أبو حيان، البحر المحيط، (٤٠٧/٥).

في (من عذاب الله) وبينه في (من شيء)، قلت: الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل: هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله، ويجوز أن تكون للتبعيض معا، بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي بعض بعض عذاب الله"(١) .

وقد تعقب أبو حيان -كعادته- هذين القولين بما يضعفهما، ورد عليه السمين الحلبي، بما يقوي ما ذهب إليه الزمخشري، وهو الصحيح لسلامته من القول بالزيادة(٢) .

ومن الأمثلة ايضا عند تفسير قوله تعالى (**إن كل نفس لما عليها حافظ**)[الطارق/٤] يقول اللام فارقة بين النفي والإثبات، دالة على الإثبات، وما زائدة للتأكيد(٣) .

ولنا هنا وقفتان:

الأولى: إن ما وضع للتأكيد لا يسمى زائدا قال أستاذنا الدكتور فضل عباس "... إننا لا بد أن نفرق بين ما يصلح لان يكون تأكيدا وبين ما لا يصلح، فاذا كانت الكلمة، أو الحرف مستعملا في التوكيد، فلا ينبغي ان يوصف بالزيادة، أو بالإقحام، لذلك لم نسمع أحدا يقول في قوله سبحانه (**لينبذن في الحطمة**) [الهمزة/٤] إن النون هنا زائدة، بل قالوا: إن النون للتوكيد.

الثانية: إن في الاية قراءتين:

الأولى بتشديد ميم (لما) هنا بمعنى (إلا) ، و(إن) نافية والمعنى - والله أعلم ما كل نفس إلا عليها حافظ.. وهذا الأسلوب -أعني أسلوب النفي والاستثناء - يسمى اسلوب الحصر والقصر؛ وهو يفيد التأكيد بالطبع..

الثانية : بتخفيف الميم؛ (لما) ، و(إن) في الأية المخففة من الثقيلة واللام من (لما) تسمى الفارقة، التي تفرق بين (إن) المخففة، و (إن) النافية. يقول استاذنا الدكتور :

"لو كانت [ما] زائدة لاختلفت القراءتان المتواترتان، ولكانت كل واحدة لها معنى يختلف عن أختها، وهذا غير مقبول، ذلك أن القراءة الأولى- بتشديد الميم- جاءت بأسلوب الحصر الذي يفيد التأكيد وعلى هذا فالقراءة الثانية، يجب أن تفيد التأكيد كذلك، ولما كان التأكيد يضعف بـ (إن) المخففة، فلا بد من أداة تقوى هذا التأكيد وهذا الأداة هي

---

(١) الزمخشري، الكشاف، (١١٧/٣).

(٢) انظر السمين الحلبي ، الدر المصون، (٨٦/٧).

(٣) الهميان (٢٤٤/١٥).

(ما) التي جاءت بعد اللام الفارقة، وبهذا التوجيه تتفق القراءتان السبعيتان إذ كلتاهما افادت التأكيد، والقول بالزيادة ينافي هذا المعنى.(١)

والذي ينبغي أن يسجل للشيخ – رحمه الله– أنه لم يكن مع القول بالزيادة على كل الأحوال، بل ربما تعقب القائلين بذلك، فها هو يرد على أبي عبيدة قوله بزيادة اذ في جميع القرآن عند تفسير قوله تعالى **(وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة)**[البقرة/٣٠].

فيقول.: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: اذ زائدة للتأكيد في جميع القرآن وليس بصحيح لأن الأصل عدم الزيادة ولا سيما في الاسماء.(٢)

وعند تفسير قوله تعالى: **(وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا)**[ابراهيم/١٢] يرد القول بزيادة "لا" فيقول :

والاستفهام للإنكار، أي لا عذر لنا في الا نتوكل. وقيل: لا زائدة والمصدر مفعول به للجار والمجرور اي ما منعنا التوكل، ويرده أنه لم يعهد عمل الجار والمجرور في المعقول الصريح، وانه لا وجه لتضمين لنا معنى منعنا، وأن الاصل عدم الزيادة، وقال الأخفش: (إن) زائدة ناصبة، وكان يجيز عمل (أن) الزائدة كما يعمل الجار الزائد، ويرده أن الاصل عدم الزيادة، وأنها لو كانت زائدة لم تعمل لعدم اختصاصها كما يختص حرف الجر الزائد بالإسم فقد دخلت على الحروف في قوله :

فأمهله حتى إذا إنْ كأنه معاطي يدي في لجة الماء غامر.

وهو يتردد بين القول بالزيادة وعدمها عند تفسير قوله تعالى **(فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا)**[البقرة/١٣٧].

الباء في قوله بمثل غير زائدة، ولفظ مثل غير زائد، بل الباء للتعدية، ويجوز أن تكون للسببية، او للآله.. بمعنى إن حصلوا الإيمان بالله ورسوله محمد، وما جاء به بسبب طريق، أو بواسطة طريق مثل الطريق الذي حصلتم به الإيمان...

ويجوز أن تكون الباء زائدة في المفعول المطلق، أي فإن آمنوا إيمانا مثل إيمانكم.. فهي للتأكيد.. ويجوز على مذهب الكوفيين في زيادة الأسماء، أن يكون لفظ (مثل) زائدا، أي فإن آمنوا بما آمنت به... "(٣) .

---

(١) د. فضل عباس، لطائف المنان، ص ٢٥٧.

(٢) الهميان (٢٣/١/٩).

(٣) الهميان (٣٥٧/٢).

ونحن وإن كنا نعرف من طريقة الشيخ -رحمه الله- أنه يقدم مذهبه في الإعراب، ثم يذكر مذهب غيره، إلا إن هذا التردد لا داعي له، "والحق ان كلا من الباء و (مثل) جاءت في مكانها فلا يستقيم المعنى بدونهما فالباء هنا للتعدية، ولو جردنا هذه الاية من الباء، فقيل: فإن آمنوا مثل ما آمنتم ، لذهب رونق المعنى، لأن الاصل الايمان موجود عندهم، ولكن المراد هنا أن يؤمنوا بمثل ما آمن به المسلمون، وهذا فيه تهييج لهم من جهة ، ليبحثوا عن الحق وتبكيت من جهة أخرى.(١)

كما أن القول بزيادة مثل غير مستقيم يأباه المعنى، ويرده السياق، أما أولا: فلأن الخطاب مع اليهود -كما نعلم- واليهود يؤمنون بالله لانهم اصحاب دين سماوي، فلا يمكن أن يقال لهم آمنوا بالله، ويكتفي بهذا، لأنهم سيقولون: نحن نؤمن بالله، لذا لا يمكن القول: (فإن آمنوا) أي بالله-.

وأما ثانيا: فلأن الآية التي جاءت قبل هذه الاية (**قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**) أي فإن آمنوا بمثل هذا الإيمان، ليس بالله وحده فقط، وإنما بالله وأنبيائه، وما أوتي هؤلاء الأنبياء هذا ما تعطيه المثلية(٢) .

تناوب حروف الجر

وقف العلماء من مسألة تناوب حروف الجر موقفين ملخصهما - كما في النحو الوافي- ما يلي :

الموقف الأول يقول : انه ليس لحرف الجر إلا معنى واحد أصلي يؤديه على سبيل الحقيقة لا المجاز، فالحرف (في) يؤدي معنى واحدا حقيقيا هو الظرفية، والحرف (على) يؤدي معنى واحدا حقيقيا هو الإستعلاء ... وهكذا، فإن أدى الحرف معنى آخر غير المعنى الواحد الأصلي الخاص به، وجب القول : بأنه يؤدي المعنى الآخر الجديد، اما تأدية (مجازية)...، وإما تأدية (تضمينية) أي بتضمين الفعل أو العامل الذي يتعلق به حرف الجر الأصلي ومجروره، معنى فعل، أو عامل آخر يتعدى بهذا الحرف ثم مثل لذلك...

---

(١) د. فضل عباس، لطائف المنان، ص ١٠١-١٠٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٩.

أما الموقف الآخر فيرى أن قصر حرف الجر على معنى حقيقي واحد، تعسف وتحكم لا مسوغ له، فما الحرف إلا كلمة كسائر الكلمات الإسمية والفعلية، وهذه الكلمات الاسمية تؤدي الواحدة منها عدة معان حقيقية لا مجازية، ولا يتوقف العقل في فهم دلالتها الحقيقية فهما سريعا، فما الداعي لاخراج الحرف من أمر يدخل فيه غيره من الكلمات الأخرى، وإبعاده عما يجري على نظائره من باقي الاقسام... والأول مذهب البصريين والثاني للكوفيين وهو الذي رجحه المؤلف.(١)

ولست بصدد مناقشة هذه القضية، فيمكن للقاريء أن يرجع اليها في مظانها، إلا أني أحب اشير إلى أن مذهب المحققين من أهل العربية أنه لا تناوب بين الحروف، وأن لكل حرف معناه ورسالته التي يؤديها بحيث لا يمكن بأي حال أن يقوم غيره مقامه، أو يؤدي رسالته، يقول العلامة أبو هلال العسكري في كتابه الفروق اللغوية "قال المحققون من اهل العربية: إن حروف الجر لا تتعاقب، حتى قال ابن درستويه في جواز تعاقبها ابطال حقيقة اللغة، وافساد الحكمة منها، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس قال ابو هلال وذلك انها اذا تعاقبت خرجت عن حقائقها ووقع كل واحد منهما بعنق الاخر، فأوجب ذلك أن يكون لفظان مختلفان لهما معنى واحد، فأبى المحققون أن يقولوا بذلك، وقال به من لا يتحقق المعاني"(٢)

وممن ذهب الى هذا الرأي استاذنا الدكتور، فضل عباس إذ يقول : تحت عنوان رسالة الحرف في كتاب الله :

"...إن ما ذهب إليه كثير من العلماء من تناوب الحروف بعضها مكان بعض، قضية غير مسلمة أو مستساغة في كتاب الله تعالى، فكل حرف له مدلوله الخاص به، فإذا قال الله تعالى(**لأصلبنكم في جذوع النخل**)[طه/٧١] فان حرف الجر (في) جيء به قصدا، ولا يسد غيره مسده، وهكذا كل حرف في كتاب الله تعالى، لا ينبغي أن نقول انه جاء عوضا عن غيره"(٣) .

وأود أن أقرر باديء بدء إن الشيخ -رحمه الله- وإن كان يقول بتناوب الحروف، الا إنه غالبا ما يذكر المذهبين، وكأن كليهما لديه صحيح، والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها:

---

(١) عباس حسن، النحو الوافي، الطبعة الخامسة، دار المعارف ، مصر، ٢/٥٥٣٧-٥٤٢ بتصرف.

(٢) العسكري ابو هلال، الفروق اللغوية، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١، ص١٣.

(٣) د. فضل عباس، اعجاز القرآن الكريم، ص١٩٣.

عند تفسير قوله تعالى (**ولأصلبنكم في جذوع النخل**) [طه/٧١] يذكر الشيخ مذهب الكوفيين أن (في) خرجت من الظرفية الى معنى الاستعلاء، والمذهب البصري الذي يرى بقاءها على الظرفية دون يفصل فيها براي فقال :

"قال ابن هشام (في) للاستعلاء بمعنى على انتهى، وإيضاحه أنه شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة بجامع التمكن...

فاستعار لفظ (في) لمعنى على وهو استعلاء جزئي استعارة تبعية تحقيقية هذا مذهب الكوفيين. وقال البصريون: (في) هنا للظرفية، شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال فيه، على طريق الإستعارة بالكناية، أو شبه الجذوع بالظروف بجامع التمكن في كل على طريق الاستعارة بالكناية، و(في) على الوجهين تخييل، ومن أراد تحقيق ذلك فعليه بشرحي على شرح عصام الدين[١] .

وعند تفسير قوله تعالى (**وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم**)[البقرة /١٤]. يقول

إلى بمعنى مع أو عند، ويجوز إبقاء (إلى) على أصلها من الإنتهاء على أن خلا بمعنى مضى، أي مضوا من المؤمنين، أو عن المؤمنين الى شياطينهم، أو بمعنى جاوزوا المؤمنين الى شياطينهم، يقال خلاك ذم، أي جاوزك إلى غيرك، أو ضمن خلا بمعنى رجع أي رجعوا إلى شياطينهم، فإن الخلو من الشيء رجوع الى غيره، أو ضمن معنى الإنهاء والإبلاغ من خلا فلان اذا سخر منه، وعبث به أي اذا بلغوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها..[٢]

وعند تفسير قوله تعالى :(**للذين يؤلون من نسائهم**)[البقرة/٢٢٦] يقول في تفسيرها أي يحلفون عن جماع نسائهم (فمن) بمعنى عن... أو ضمن الإيلاء معنى البعد فعداه بمن كأنه قيل يبعدون من جماع نسائهم بالحلف والا فأصله التعدي بعلى....[٣]

وعند قوله تعالى (**فاعبده واصطبر لعبادته**)[مريم/٦٥] يقول: "وانما عدى الاصطبار باللام لا بعلى لتضمنه معنى الثبات...."[٤].

---

(١) الهميان (٦٨/٢/١٠) ، ومذهب البصريين هو الصحيح.

(٢) المصدر نفسه ٢٧٦/١ .

(٣) المصدر نفسه ٢٢١/٣ .

(٤) المصدر نفسه ٣٠٢/١/١٠ .

المبحث الرابع

الصور البلاغية في تفسير الهميان

تعرض الشيخ في تفسيره لأقسام البلاغة الثلاثة، المعاني، والبيان، والبديع، وكان اكثر تعرضا للبيان فذكر التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية.

كما أشار الى الاستفهام، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، من علم المعاني. كما ذكر بعضا من الصور البديعية، كالمقابلة، والمشاكلة، واللف والنشر، والإستطراد، والاستخدام، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وسأعرض فيما يلي الى أمثلة مما ذكر:

أولا: البيان ومن مفرداته :

التشبيه : وهو إلحاق بأمر بأداة التشبيه لجامع بينهما.

ومما ذكره الشيخ من أنواع التشبيه، تشبيه مفرد بمفرد، وذلك عن قوله تعالى **(قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور)**[الرعد/١٦] يقول الشيخ رحمه الله:

شبه المشرك بالأعمى في كونه لا يهتدي الى مصالحه، ولا يستطيع التحرز عن المهالك، والموحد بالبصير المهتدي لذلك، المتحرز عما يهلكه.. [كما] شبه الشرك بالظلمة في عدم الاهتداء عن الهلاك الى المصالح، والإيمان بالنور في الاهتداء عنه اليها..."(١) .

والمصطلح عليه ان في الآية استعارة لا تشبيه ، إذ أن الاستعارة تشبيه حذف احد طرفيه واذا أجرينا الاستعارة نقول:

شبه المشرك بالأعمى بجامع عدم الاهتداء، وشبه المؤمن بالبصير بجامع الاهتداء ثم حذف المشبه (المستعار له). وكذلك الحال في الظلمات والنور فالأولى استعارة تصريحية تبعية، والثانية تصريحية أصلية ومن أمثلة التشبيه التمثيلي :

عند تفسير قوله تعالى **(إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء...)**[يونس/٢٤]. يقول: ليس المشبه به مجرد الماء، بل هو وما بعده إلى "حصيدا"

---

(١) الهميان (٣٢٨/٢/٨).

أو "بالأمس" فذلك تشبيه تمثيلي ويقال له: مركب... شبه زوال الدنيا بعد اقبالها بزوال خضرة النبات وذهابه، بثماره، بعد سكون النفس إلى إنه قد سلم من الجوائح..."(١)

وعند تفسير قوله تعالى **(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء)**[الكهف/٤٥] يقول الشيخ: الأصل في الكاف، ونحو، ومثل، وشبه، ونحو ذلك من أدوات التشبيه الداخليه على المفرد، أن تدخل على المشبه به لفظا أو تقديرا، نحو "أو كصيب" أي كمثل ذوي صيب، وقد تدخل على غير المشبه به، كهذه الآية، إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد مقدر، بل تشبيه حالها من نضرتها وبهجتها، وما يتعقبها من الهلاك، والفناء، بحال النبات الحاصل من الماء يكون أخضر ناضرا شديد الخضرة، ثم ييبس، فتطيره الريح كأن لم يكن، فذلك تشبيه مركب من هيئات متنزعة(٢) .

وأحيانا يذكر وجه الشبه كما في قوله تعالى **(مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر...)** [آل عمران/١١٧].

يقول شبه ما أنفق هؤلاء بحرث أهلك إهلاكا شديدا، ووجه الشبه عدم الانتفاع، كما لا نفع في ذلك الحرث، لا نفع لهم في انفاقهم... وذلك من التشبيه المركب.(٣)

وعند تفسير قوله تعالى **(ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة.."**[البقرة/٢٦٥].

شبه حال النفقة النامية بسبب انضمام الابتغاء، والتثبت الناشيء من المصدق، والاخلاص إليها بحال جنة نامية، زاكية بسبب الربوة، والوابل، والطل، ووجه الشبه، النمو المترتب على السبب المؤدي اليه، ويجوز أن يكون مفردا بأن شبه تقربهم إلى الله وحسن حالهم عنده بثمرة الجنة، ووجه الشبه، الزيادة..."(٤)

ومن أنواع التشبيه التي ذكرها الشيخ التشبيه البليغ، وذلك عند تفسير قوله تعالى **(انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه)**[آل عمران/١٧٥] يرى الشيخ أن في الآية تشبيه الجماعة بالشيطان... تشبيها بليغا، كزيد أسد، ويجوز أن تكون الإشارة الى قولهم "إن الناس قد.. الخ" فيقدر مضاف، أي: إنما ذلكم القول قول الشيطان، فمن هذه الجهة يكون

---

(١) الهميان (٨/١/٤٥، ٤٨).

(٢) المصدر نفسه (١٠/١/١١٦).

(٣) المصدر نفسه (٤/ ٢٣٣).

(٤) الهميان (٣/ ٤٠٠).

المجاز بالحذف، وبعد ذكر المضاف يحتمل المجاز العقلي بأن سمي قولهم قول الشيطان، واسنده اليه، ويحتمل التشبيه البليغ، أو الاستعارة على الخلاف في زيد أسد..."(١) .

والذي يلحظ هنا أن الشيخ -رحمه الله- يقلب الاية على جميع الاوجه البيانية المحتملة، كما يفعل في الاعراب.

المجـــاز :

المجاز كما اصطلح عليه في علم البيان: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة، مع قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- المجاز العقلي.

٢- المجاز اللغوي وينقسم الى :

أ- استعارة

ب- مجاز مرسل.

أولا: المجاز العقلي (الحكمي)

وهو إسناد الشيء لغير ما هو له لعلاقة مع قرينه تدل على ذلك.

ومثاله في تفسير الشيخ عند قوله تعالى(**فما ربحت تجارتهم**)[البقرة/١٦].

وإسناد الربح إلى التجارة من الإسناد إلى الظرف المجازي، فهو مجاز عقلي، ويسمى تجوزا في الاسناد وتجوزا في الحكم، وحقيقة الكلام عما ربحوا من تجارتهم، بإسناد الربح لأرباب التجارة..."(٢)

وعند تفسير قوله تعالى (**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار**)[البقرة/٢٥] يقول الشيخ :

"واعلم أن البحر، والنهر، والجدول، ونحو ذلك: أسماء للأرض التي فيها ذلك الماء ونحوه، لا للماء نفسه أو نحوه، فإسناد الجري للأنهار مجاز عقلي، من اسناد ما للحال للمحل، فإن الجاري حقيقة هو الماء لا الأرض، ولك أن تقول، المراد بالأنهار الماء ونحوه وتسمية للحال باسم المحل فيكون مجازا لغويا مرسلا..."(٣)

---

(١) المصدر نفسه (٣٦٦/٤)

(٢) الهميان (٢٨٥/١) وفي الآية مجاز عقلي علاقته السببية لأن التجارة هي سبب الربح.

(٣) المصدر نفسه (٣٦٦/١).

وعند تفسير قوله تعالى (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن)[يوسف/٤٨].

يرى الشيخ أن إسناد الأكل اليهن مجاز عقلي، من إسناد ما للمظروف، فإن الآكلين هم الناس الذين فيهن..."[١] .

ثانيا: المجاز المرسل :

وهو مجاز لغوي علاقته غير المشابهة.

فمن المجاز المرسل الذي علاقته السببية قوله تعالى (اولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار)[البقرة/١٧٤].

يذكر الشيخ -رحمه الله- انه شبه ما يأكلونه من المآكل المذكورة والرشاء بالنار، فسماه باسم النار لانه سبب للنار، وملزوم لها... وذلك مجاز مرسل، ثم ذكر القول بجواز حمل الآية على الاستعارة وحملها على الحقيقة أي اذا دخلوا النار أكلوا منها، كما كانوا يأكلون ما لا يحل.[٢]

ومثله عند قوله تعالى (يآ أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة)[المائدة/٦] يذكر أن في الآية مجازا مرسلا لكنه لم يصرح بالمصطلح فيقول: إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، فذكر المسبب وهو القيام إلى الصلاة وأريد السبب ، وهو إرادة القيام إليها، وفائدة ذلك أنه أوجز لفظا، وأدعى للمسارعة الى الخير بحيث انه لا ينفك المراد عن الإرادة، ولا تراخي بينهما.."[٣]

ومثال ما علاقته الكلية قوله تعالى (يجعلون أصابعهم في آذانهم)[البقرة/١٩]. يفسرها الشيخ بقوله : أي أناملهم وهي رؤوس الأصابع، فأطلق اسم الكل على البعض للمبالغة في سد آذانهم حتى لا يسمعوا شيئا من الصوت فهو مجاز مرسل علاقته الكلية، أو البعضية، أو هما، إذا سمي البعض باسم الكل، فالأصابع كلمة مستعملة في غير ما وضعت له، ويجوز أن يقدر مضاف أي أنامل أصابعهم أو رؤوس أصابعهم، فيكون مجاز الحذف، وعليه فالاصابع كلمة مستعملة فيما وضعت له[٤] .

---

(١) الهميان (١٤٤/٢/٨).

(٢) المصدر نفسه (٤٦٩/٢).

(٣) المصدر نفسه (٣٢٩/٥).

(٤) المصدر نفسه (٣٠٨/١).

ومما ورد من المجاز الذي علاقته المجاوره قوله تعالى **(النار ذات الوقود إذ هم عليهم قعود)** [البروج/٥-٦].

ففي التعبير بقوله (إذ هم عليها) مجاز مرسل أي على ما يقرب منها والعلاقة المجاورة، ومثله وبات على النار الندى والمحلق[١] .

٢- **الاستعارة :**

الاستعارة مجاز لغوي علاقته المشابهة، وقد حفل تفسير الشيخ بأنواع الاستعارة، التصريحية الأصلية، والتبعية، والاستعارة المكنية ، التخيلية، والاستعارة التمثيلية وغيرها وإليك بيان ذلك:

فمن **الاستعارة التصريحية الأصلية** ما ورد في قوله تعالى **(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)**[البقرة/١٣٨]. ذكر الشيخ ما قيل في معنى (صبغة الله) من أقوال ثم قال "ولفظ صبغة في تلك الأوجه والأقوال كلها استعارة تصريحية تحقيقية أصلية، ووجه الشبه الشهور، أو الدخول، أو كلاهما، والقرينة الاضافة الى الله، وفيه المشاكلة البديعية.."[٢] .

ومنه قوله تعالى **(ينزل الملائكة بالروح من أمره)** [النمل/٢].

يذكر أن المقصود بالروح الوحي أو القرآن.. يقول : على أن لفظ الروح ليس على حقيقته وهو روح الجسد، فإنه مستعار للوحي، وما ذكر استعارة أصلية تحقيقية تصريحية[٣] .

وقد يجري الاستعارة كما فعل عند تفسير قوله تعالى **(فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)**[النحل/١١٢].

يذكر الشيخ أنه روى عن شيخه إبراهيم بن يوسف* ... أنه شبه النحافة واصفرار اللون من جوع وخوف باللباس بجامع الاشتمال، فإن النحافة، والاصفرار، يشتملان على الجسد كاشتمال اللباس عليه فاستعير لهما لفظ اللباس، استعارة اصلية تحقيقية تصريحية[٤]

---

(١) المصدر نفسه (١٥/٢٣٤).

(٢) الهميان (٢/٣٦٠).

(٣) المصدر نفسه (٩/١/٢٠٧).

* هو أخو الشيخ الأكبر واستاذه إبراهيم بن يوسف اطفيش.

(٤) المصدر نفسه (٩/١/٣٨٩).

أما **الاستعارة التصريحية التبعية**، فلا تكون إلا في المشتق ولا تكون في الجامد، ومنها ما جاء عند تفسير قوله تعالى **(ولما سكت عن موسى الغضب)**[الاعراف/١٥٤].

ولنستمع الى الشيخ يجري هذه الاستعارة، يقول:

"شبه سكون الغضب بعد هيجانه بالسكون بعد التكلم، بجامع أنه إمساك بعد شروع، فسمى السكون باسم السكوت، واشتق سكت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التبعية التصريحية.

ويمكن إجراء الاستعارة على وجه آخر، لم يغفله الشيخ، إذ أن عادته أن يقلب الآية على أوجه مختلفة، ما دامت تحتمل تلك الأوجه يقول "أو شبه الغضب بإنسان متكلم... وذلك تشبيه مضمر على طريق الاستعارة المكنية، والسكوت رمزا فالاستعارة تخيلية..."(١) .

أما الاستعارة التبعية في الحرف فمثل قوله تعالى **(فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا)**[القصص/٨].

يقول الشيخ في تفسيرها :

هذه اللام لام العاقبة لانه ليس غرضهم من التقاطه أن يكون عدوا وحزنا لهم، بل غرضهم، أن يكون لهم ابنا، ولكن مرجعه الى العداوة والحزن، واللام موضوعه للدلالة على أن المرجع إلى العداوة والحزن، استعارة تبعية، ثم يجري الشيخ الاستعارة فيقول :

وإيضاحها أنه شبه ترتب العداوة، والحزن على الالتقاط بترتب نحو المحبة، والتبني عليه، ثم استعملت اللام الموضوعة للدلالة على المشبه به الذي هو ترتب المحبة والتبني، ونحوها في المشبه الذي هو ترتب العداوة والحزن، والجامع داخل في مفهوم الطرفين وهو الترتب الأعم، فلما كان الترتب الأول من جنس الترتب الثاني الذي هو المشبه به، استعيرت اللام في هذا الثاني(٢) .

ويجري الاستعارة التبعية في قوله تعالى **(إنا لما طغى الماء)** دون ان يشير اليها يقول :

---

(١) الهميان (١٠/١/٧).

(٢) الهميان (٢٢٧/١/١٢) واجراء الاستعارة بصورة أوضح، أنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا، وإنما علة التقاطه ان يكون لهم قرة عين، ولكن لأن كلا من هذين الأمرين اعنى كونه عدوا وحزنا، وكونه قرة عين مترتب على الالتقاط، شبهت العلة بالعاقبة، واستعير معنى اللام الدالة على التعليل للدلالة على العاقبة على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية" انظر د/ فضل عباس، البلاغة فنونها وافنانها، البيان، ص ١٩٣.

شبه كثرة الماء بالتكبر، ووجه الشبه الاستعلاء المفرط، فاستعار للكثرة الطغيان واشتق منه طغى.(١)

اما **الاستعارة المكنية** وهي التي يحذف منها المشبه به فمن الأمثلة التي أوردها الشيخ رحمه الله قوله تعالى (**والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**)[البقرة/٢٧] يقول في معرض تفسيرها:

"شبه العهد بالحبل بجامع التوصل بكل إلى المقصود، وبجامع الارتباط ولم يذكر المشبه به، بل ذكر المشبه فهو استعارة مكنية (وينقض) رمز وقرينة، لأنه من لوازم الحبل باق على حقيقته تابع للاستعارة.

او استعارة تصريحية... لاستعارة النقض للترك، والعهد قرينة(٢) .

والنوع الأخير من أنواع الاستعارة الذي ذكره الشيخ **الاستعارة التمثيلية** وهي تشبيه صورة بصورة لما بينهما من صله من حيث المعنى، ثم تحذف الصورة الأولى – المشبه– ويبقى المشبه به(٣) .

ففي قوله تعالى (**فدلاهما بغرور**)[الاعراف/٢٢] استعارة تمثيلية كما يرى الشيخ يقول: "شبه حالهم بحال من أنزل أحدا من مكان مرتفع جدا بحبل ضعيف، فإذا تدلى واستقبل بذلك الحبل انقطع وهلك وذلك أنه غرهما بكلامه وقسمه، فأنزلهما من رتبتهما الشريفة الى هذه الدنيا المتعبة الموقعة في المهالك، والى المعصية، فذلك استعارة تمثيلية، ولا يكاد البلغاء يحملون الكلام على غيرها ما وجدوها، هذا ما ظهر لي، وهو أولى من أن تجعل (دلى) استعارة تبعية، وبغرور ترشيحا أي بحبل غرور..(٤)

هذا ولنا وقفة عند تفسير قوله تعالى (**صم بكم عمي فهم لا يرجعون**)[البقرة/١٨] فالشيخ –رحمه الله– يرى أن هذه الألفاظ الثلاث (صم بكم عمى) من باب الاستعارة، بينما يذهب الزمخشري والقاضي انها تشبيه بليغ والشيخ –رحمه الله– ، وإن كان ذواقة للعربية، إلا أن قواعد البيان تؤيد ما ذهب اليه الزمخشري والقاضي، لأن المشبه مذكور أو مقدر الذكر، ويشترط في الاستعارة التصريحية ان يكون محذوفا. ومثل ذلك عند

---

(١) الهميان (٣٦٧/١٤).

(٢) الهميان (٣٤٦/٢/٨) وانظر ١٤٦/٢/٩ كل استعارة مكنية لا بد أن تشتمل على استعارة تخييلية، فهي مكنية اذا حذف المشبه به، وتخييليه، اذا ابقينا شيئا من لوازمه، وهو هنا "النقض" اما كونها استعارة تصريحية ففيه بعد.

(٣) د. فضل عباس، البلاغة، فنونها وأفنانها ص ١٩٤.

(٤) الهميان (٣٦/٢/٦) وانظر للمزيد ٢٤١/١/١٠، ٣٤٠/١، ٦٥/١/٦

تفسير قوله تعالى (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر)[البقرة/١٨٧].

يرى أن الآية من باب الاستعارة، ولو اجتمع فيها المشبه والمشبه به، وجاء بعد تمامها قوله (من الفجر) قرينة وبيانا للخيط الابيض ويرى الزمخشري غير ذلك.(١)

فيقول : [فإن قلت] أهذا من باب الاستعارة، أم من باب التشبيه [قلت] قوله (من الفجر) أخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت أسدا مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيها،..(٢)

٣- الكناية :

والكناية في الاصطلاح "أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه، مع قرينة، لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقي"(٣) .

والشيخ -رحمه الله- يذكر الكناية دون أن يتوقف عندها، كما يفعل في التشبيه والاستعارة، فعند قوله تعالى (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ)[آل عمران/١١٩] يقول :

وعض الأنامل، كناية عن شدة إظهار الشر عليكم، لأجل شدة غيظهم، فشدة غيظهم هي شدة سخطهم، وعدم رضاهم بصلاح ذات البين للمؤمنين، فبحصول هذه الشدة، أحبوا، وأظهروا فيما بينهم أن لو أصابوا المؤمنين لقتلوهم بمرة، فهذا الشر المكنى عنه بعض الأنامل، ولو جعلنا عض الأنامل، كناية عن شدة الغيظ هنا لكان المعنى اشتد غيظهم لأجل الغيظ، وهو معنى لا يصح إلا بتكلف وانما تحصلوا على الغيظ وإضمار السوء، اذ لم يستطيعوا التشفي"(٤) .

ومن الكناية قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق)[القلم/٤٢].

يقول الشيخ - إن الكشف عن الساق كناية عن شدة الأمر للجزاء والحساب، ولا ساق ثم، ولا كشفا عنه..(٥)

---

(١) الهميان (٢٩٨/١).

(٢) الهميان (٥٠/٣)، الزمخشري، الكشاف (١١٣/١).

(٣) د. فضل عباس، البلاغة، فنونها وأفنانها، ص ٢٤٣.

(٤) الهميان (٢٣٨/٤).

(٥) المصدر نفسه (٣٥٧/١٤).

والمثالان السابقان يعبر عنهما بكناية الصفة، أما كناية النسبة فكما في قوله تعالى **(وثيابك فطهر)** [المدثر/٤]. فيذكر الشيخ الأقول في تفسيرها ومنها :

انه أمر (عليه السلام) باستكمال القوة العملية، بعد أمره باستكمال القوة النظرية [يقال] زيد طاهر الثياب، وطاهر الجيب والذيل، والأردان إذا وصف بالنقاء..، وعمرو دنس الثياب اذا كان غادرا، وذلك لأن الثوب يلابس الإنسان ويشتمل به فكنى به عنه، يقال أعجبني زيد ثوبه، كما يقال أعجبني زيد عقله، ومن كلامهم المجد في ثوبه، والكرم تحت حلته[١] .

ثانيا : المعانـــي

ينبني علم المعاني على نظرية النظم التي قال بها الإمام عبد القاهر الجرجاني ومؤداها أن ترتب المعاني في النفس أولا، ثم ترتب الألفاظ المراد التعبير بها عن تلك المعاني.

وتدخل في هذا العلم مفردات كثيرة أشار الشيخ إلى بعضها، ولم يقف عندها بالتفصيل، كما فعل في علم البيان، ومن هذه المفردات الاستفهام، التقديم والتأخير، الحذف والذكر التعريف والتنكير، الفصل والوصل، ثم القصر، وسيكون تناولنا لهذه المفردات بقدر ما وردت في تفسير الشيخ.

١- الاستفهام التقريري والانكاري:

ومثاله ما جاء في قوله تعالى **(وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم)** [آل عمران/٢٠]. يذهب الشيخ ان الاستفهام للتقرير، أو التوبيخ على بقائهم في الكفر[٢] .

ومثله في قوله تعالى في سورة الدهر **(هل أتى على الانسان حين من الدهر)**[الانسان/١] ينقل الشيخ عن الزمخشري وغيره أن هل بمعنى قد، وهمزة الاستفهام مقدرة قبلها، على التقريب والتقرير، أي أتى على الإنسان زمان قريب لم يكن فيه شيئا مذكورا، والأصل أهل بدليل قوله:

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم

والظاهر إنها للاستفهام التقريري[٣] ...

---

(١) المصدر نفسه (١٥/٥٣).

(٢) الهميان (٤/٤٥).

(٣) المصدر نفسه (١٥/٩٨) وانظر الزمخشري ، الكشاف (٦/١٨٩).

أما قوله تعالى (**قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**)[البقرة/١٣] يقول الاستفهام إنكاري، أنكروا أن يكون صوابا أن يؤمنوا كالسفهاء، أو توبيخ، أو تعجبي[١] .

وعند قوله تعالى (**ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا**)[ابراهيم/١٢] يقول الاستفهام للانكار، أي لا عذر لنا في ألا نتوكل[٢] .

وما دمنا بصدد الحديث عن الإستفهام يجدر بنا أن ننبه أن الشيخ -رحمه الله- يذهب مذهب الزمخشري، أن همزة الإستفهام باقية على أصلها إذا جاءت قبل حرف عطف كما في قوله تعالى : (**أفغير دين الله يبغون**)[آل عمران/٨٣] يقول الشيخ : استفهام توبيخي انكاري، والفاء عاطفة على محذوف... أي أتتولون فتبغون غير دين الله[٣] .

التقديم والتأخير:

والأمثلة عليه كثيرة أذكر منها تقديم المسند اليه :

في قوله تعالى (**ذلك الكتاب لا ريب فيه**)[البقرة/٢].

تحدث الشيخ طويلا في تفسير الآية وإعرابها وفي معرض حديثه عن النظم قال: "وإنما لم يقدم لفظ فيه على ريب كما قدم (فيها) على غول، لأنه لم يقصد نفي الريب عن القرآن خاصة، واثباته لسائر الكتب المنزلة، كما قصد اثبات الغول لسائر الخمور، ونفيه عن خمر الجنة فقط، فلو قيل لا فيه ريب لأوهم الكلام ان في سائر الكتب ريبا[٤] .

وعند تفسير قوله تعالى (**لا فيها غول**)[الصافات/٤٧].

ينقل عن القزويني قوله: "واما تقديم المسند فلتخصيصه بالمسند اليه "لا فيها غول" أي بخلاف خمور الدنيا، قال السعد: فان قلت المسند هو الظرف أعني (فيها)، والمسند اليه ليس مقصورا عليه، بل على جزء منه، أعني الضمير المجرور الراجع إلى خمور الدنيا قلت : المقصود أن عدم الغول مقصور على الاتصاف بنفي خمور الجنة، لا يتجاوزه إلى الاتصاف بنفي خمور الدنيا، وإن اعتبرت النفي في جانب المسند، فالمعنى

---

(١) الهميان (٢٧٢/١).

(٢) المصدر نفسه (٢٣/١/٩).

(٣) المصدر نفسه (١٥٣/٤).

(٤) الهميان (١٩١/١)، وانظر الزمخشري، الكشاف ٢٢/١.

أن الغول مقصور على عدم الحصول في خمور الجنة، لا يتجاوزه الى عدم الحصول في خمر الدنيا فالمسند اليه مقصور على المسند قصرا غير حقيقي(١) .

- **الحذف والذكر :**

فمثال الحذف قوله تعالى **(كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ)**[الاحقاف/٣٥] يقول يجوز أن يكون المحذوف في الآية الخبر ويقدره الشيخ "في ذلك الاخبار بلاغ... ويجوز أن يكون المحذوف هو المبتدا ويقدره "والقرآن بلاغ"(٢).

ومثال الذكر :

قوله تعالى **(قال هي عصاي)**[طه/١٨] يقول الشيخ وانما ذكر المسند اليه وهو قوله: (هي) مع أنه معلوم؛ لأنه في مقام يكون سماع السامع مطلوبا للمتكلم لعظمة السامع وهو هنا الله، فبسط الكلام بذلك بذكر المسند إليه(٣) .

- **التعريف والتنكير :**

من التعريف بالموصول قوله تعالى **(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه)**[يوسف/٢٣]. يذكر الشيخ أن الغرض من التعريف باسم الموصول (التي) "ليقرر بصلته الغرض المسوق له الكلام، وهو نزاهة يوسف، فإنه إذا كان في بيتها وتمكن منها ولم يفعل، كان غاية في النزاهة، ولو قال وراودته أمرأة العزيز... لم يفد ذلك إلا بخارج..(٤)

ومن التنكير قوله تعالى **(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة)**[البقرة/٩٦]. نكر حياة للتعظيم وللدلالة على النوع، والنوع فرد الجنس، وإن شئت فقل للدلالة على فرد من أفراد الحياة، والمراد حياة متطاولة فالتنكير أبلغ من قراءة أبي (أحرص الناس على الحياة) بالتعريف(٥) .

- **الفصل والوصل :**

ومن الأمثلة عليه : قوله تعالى **(اولئك على هدى من ربهم، واولئك هم المفلحون)**[البقرة/٥] يقول: وقرنت الجملة الثانية بالواو العاطفة لمغايرة الافلاح للهدى،

---

(١) المصدر نفسه (٣٧٧/٢/١٢).
(٢) المصدر نفسه (٤١٩/١٣).
(٣) الهميان (٢٣/٢/١٠).
(٤) الهميان (٧٦/٢/٨).
(٥) المصدر نفسه (١٨٥/٢).

فإن الافلاح: الفوز بالمطلوب من رضى الله جل وعلا ونعيم الجنة، والنجاة من النار، وهو في الآخرة، ومقصود على حده، والهدى الدلالة والتوفيق، وهما في الدنيا مقصودان على حده، بخلاف قوله تعالى :

(أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون)[الأعراف/١٧٩] فإن وصفهم بكونهم كالأنعام، ووصفهم بالغفلة واحد في الحقيقة، إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة في الغفلة، وكونهم كالانعام وغفلتهم كلاهما في الدنيا، فذلك الاتحاد في المعنى والزمان لم يكن بالعطف للاقتضائه التغاير(١) .

وعند قوله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات، مؤمنات، قانتات، تائبات، عابدات، سائحات، ثيبات وأبكارا)[التحريم/٥].

- القصـــــر :

يقول الشيخ : أنه لم يأت بالعطف [في الصفات الأولى] لاجتماعهن في الواحدة منهن، وعطف في قوله (ثيبات وأبكارا) لانه لا تكون الواحدة ثيبا وبكرا(٢) .

عرف علماء البلاغة القصر بأنه "تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص". وينقسم من حيث طرفاه إلى قسمين : قصر موصوف على صفة، وقصر صفه على موصوف. اما من حيث الواقع فينقسم الى حقيقي، وإضافي.

ولنضرب لك أمثلة من واقع تفسير الشيخ -رحمه الله-:

- فعند تفسير قوله تعالى (تلك عقبى الذين اتقوا، وعقبى الكافرين النار)[الرعد/٣٥].

يقول الشيخ : "وتعريف الطرفين في الجملتين مفيد للقصر، قصر موصوف على صفة في الأولى، وقصر صفة على موصوف في الثانية، كانه قيل: تكون الجنة عاقبة للمتقين لا غير وأما الكافرين فلا عقبى لهم الا النار، كقولك: السين واللحم غداك، وجزاء زيد الضرب والسجن(٣) .

---

(١) الهميان (٢٨٨/١).

(٢) المصدر نفسه (٢١٣/١٤).

(٣) الهميان (٣٦٥/٢/٨).

ومن قصر الموصوف على الصفة -كما يذكر الشيخ- قوله تعالى **(لقالوا إنما سكرت أبصارنا)** [الحجر/٥] يقول "والقصر في الآية قصر موصوف على صفه أي: ما أبصارنا إلا مسكره(١) .

ومن القصر الإضافي قوله تعالى **(إنما حرم عليكم الميتة والدم)**[البقرة/١٧٣].

يقول الشيخ : والحصر اضافي منظور فيه إلى الحيوان، فلا يشكل أنه قد حرم غير ذلك.

ثم يوجه الآية على معان عدة فيقول :

ثم ان كان الخطاب للمؤمنين الذين حرموا بعض اللذائذ مع الميتة، وما بعدها، فالقصر افرادي. وان كان للكفار الذين حرموا السائبة ونحوها .. فقصر قلب وإن كان لمن رأى تحريم المؤمنين، وتحريم الكافرين، فتردد هل حرم جميع ما حرم المؤمنون أو بعضه، أو ما حرم الكافرون، فقصر تعيين(٢) .

ايجاز الحذف :

ومنه حذف جواب لو في قوله تعالى **(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى)**[الرعد/٣١].

فجواب لو محذوف هنا لتذهب النفس في تقديره أي مذهب ويقدره الشيخ -رحمه الله- "لكان ذلك هو هذا القرآن، الذي يتلوه عليكم محمد، لأنه الغاية في الاعجاز، والتذكير والانذار، وفائدة الحذف هنا -كما يذكر الشيخ- هي تعظيم شأن القرآن(٣) .

- إيجاز القصر :

كما في قوله تعالى **(ولكم في القصاص حياة)**[البقرة/١٧٩].

يقول الشيخ بعد تفسير الآية :

"... وهي في غاية البلاغة والفصاحة والوجازة، وايجازها ايجاز قصر، وهو الذي يحصل بلا واسطة حذف، فإنه ولو كان فيها حذف الاستقرار المتعلق به لكم، لكن الإيجاز ليس متحصلا به، وايضا قد وجب حذفه وسد لكم مسده، وأفاد مفاده، وبيان ايجازه أن لفظه قليل ومعناه كثير، كما مر أن المعنى أنه اذا علم أنه إن قتل أحدا قتل به،

---

(١) المصدر نفسه (١٣٣/١/٩).

(٢) الهميان (٤٥٧/٢) وانظر للمزيد ٢٦٩/١، ٣٢٨/١/٦

(٣) الهميان ٣٥٥/٢/٨ .

ارتدع وسلم الناس من قتل بعضهم بعضا، ومن قتل جماعة بواحد، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل، ولو قال كما تقول العرب "القتل أنفى للقتل" لم يفد ما أفاده قوله (في القصاص حياة) فانه لا نظير لقوله تعالى (لكم) في قولهم القتل أنفى للقتل..."(١)

ثم يستمر الشيخ في المقارنة بين الآية والمثل العربي ما يزيد على صفحة ونصف الصفحة أكتفى بالاحالة عليه.

التذييل والاعتراض

ويعرف الشيخ التذييل بقوله : "والتذييل تعقيب الجملة، بجملة تشتمل على معنى الجملة الأولى، لتوكيد المنطوق به، جار مجرى المثل في يقصد بالجملة الثانية فيه حكم كلي منفصل عما قبله، جار مجرى المثل في الاستقلال بنفسه وكثرة الاستعمال.

ثم يمثل له بقوله تعالى **(وهل نجازي إلا الكفور)** [سبأ/١٧] وبقوله **(إن الباطل كان زهوقا)**[الاسراء/٨١] إذا قلنا إن المعنى هل يعاقب الا الكفور؟ أو غيرجار مجراه نحو : (وهل يجازى إلا الكفور)؟ اذا قلنا إن المعنى، هل يجازى ذلك الجزاء المذكور ليتصل بما قبله، أو لتوكيد المفهوم كقوله:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب *.

فإن قوله أي الرجال المهذب تأكيدا لما يفهم مما قبله من أنه لا كامل في الرجال، ثم يعرف الاعتراض بقوله "والاعتراض أن يؤتى في اثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر، لا محل لها من الإعراب لنكته، سوى دفع الإيهام، كالتنزيه في قوله تعالى **(ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)**[النحل/٥٧].

والدعاء في قوله :

إن الثمانين وبلغتُها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان*

والتشبيه في قوله

واعلم فعلم المرء ينفعه أنْ سوف يأتي كل ما قدرا*

---

(١) المصدر نفسه ٢/٤٩٢ – ٤٩٤

* البيت للنابغه الذبياني.

* البيت للبيد بن ربيعة العامري.

* انشده الفارسي و لم ينسبه لقائل معين، انظر ابن عقيل ١/٣٥٤ .

ومن الاعتراض بأكثر قوله تعالى (فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المطهرين، نساؤكم حرث لكم) فان غرض الإتيان من حيث أمر الله هو طلب النسل، وقوله (نساؤكم حرث لكم) بيان لهذا الغرض...(١)

ثالثا : البديع

ومن الصور البديعية التي وردت في تفسير الشيخ الطباق، المقابلة، المشاكله، اللف والنشر، تأكيد المدح بما يشبه الذم.

- **فالطباق** ويمثله قوله تعالى (محمد رسول الله والذي معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)[الفتح/٢٩].

يقول بعد تفسيرها :

وفي الآية ما يلحق بالطباق البديعي، وهو الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق كالسببيه، فالمعنيان الشدة والرحمة، والرحمة متعلقة باللين المقابل للشدة، فإن اللين سبب للرحمه، وملزوم لها، والرحمة مسببة ولازمة(٢) .

- **والمقابلة**: في قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)[الليل/٥-١٠].

يقول: في الآيتين طباق يسمى المقابلة، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم بما يقابل ذلك على الترتيب ، قابل أعطى ببخل، واتقى باستغنى، وصدق بكذب، واليسرى بالعسرى، ولما جعل التيسير مشتركا بين الاربعة الأولى في الآية، جعل ضده مشتركا بين الأربعة الأخيرة فيها وهو التيسير بقيد كونه للعسرى، فإن تيسير بالعسرى تعسر، فان قلت: أين التقابل بين اتقى واستغنى، قلت: موجود لكن بين اتقى ومسبب استغنى ولازمه، وهو عدم الاتقاء فإن عدمه مسبب عن الاستغناء، ولازم له، والاستغناء سبب وملزوم له(٣) .

- **المشاكله**: ومثاله قوله تعالى: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)[الاعراف/١٢٦].

---

(١) الهميان (١/٣٧٣-٣٧٤).

(٢) الهميان (١٣/٥٠١).

(٣) الهميان (١٥/٣١٩).

يقول الشيخ: وان قلت الفعل الأول ليس عقابا وهو فعل المشركين فلم قيل (بمثل ما عوقبتم به)؟

قلت : قيل ذلك ليشاكل قوله (عاقبتم) ويسمى ذلك مشاكلة، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير وقوعا محققا كما في الآية، أو مقدرا كما مر في قوله (صبغة الله)(١) .

- **واللف والنشر** : عند تفسير قوله تعالى **(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله)**[القصص/٧٣]. يقول بعد تفسيرها:

"وفي الآية لف ونشر مرتب، فإن السكون راجع لليل، والابتغاء راجع للنهار"(٢) .

- **أما تأكيد المدح بما يشبه الذم** : كما في قوله تعالى : **(قل يآ أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل)**[المائدة/٥٩]. ومعنى الآية كما يذكره الشيخ: اي إن رمتم أن تتخذوا في ديننا خللا لم تجدوا فيه غير الايمان بذلك، وليس هذا خللا بل كمال، فالآية من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب* (٣) .

---

(١) المصدر نفسه (٤١٤/١/٩) وانظر ٢٧٩/١، ١١٣/٤

(٢) الحيان (٢٨٧/١/١٢)، وانظر ٣٨٢/١/١٢

* البيت لشاعة التيهاني .

(٣) المصدر نفسه (٥٠٧/٥) وانظر ٤٢٠٦/٢/٦ ، ٢٩٩/١/١٠

المبحث الخامس

الشواهد في تفسيره

ويأتي القرآن الكريم على رأس هذه الشواهد، فهو كتاب الله الخالد المعجز الذي **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** [فصلت / ٤٢].

وقد استشهد الشيخ بآيات القرآن في مسائل نحوية، وبلاغية وقضايا لغوية أخرى.

فمن استشهاده بالقرآن في النحو :

عند تفسير قوله تعالى **(فضل الله المجاهدين بأموالهم، وأنفسهم على القاعدين درجة)**[النساء/٩٥]. يعرب الشيخ (درجة) أنها مفعول مطلق، من نيابة اسم العين عن المصدر، ويستشهد لذلك بقوله تعالى **(والله أنبتكم من الأرض نباتا)**[نوح/١٧] وضربته سوط[١] .

ومن استشهاده على البلاغه :

عند تفسير قوله تعالى **(ليس كمثله شيء..)**[الشورى/١١].

يفسرها الشيخ بقوله : المراد بالمثل الذات؛ أي ليس كذاته شيء، أو الصفة كقوله **(له المثل الأعلى)** أي الصفة. وتطبيق ذلك على الكناية أبلغ... ثم يذكر مثالا آخر على الكناية فيقول "ومن الكناية (بل يداه مبستوطتان) كناية عن الجود[٢] .

ويستشهد بالقرآن على قضايا لغوية أخرى كما جاء ذلك عند تفسير لفظ (دون) واستعمالها في قوله تعالى **(وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين)**[البقرة/٢٣].

يقول في معناها (دون) أدنى مكان من الشيء،... ثم استعير للرتب، فقيل عمرو دون زيد أي في الشرف... ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد، أو تخطى أمر إلى آخر، ويذكر شاهدا لذلك قوله تعالى **(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)**[آل عمران:٢٨] أي لا يتجاوز ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين[٣] .

---

(١) الهميان (١١٦/٥).

(٢) المصدر نفسه (٢٤٢/١٣).

(٣) الهميان (٧١/٥).

ومن ذلك أيضا استعمال لفظ (كفل) في قوله تعالى (**ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها**) [النساء/٨٥] يقول ويستعمل الكفل في الشر والخير، كما استعمل في الشر وفي الخير في قوله تعالى (**يؤتكم كفلين من رحمته**)[الحديد/٢٨].(١)

ويستشهد على المعنى اللغوي للفظ (صام) في قوله تعالى (**كتب عليكم الصيام**)[البقرة/١٨٣] فيقول أن الصيام في اللغة الامساك عن الشيء... صام زيد أمسك عن الكلام، قال الله جل حكاية (**إني نذرت للرحمن صوما**)[مريم/٢٦]. أي صمتا.(٢)

وهو يستشهد بالحديث أيضا في النحو واللغة فمن شواهده النحوية بالحديث عند تفسير قوله تعالى (**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر**)[المائدة/٩١]. يقول الشيخ رحمه الله أن (من) هنا للتعليل ويستشهد على هذا المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم (دخلت امرأة النار في هرة)(٣) .

ومن الشواهد اللغوية، عند تفسير قوله تعالى (**واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**)[الاعراف/٢٠٠].

يروى عن الزجاج ان النزغ ادنى حركة تكون، ومن الشيطان أدنى وسوسة، وقيل النزغ حركة فيها فساد، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح، لا ينزغ الشيطان في يده)(٤) .

ومنها أيضا تفسير لفظ (النتق) في قوله تعالى (**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظله**)[الاعراف/١٧١]. يقول : أصل النتق الجذب واقتلاع الشيء، وأناتق الرحم التي تجلب الولد من الرجل، ثم يستشهد بحديث "عليكم بتزوج الابكار فانهن أنتق أرحاما، وأطيب أفواها"(٥) .

والجدير بالذكر أن استشهاده بالحديث الشريف جاء بقدر، وفي مسائل محدودة، أما الشواهد الشعرية فهي كثيرة جدا في تفسيره ذلك لأن الشعر ديوان العرب فقد أخرج أبو بكر الانباري من طريق عكرمه عن ابن عباس قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب".

وقد حفل تفسير الشيخ باسماء كثير من الشعراء :

---

(١) المصدر نفسه (٣٤٧/١)

(٢) المصدر نفسه (٧/٣).

(٣) اخرجه البخاري (٥٩) كتاب بدء الخلق (١٦) باب اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، رقم ٣٣١٨ عن ابن عمر "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها و لم تدعها تأكل من خشاش الأرض"، وعن ابي هريرة مثله وأخرجه مسلم (٤٩) كتاب التوبة(٣) باب فضل دوام الذكر والفكر في امور الآخرين. رقم ٢٦١٩ عن ابي هريرة.

(٤) لم أجده.

(٥) اخرجه ابن ماجد كتاب النكاح، رقم١٨٦١ والطبراني في الكبير، ١٤١/١٧، وفيه محمد بن طلحة التيمي لا يحتج به.

فمن شعراء الجاهلية الذين ورد ذكرهم في تفسيره أمرئ القيس[١] ، عمرو بن كلثوم[٢] ، النابغة الذبياني[٣] ، غدي زيد العبادي[٤] ، طرفه بن العبد[٥] ، حاتم الطائي[٦].

ومن شعراء العصر الاسلامي الأول أمية بن ابي الصلت[٧] ، لبيد[٢] الأعشى[٨] ، حسان بن ثابت[٩] ، عبدالله بن رواحه[١٠] ، كعب بن زهير[١١] ، عمرو بن معدي كرب[١٢]، زيد الخير[١٣].

أما شعراء الجيل الثاني من العصر الاسلامي فمنهم جرير[١٤] ، الفرزدق[١٥] ، الأخطل[١٦]، الطرماح[١٧] ، الحطيئة[١٨] ، ذو الرمه[١٩] ، كثير عزة[٢٠] ، رؤبة بن العجاج[٢١] ، عمران بن حطان[٢٢] ، كما ذكر الشيخ من شعراء العصر العباسي أبو تمام[٢٣] ، أبو نواس[٢٤] ، ثم المتنبي[٢٥] .

---

(١) ١/٣٢٠، ٢/٩٣، ٣/٧، ٦/١/٢١٨، ٨/١/٢٤٦، ١٠/١/٣١١، ١٢/٢/٣٨٤

(٢) ٢/٢٦

(٣) ١/٣٤٣، ٣/٧، ٩/١/٢٦٨

(٤) ٦/١/٢١٨

(٥) ٢/١٤٦

(٦) ١/٣١٠

(٧) ٧/١/٦٥

(٨) ٥/٤٧٧، ٩/٢/١٤٧

(٩) ١/٣٤٨، ٤٤٢، ٤٥٣، ٢/١٥٥، ٩/٢/٦

(١٠) ٢/٢٦٢، ٧/١/٤٩، ٢٤٧، ١٠/٢/١٧٩، ١٤/٣٨٢

(١١) ١٢/١/٤٧٠، ١٢/٢/٢٦

(١٢) ١٠/٢/١٧٧

(١٣) ١/٢٦٢، ٢/٢٨٥

(١٤) ١/٤٥٠

(١٥) ١/١٤٦، ٣٣٢، ٣٣٩، ٢/٣٣٩، ٤/٢٩٨

(١٦) ١/٣٧٦، ٣/١٠٢، ٤/١٣٣، ١٠/١/٣٠٣

(١٧) ٢/٤٥٤

(١٨) ٢/٩٣

(١٩) ١/٣٦٢

(٢٠) ٩/٢/٢٥١

(٢١) ٩/١/٣٩٠

(٢٢) ١/٣٩٣، ٢٨٣، ٢/٧١، ١٦٠

(٢٣) ١/٢٩٩

(٢٤) ١/٣٠٠، ٣١٧

(٢٥) ٩/١/٣١٧

(٢٦) ١/٣٨١، ٣٩٢، ٢/٢٩، ٤/٢٣٣، ٧/١/١٨٧

هذا، وقد استشهد الشيخ بالشعر في مجالات عده، وغراض متنوعة كاللغة، والنحو، والبلاغة، والحكمة، والنصيحة، والتفاؤل، والموعظة والمدح، والفخر، والحماسة، والغزل والتشبيب، والهجاء، وفي الرثاء، وغيرها.

فمن استشهاده على اللغات عند تفسير قوله تعالى (**فصرهن اليك**)[البقرة/٢٦٠] يقول بضم الصاد وكسرها لغتان صاره يصوره وصاره يصيره بمعنى أحاله أو قطعه، ومن الضم قوله : وما صيد الاعناق فيهم جبلة ولكن أطراف الرماح تصورها

ومن الفتح قوله: وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليث قنوان الكروم الدوالح[١]

ويستشهد الشيخ على المعنى اللغوي للفسق في قوله تعالى (**وما يضل به إلا الفاسقين**)[البقرة/٢٦]. بقول رؤبة وهو يصف نوقا يمشين في المفازة على غير طريق:

يذهبن في نجد وغور غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا[٢] .

وعلى المعنى اللغوي للصيام في قوله تعالى (**يآ أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم**)[البقرة/١٨٣].

يقول والصوم والصيام في اللغة: الامساك عن الشيء؛ صام النهار أي اعتدل وأمسك عن الميل، وقام قائم الظهيرة، وصامت الريح امسكت عن الهبوب.. ثم يستشهد بقول النابغة :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

وبقول امرئ القيس :

فدعها وسل الهم عنك بجسرة ذمولٍ إذا صام النهار وهَجّرا

ويقول آخر :

حتى إذا صام النهار واعتدل وصار للشمس لعاب فنزل[٣]

ويستشهد على معنى مقيت في قوله تعالى (**وكان الله على كل شيء مقيتا**)[النساء/٨٥].

يقول في معناها قادرا، يقال: أقات على الشيء : قدر عليه.

---

(١) الحيوان (٣٨٤/٣)

(٢) المصدر نفسه (٣٩٣/١)

(٣) المصدر نفسه (٧/٣)

قال الزبير بن عبدالمطلب :

وذي ضغـن كففت السوء عنه وكنـت علـى اسـاءته مقيـتا

وقال السموأل :

إلـى الفضـل أم علـى إذا حو سبـت أنـي علـى الحساب مقيت[١]

النحو :

ومن الأمثلة على الشواهد الشعرية في مسائل النحو قولـه تعالى (**واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه**)[الانفال/٤١]. يذكر قولين في إعراب (ما) الأول أنها اسم موصول، والفاء في الخبر لشبه الموصول باسم الشرط في العموم والإبهام.

والثاني عن الفراء: أنها شرطية وعليه فاسم أن محذوف ضمير الشأن أي (أنه) ويأتي على ذلك بشاهد :

إنّ من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جآذرا وظباء *

ولا يجوز هذا عند سيبويه إلا في الضرورة[٢] .

ومن الشواهد أيضا عند قوله تعالى (**وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا**)[الفرقان/٥٨].

يذهب الشيخ أن (بربك) هو فاعل كفى وان الباء للتأكيد، قال: وربما جاء فاعل كفى بلا باء كقوله : كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا.

وقوله الآخر :

ويخبرني عن غائب المرء هديُه كفى الهدي عما غيّب المرء مُخبرا[٣]

ويستشهد أيضا على معاني الحروف واستعمالاتها كما ورد في قوله تعالى (**قد نرى تقلب وجهك في السماء**)[البقرة/١٤٤].

يذكر الشيخ أن قد للتحقيق، ويجوز أن تكون للتكثير، وقد حمل سيبويه على التكثير قول الهذلي :

---

(١) المصدر نفسه (٥/٧٢)

* البيت للأعشى.

(٢) المصدر نفسه (٧/١/٢١٩)

(٣) المصدر نفسه (٩/٢/١٣٦)

قد أترك القرن مصفرا أناملـه.

وحمل عليه جماعة قول الشاعر :

قد اشهد الغارة الشعواء تحملني جرداءُ معروقة اللحيين سرحوبُ[١] .

وعند تفسير قوله تعالى (**وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها**)[الاعراف/١٣٢]. يذكر أن مهما تأتي بمعنى متى كقول الشاعر :

فإنك مهما تعط بطنك سؤله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا[٢] .

ومن الشواهد على المسائل الصرفية :

عند قوله تعالى (**ولهم عذاب أليم**) [البقرة/١٠].

يقول هو فعيل بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل، ومما يحتمل الوجهين قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي :

وخيل قد ألفت لهم بخيل تحية بينهم ضرب وجيع[٣] .

ومنه ايضا عند تفسير قوله تعالى (**فشاربون شرب الهيم**)[الواقعة/٥٥].

يقول عن الهيم جمع أهيم، وهيماء، كأحمر وحمراء قال ذو الرمه :

فأصبحتُ كالهمياء لا الماءُ مبردٌ صداها ولا يقضي عليها هيامها[٤] .

ومن استشهاداته البلاغية ما جاء في قوله تعالى (**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**)[الاسراء/٢٤]. يذكر الشيخ أن في الآية استعارة مكنية فقد شبه الذل بالطائر ثم حذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه وهو الجناح، وذلك الاثبات استعارة تخييلية، كما جعل لبيد للشمال وهي ريح يدا وللقرة بكسر القاف وهي البرد زماما في قوله :

وغداةَ ريح قد كشفت وقرةٍ إذ أصبحت بيد الشمال زمامها[٥] .

ويذكر لنا من أنواع البديع ما يسمي بالتجريد البديعي عند قوله تعالى (**فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان**)[الرحمن/٣٧] أي فحصلت سماء كوردة، ويأتي بشاهد على ذلك قول قتادة بن مسلمة الحنفي :

---

(١) الهميان (٢/٣٨٠)

(٢) المصدر نفسه (٦/٢/٢١٥)

(٣) المصدر نفسه (١/٢٦٢)

(٤) المصدر نفسه (١/٢٦٢)

(٥) الهميان (٩/٢/١٤٧)

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

أي إلى أن يموت كريم يعني نفسه، انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه[١] .

وربما يذكر الشيخ البيت إذا جاء في معناه مشابها لمعنى الآية كما في قوله تعالى **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)**[الانفال/٤٦]. والريح هنا القوة وقد جاء هذا المعنى في قول الشاعر:

انتظران قليلا ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي

وقال عبيد بن الابرص :

كما حميناك يوم النعب من شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد

وقال الشاعر الانصاري :

قد عودتهم ظباهم أن تكون لهم ريح القتال وأسلاب الذين لقو

وقال الشاعر :

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكونا[٢] .

وعند تفسير **(ولباس التقوى ذلك الخير)**[الاعراف/٢٦] يورد قول الشاعر :

إذا أنت لم تلبس ثيابا من التقى عريت وإن وارى القميص قميص[٣] .

ومن شعر الحكمة عند تفسير قوله تعالى **(وشاورهم في الأمر)**[آل عمران/١٥٩].

يذكر هذه الابيات :

وشاور إذا شاورت كل مهذب لبيب أخا حزم لترشد في الأمر

ولا تك ممن يستبد برأيه فتعجز أولا تستريح من الفكر

ألم تر أن الله قال لعبده وشاورهم في الأمر حتما بلا نكر[٤]

ومن النصيحة قول أحدهم يخاطب زوجته عند قوله تعالى **(ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)**[البقرة/٢١٩]

---

(١) المصدر نفسه ٩١/١٤، وانظر للمزيد، ٣٧٣/١، ٤٧٠/٢، ٣٩٠/١/٩، ٢٩٩/١/١٠

(٢) الهميان (٢٣٨/١/٧)

(٣) المصدر نفسه (٤٨/٢/٦)

(٤) المصدر نفسه (٣٢٧/٤)

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب[١]

ومن الحث على التفاؤل وترك اليأس ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (**قال بل سولت لكم انفسكم أمرا فصبر جميل**)[يوسف/١٨].

قول الشاعر :

وكل الحادثات إذا تناهت يكون وراءها فرج قريب

وقول آخر :

إذا تضايق امر فانتظر فرجا وأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

وقول آخر :

فلا تجزعن إن أظلم الدهر مرة فإن اعتكار الليل يؤذن بالفجر[٢]

ومثال شعر الموعظة ما ذكر عند قوله تعالى (**كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون**)[العنكبوت/٥٧].

ففي معرض تفسيره للآية نقل عن كتاب بهجة النفوس، أنه بينما المنصور جالس في منزله في أعلى قصره إذ جاءه سهم فسقط بين يديه... فإذا مكتوب عليه بين الريشتين:

اتطمع في الحياة إلى التنادي وتحسب أن ملكك للمعادي

لتسأل عن ذنوبك والخطايا وتسأل بعد ذاك عن العباد

*****

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وساعدتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

*****

هي المقادير تجري في أعنتها فاصبر فليس لها صبر إلى حالي

يوما تريك خسيس القدر ترفعه إلى السماء ويوما تخفض العالي

---

(١) المصدر نفسه (١٩٦/٣)

(٢) المصدر نفسه (٢٣١/٢/٨)

*****

من يصحب الدهر لا يأمن تصرفه يوما وللدهر إحلال وإمرار

لكل شيء وإن طالت سلامته إذا انتهى مَدُّه لا بد اقصار(١)

أما شعر المدح فخيره قصيدة الأعشى التي مدح بها النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكرها الشيخ عند تفسير قوله تعالى (**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**)[البقرة/١٩٧].

ومطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

وفيها :

وآليتُ لا أرثي لها من كلالةٍ ولا من حفىً حتى تلاقي محمدا

متى ما تناخَيْ عند باب ابن هاشم تراحَي وتَلْقَي من فَواضِلِهِ ندا

نبي يرى مالا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا

له صدقات ماتغبٌ ونائلٌ وليس عطاء اليوم مانعُهُ غدا

أجَدّك لم تسمع وصاة محمد نبي الإله حين أوصى وأشهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للأمر الذي كان أرصدا(٢)

إلى آخر القصيدة.

واذكر من شعر الفخر قول عباس بن مرداس يفخر بنفسه جاء ذلك عند تفسير قوله تعالى (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط**)[الاسراء/٢٩].

قال العباس بن مرداس بعد أن أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم نصف ما أعطى الأقرع بن حابس وعيينه بن حصن :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عينيه والأقرع

وما كان حصن ولا جالس يفوقان شيخي في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع(٣)

---

(١) الحميان (١٢/١/٢٥٤)

(٢) الحميان (٣/١١٥-١١٦)

(٣) المصدر نفسه (٩/٢/١٦٢)

ومن شعر الحرب والحماسة ما أنشده أبو دجانة الأنصاري في غزوة أحد :

أنـا الـذي عـاهدنـي خليلـي ونـحـن بالسـفح لـدى النـخـيل

أن لا أقـوم الدهر في الكيول ضـربـا بسـيف اللـه والـرسـول[١] .

ذكره الشيخ عند قولـه تعـالى (**وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال**)[آل عمران/١٢١].

وقول ابن رواحه عند قوله تعالى (**ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه**)[آل عمران/١٤٣].

لكنني اسـأل الـرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا

أو ضربة من يدي حران مجهزة بحربـة تنفذ الأحشاء والكبدا[٢]

ومن الأمثلة على شعر الغزل والتشبيب ما ذكره الشيخ عند تفسيره لقوله تعالى (**والفتنة أشد من القتل**)[البقرة/١٩١]. ذكر ابياتا كثيرة منها

ومـا أم خشف طول يوم وليلة ببلقعـة بيـداء ظـمياء صـاديـا

تهيمُ ولا تـدري إلـى اين تبتغي مـولـهة حزنـا تجُـوزُ الفيافيـا

أضرَّ بهاجرَّ الهجير فلـم تـجـد لغُـلتِها مـن بـارد المـاء شافيـا

إذ بعدت عن خشفها انقطعت به فألفتْه ملـهـوف الجوانـح طـاويـا

بـأوجع مني يوم شدوا حمولهم ونـادى منـادي البين ألا تـلاقيـا

وقول البغدادي :

قالـت وقـد نالـها للبين أوجعـهُ والبين صعب على الأحباب موقعهُ

اجعل يديك على قلبي فقد ضَعُفت قـواهُ عـن حملِ ما فيه وأضلُعهُ

وأعطف عليَّ المطايا ساعةً فعسى من شَتَّ شملَ الهوى بالبين يجمُعُهُ

كـأنني يـوم ولّـتْ حسرة وأسىً غـريقُ بحـر يرى الشط ويمنعه[٣]

---

(١) المصدر نفسه (٤/٢٤٩)

(٢) المصدر نفسه (٤/٢٩٤)

(٣) الحمياني (٣/٧٢)

أما الهجاء والذم فمثاله ما ورد عند قوله تعالى (**واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**)[البقرة/٤٨]. قال ابو الهوى في صديق له أيسر فلم يجده كما يظن :

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة وأصبحت فيها بعد عسر إلى يسر

لقد كشف الإثراء منك خلائقا من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر(١)

هذه هي أم الاغراض التي ذكرها الشيخ رحمه الله في تفسيره وهناك أغراض أخرى ولكني اكتفي بما يتحقق به الغرض.

خاتمة مقارنة بالتيسير

للشيخ اهتمام بالغ باللغة في تفسيرية سواء من حيث النحو والصرف، أو من حيث البلاغة فقلما يترك آية الا ويبين ما فيها من وجوه إعرابية، وصور بلاغية إلا إنه يتوسع في تفسيره الأول "الهميان" ويستطرد في مباحث لا تجدها في تفسيره الآخر "التيسير" فلو نظرنا إلى النحو مثلا لوجدنا أن الشيخ كثيرا ما يستطرد في مباحث إعرابيه لا علاقة لها بالتفسير بينما يقتصر في التيسير على ما يتضح به المعنى.

ومن الأمثلة على ذلك عند تفسير قوله تعالى (**ثم لننزعن من كل شيعة أيهم اشد على الرحمن عتيا**) [مريم/٦٩]. قال في الهميان "وأي مفعول ننزع اسم موصول مبنى على الضم لحذف صدر صلته والتقدير ايهم هو أشد على الرحمن متعلق بأشد".

ثم عقب على ذلك بتنبيه قال فيه : ما تقدم من إعراب أي هو الصحيح، وهو مذهب سيبويه قال ابن هشام وخالفه الكوفيون وجماعة من البصريين. ثم ساق أقوالا لكثير من النحويين كالزجاج، والجرمي، ويونس، والكسائي، والأخفش والخليل، والزمخشري، وما ورد على هذه الاقوال من اعتراضات وردود حتى يحسب القاريء انه يقرأ في مطولات كتب النحو.

ثم انظر اليه في التيسير يختصر كل ذلك في ثلاث كلمات يقول (أيهم) مبني وهو موصول (اشد) أي هو اشد هكذا ثم يمضي(٢) ويتكرر هذا المنهج كثيرا في التفسيرين فاكتفى بمثال آخر.

عند تفسير قوله تعالى (**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا**)[طه/١٣١] يذكر في إعراب (زهرة) خمسة أعاريب مفعول لمحذوف، أو

---

(١) المصدر نفسه (٢/٢٠)

(١) انظر الهميان (١٠/١/ ٣٠٨-٣١٠) ، تيسير التفسير (٨/٩٣).

مفعول ثان لمتعنا مضمنا معنى أعطينا -أو بدل من محل الجار والمجرور، أو بدل من أزواجا، أو مفعول لأذم، ثم توقف الشيخ طويلا ينقل عن ابن هشام من كتابيه المسائل السفرية، والمغني ما قيل في إعراب زهرة والردود على ذلك، بينما يكتفي في التيسير بإعرابين الأول انها مفعول ثان لمتعنا على تضمين معنى اعطينا أو يقدر احذر زهرة الحياة(١) .

ويتكرر هذا المنهج في مسائل الصرف كما هو الحال في مسائل النحو فمثلا عند تفسير قوله تعالى (**والذين كفروا أو كذبوا بآياتنا**)[البقرة/٣٩]. ينقل الشيخ في الهميان ما قاله ابن مالك وابن هشام والشيخ خالد في تصريف آية في اربع صفحات في حين لا تجد لهذا المبحث الصرفي أي ذكر في التيسير(٢) .

وعند تفسير قوله تعالى (**قال ومن ذريتي**)[البقرة/١٢٤].

يحاول الشيخ أن يستقصي كل ما قيل في وزن ذرية فذكر أربعة وعشرين قولا بدأها بالقول الصحيح الذي يراه كعادته واذا قارنت هذا بما ورد في التيسير وجدته يقتصر على قولين أو ثلاثة هي التي يراها محتملة مع تقديمه الراي الأصح في نظره(٤) .

أما من حيث البلاغة فإنه وإن كان يتوسع في بعض الامثلة في الهميان الا إنه يعطى هذا الجانب اهتماما أكبر في التيسير فتجده يقف عند كثير من الآيات يرى أن فيها صورة بيانية لم يكن قد وقف عليها في الهميان ومن هذه الآيات قوله تعالى :

(**ثم جعلناكم خلائف من بعدهم لننظر كيف تعملون**)[يونس/١٤].

يرى إنه في الآية إستعارة تمثيلية ويجريها فيقول وفي الآية إستعارة تمثيلية، شبه تمكينه العباد من الطاعة والمعصية، والأمر بالطاعة ورضاها، والنهي عن المعاصي وبغضها باختبار الإنسان مع تمكينه مما يعمل أو يترك والجامع ظهور ما يترتب على ذلك، وهي مبنية على استعارة مفردة تبعية، فإن النظر موضوع للنظر بالعين واستعمل في العلم أي ليظهر معلومنا خارجا فيجازي عليه... (٣) .

- (**وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنه قد أحيط بهم**)[يونس/٢٢] تمثيلية(٢).

---

(١) انظر الهميان (١٠/٢/١٢٨-١٣٠) ، التيسير (٨/٢٦٣).

(٢) انظر الهميان (١/٤٩٣-٤٩٦)، التيسير (١/٦٣).

(٣) الهميان (٢/٣٠٧) ، التيسير (١/١٧٠).

(٤) التيسير (٥/٢٢٤).

(٥) المصدر نفسه (٥/٢٣٦).

- (واصنع الفلك بأعيننا)[هود/٣٧] تمثيلية[١] .
- (يا أسفى على يوسف)[يوسف/٨٤] كناية[٢] .
- (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) [ابراهيم/٣٠] تمثيليه[٣] .
- (وضربنا لكم الامثال)[ابراهيم/٤٥] تصريحية[٤] .
- (إن الشيطان ينزغ بينهم) [الاسراء/٥٣] تبعية[٥] .
- (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) [الاسراء/٦٤] كناية في رجلك[٦] .
- (صعيدا جرزا) [الكهف/٨] تشبيه بليغ[٧] .
-(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء...)[الحج/٣١] إما مفردة وإما تمثيلية[٨]

وكل هذه الآيات إذا رجعت اليها في الهميان وجدت الشيخ يكتفي بإيضاح معناها دون أن يقف عندها بيانيا.

بقي أن أقول أن الشيخ وإن ذكر أقوالا في كتابه التيسير عن بعض ائمة اللغة في النحو أو في البلاغة فلا يذكر المصدر ولا ينسب القول لقائله كما سبق بيانه في فصل المصادر[٩] .

---

(١) المصدر نفسه (٥/٤١٢).
(٢) التيسير ٦/٢٥٦).
(٣) المصدر نفسه ٦/٣٥٥.
(٤) المصدر نفسه ٦/٣٧٨.
(٥) المصدر نفسه ٧/١٩٣
(٦) المصدر نفسه ٧/٢١١
(٧) المصدر نفسه ٧/٢٩٠
(٨) المصدر نفسه ٨/٤١٨
(٩) انظر الهميان (٧/١/١٣١)، ٧/٢/٨٨، ٧/٢/٢١٩، ٨/٢/٣٥٥ وقارن بالتيسير ٤/٣٠٣، ٤/٤٩٧، ٥/١٢٠، ٦/٢٩١

الفصل السادس
منهجه الفقهي في التفسير

- مصادر التشريع عند الاباضية
- منهجه في عرض الأقوال.

الفصل السادس

منهجه الفقهي في التفسير

المبحث الأول

مصادر التشريع عند الاباضية

تعرض الإباضية عبر تاريخهم الطويل إلى سلسلة من التهم الباطلـه، والافتراءات الكاذبة، وكان مما تعرضوا له مصادر التشريع عندهم، فقيل إنهم ينكرون الرجم لأنـه لم يثبت بالقرآن، ويجيزون الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وأن الاجماع عندهم مقصور على أئمتهم، إلى غير ذلك. ولست بصدد مناقشة هذه الافتراءات، فبطلانها لا يحتاج إلى بيان، وإن الرجوع إلى كتاب من فقـه الإباضيـة قديمـا كـان أم حديثـا، لكفيل . . برد هذه الدعاوى، وتكذيب تلك الافتراءات.

أما مصادر التشريع التي تجمع عليها كتب الإباضية قاطبة فهي[1] :

١- الكتاب : وهو المصدر الأول للتشريع.

٢- السنه : وتأتي من المرتبة الثانية بعد كتاب الله تعالى.

٣- الإجماع : ويأتي بعد السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ويقصـدون به إجماع الأمة كما سيأتي بيانه في تفسير الشيخ.

٤- القياس : وهو المصدر الرابع من هذه المصـادر عند عدم النص ويـأخذون بخبر الواحد، ويقدمونه على القياس إذا صح، إذ لا قياس مع النص.

٥- الاستدلال وهو طلب الدليل : ويدخل تحتـه الإستصحاب، والإستحسـان، والمصـالح المرسلة، وقد يعبرون عنه بـ (الرأي).

---

(١) انظر على سبيل المثال، الكندي أبو بكر أحمد بن عبدالله بن موسى ت٥٥٧هـ، المصنف، تحقيق عبد المنعم عامر، د. حمادالله أحمد، طبعه عيسى بابي الحلبي وشركاه، منشورات وزارة التراث القومي / عمان جـ١/ ص ٣٨-٦٨، الوارجلاني، ابو يعقوب، يوسف بن ابرهيم ت٥٧٠هـ، العدل والانصاف، دار نوبار للطباعة، الناشر وزارة التراث القومي، عمـان، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م، جـ١ ص ٤٧-٥٠ وانظر د. بدوي ابراهيم عبد العزيـز، دور المدرسة الاباضية في الفقـه والحضارة الاسلامية، ضمن بحوث ندوة الفقـه الاسلامي، مسقط، ص٧٢٢.

ولا أدل على ذلك من أخذ الإمام أبي عبيدة، مسلم بن أبي كريمة وهو الإمام الثاني للإباضية بعد إمامهم الأول جابر بن زيد الأزدي- ، بهذه المصادر، وتطبيقها في رسائله وفتاواه[١] .

وقد أشار الشيخ اطفيش إلى هذه الأصول في تفسيره عند تفسيره قوله تعالى :(**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**)[النساء/٥٩]. يقول الشيخ في معرض تفسيرها، فالآية مثبتة للقياس، وأظهر من هذا في اثبات القياس أن نعتبر أن لا تنازع في شيء منصوص عليه في القرآن أو السنة، بل التنازع في الآية إنما هو في شيء لم ينص عليه فيهما، فيجب رده اليهما بالقياس على المنصوص عليه فيهما.... فالأحكام ثلاثة:

حكم بالقرآن، وحكم بالسنة، وهما في قوله تعالى: (**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**)، وحكم بالقياس، وهو من قوله تعالى (**فإن تنازعتم في شيء**) الآية، ولنا حكم رابع وهو حكم الاجماع، لكنه مستند إلى الأولين أو الثالث، وداخل في ذلك وهو مستفاد من قوله تعالى (**وأولي الأمر**) على ما قال الفخر: من أن الله أمر بطاعتهم، والمأمور بطاعته لا يخطيء، والمعصوم من الخطأ مجموع الأمة، وليس بعض الأمة[٢] .

ومثل هذا التفصيل جاء عند تفسير قوله تعالى (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**)[النحل/٨٩].

قال ما نصه : "فإن قلت: ليس في القرآن بيان كل شيء إذا أنزل الله سبحانه ، وأمر فيه رسوله أن يبين للناس ما أنزل فيه، كما قال تعالى (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**)[النحل/٤٤] فإن بعضا من الدين مفصل فيه، وبعضا مفصل في السنة، وبعضا في القياس، وبعضا بالاجماع، وكل من القياس والإجماع مأخوذ من السنة الموكول إليها الأمر في القرآن فكأنهما مأخوذان من القرآن"[٣] .

ويقول "الإجماع حجة، وخبر الواحد حجة، والقياس حجة اثبتها القرآن"[٤] ويقصد بالإجماع إجماع الأمة الاسلامية كما أشار إلى ذلك في عدة مواضع من تفسيره، منها عند تفسير قوله تعالى (**ويتبع غير سبيل المؤمنين**)[النساء/١١٥].

---

(١) انظر، العبري، سعيد بن عبدالله، فقه الامام أبي عبيدة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، عمان، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ٦٦-٦٨، الراشدي، مبارك بن عبدالله، الامام أبو عبيدة وفقهه، الطبعة الأولى، مطابع الوفاء، المنصورة، ١٤١٣/١٩٩٣م، ص ١٧٠.

(٢) الهميان (٥/٢٠-٢١) وانظر / ٣١٦ ، وانظر (٧٨/١/٦).

(٣) الهميان (٢٣٧/١/٩).

(٤) المصدر نفسه (٧٨/١/٦).

ذكر الشيخ أن الآية دالة على أن الاجماع حجة وأنه اجماع الأمة مستدلا بحديث (لا تجتمع أمتي على ضلالة)(١) .

والأمثلة التطبيقية على ذلك في تفسير الشيخ كثيرة اكتفي منها بما يحقق الغرض.

فمن التشريعات التي جاءت بها السنة المطهرة، ولم ترد في القرآن؛ ذكر الشيخ – رحمه الله– حد الرجم للزاني المحصن، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، وصلاة السفر، وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وتقسيم دية قتل الخطأ على العاقلة من أقارب القاتل(٢) .

فعند تفسير قوله تعالى **(واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم، فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا)**[النساء/٥١].

يذكر الشيخ أن ذلك السبيل هو الجلد للبكر، والرجم للثيب، كما ورد في حديث عبادة بن الصامت، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم– قال: "خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنه والثيب بالثيب جلد مائة والرجم"(٣) .

قال الشيخ: ثم زال الجلد وبقي الرجم على الثيب بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه رجم يهوديا ويهودية ولم يجلدهم هذا مذهب الجمهور، وقد زعمت جماعة أن الجمع باق، وبه قال عليه والحسن، وإسحاق بن راهويه، وداؤد وأهل الظاهر(٤).

وعند تفسير قوله تعالى **(وأحل لكم ما وراء ذلكم)**[النساء/٢٤].

يقول: وخصت السنة من عموم تحليل ما وراء ذلك الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وقيس عليهما سائر المحارم(٥) .

---

(١) المصدر نفسه (٥/١٦٥) وانظر (٤/٢٢١)، (١٤/١٣٥). والحديث اخرجه الترمذي، سنن الترمذي، (٣٤) كتاب الفتن، (٧) باب ما جاء من لزوم الجماعة، رقم ٢١٦٧ عن ابن عمر بلفظ "ان الله لا يجمع امتي أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة، ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار، ٤/٤٦٦.

(٢) انظر الهميان (٥/٢٩١.) ، (٥/٩٢).

(٣) الحديث أخرجه مسلم، صحيح مسلم، (٢٩) كتاب الحدود، (٣) باب حد الزنى، رقم الحديث ١٦٩٠، ج٣، ص ١٣١٦.

(٤) الهميان (٤/٤٦٦).

(٥) المصدر نفسه (٤/٤٩٢).

وقال عند تفسير قوله تعالى (**وأن تجمعوا بين الاختين إلا ما قد سلف**)[النساء/٢٣]. وفي الحديث "لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها[١] ، ومثل ذلك سائر المحارم ، والضابط أن كل امرأتين بينهما قرابه، أو لبن، لم يجز لك الجمع بينهما[٢] .

وعند تفسير قوله تعالى (**وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**)[النساء١٠١]. يقول الشيخ في معرض تفسيره للآية : "وقد علمت أن صلاة السفر ليست من الآية، بل من السنة، وأجمعت عليها الأمة"[٣] .

ومن الأمثلة على الاجماع أيضا عند تفسير قوله تعالى (**وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس**)[النساء/١٢]. يقول الشيخ: وأجمعوا أن المراد بالأخ أو الأخت من الأم، فالكلالة في الآية بالاجماع[٤] .

وعند تفسير قوله تعالى (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا**)[الاسراء/١].

يقول في تفسيرها: هو سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- باجماع الأمة، وقال في موضع آخر: وقد أجمعوا على أن أفضل البقاع قبره - صلى الله عليه وسلم- ويليه على الصحيح الكعبة.[٥]

ومن رد إجماع الأمة فقد كفر عندنا بله الكتاب والسنة الثابتة، يقول الشيخ -رحمه الله- عند تفسيرقوله تعالى (**إذ يقول لصاحبه لا تحزن**)[التوبة/٤٠]. يقول: هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ومن أنكر صحبة أبي بكر أشرك، للاجماع على أنه المراد من الآية..."[٦]

ومن الأمثلة على القياس غير ما سبق. عند تفسير قوله تعالى (**فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف**)[النساء/١١].

---

(١) الحديث اخرجه البخاري، (٦٧) كتاب النكاح، (٣٧) باب لا تنكح المرأة على عمتها، حديث رقم ٥١٠٨، ٥١٠٩، ٥١١٠ عن جابر، وابي هريرة بلفظه "ج٩، ص ٦٤، وأخرجه مسلم في (١٦) كتاب النكاح، (٤) باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، ١٤٠٨

(٢) الهميان (٤٨٩/٤).

(٣) الهميان (١٣٤/٥) .

(٤) المصدر نفسه (٤٥٩/٤).

(٥) المصدر نفسه (٧/٢/٩).

(٦) المصدر نفسه (١٢٣/٢/٧).

يقول في معرض تفسيرها: "إن للاختين الثلثين بنص القرآن، فكيف لا يكونان للبنتين وهما مقدمتان بالجهة، إذ هما أقرب رحما، وإن البنت الواحدة استحقت الثلث مع أخيها، فكيف لا تستحقه مع أختها المماثلة لها، وأنه -صلى الله عليه وسلم- قضى لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين كما في البخاري ومسلم، وكذا ذكر الترمذي، أنه -صلى الله عليه وسلم- قضى للابنتين بالثلثين[1] .

هذه هي أهم مصادر التشريع عند الاباضية، أحببنا التوقف عندها قليلا، ليعلم القاريء الكريم، أن الاباضية من أكثر الفرق الاسلامية تمسكا بالكتاب، والسنة، وما أجمعت عليه الأمة، وأنهم بريئون مما نسبه إليهم أهل الجهل والتعصب، براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام.

المبحث الثاني

منهجه في عرضه لمسائل الفقه

أما عن منهج الشيخ في عرضه للمسائل الفقهية فيمكن التعرف عليه من خلال النقاط التالية.

١- القواعد الأصولية التي عرض لها الشيخ في تفسيره.

٢- عرضه لأقوال فقهاء المذاهب دون أن يتعقبها بشيء.

٣- عرضه لأقوال الفقهاء وتعقبها بالتصحيح تارة، وبالتضعيف تارة أخرى.

٤- عرضه للأقوال مع أدلتها ثم مناقشة هذه الأدلة والموازنة بينها ثم الترجيح.

٥- عرضه لمسائل الخلاف.

١- القواعد الأصولية:

من القواعد الأصولية التي ورد ذكرها في هذا التفسير :

أ- حمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص وقد مر ذكره في فصل المأثور.

ب- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) الهميان (٤/٤٤٩-٤٥٠).

والحديث اخرجه ابو داؤد في كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب رقم الحديث ٢٨٩٠، عن جابر بن عبدالله، واخرجه ابن ماجه (٢٣) كتاب الفرائض، (٢) باب فرائض الطلب رقم ٢١٩٩، انظر صحيح ابن ماجه للالباني ٢/١٤١، وأخرجه أحمد في المسند ٣/٣٥٣، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٨/٩٢) عن جابر.

جـ- الأمر المجرد للوجوب، وينصرف بالقرائن إلى الندب، والإرشاد، وللإباحة بعد الحظر.

د- النهي المجرد للتحريم، وينصرف إلى التنزيه بقرينه.

وتتضح هذه القواعد بالأمثلة، فقاعدة عموم اللفظ وخصوص السبب ورد ذكرها في مواضع عده، منها :

عند تفسير قوله تعالى: (**أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات**)[هود/١١٤].

ذكر الشيخ في معرض تفسير الآية، أنها وإن كان سبب نزولها خاصا فهي عامة لكل الناس، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[١] .

أما قاعدة أن الأمر المجرد للوجوب فمثالها قوله تعالى (**قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك**)[الاعراف/١٢].

يقول الشيخ: "والآية دليل واضح على أن الأمر للوجوب، والفور ما لم تصرفه قرينه، وذلك أنه سبحانه وتعالى قطع عذره - أبعده الله - بعدم امتثال مجرد الأمر، ولولا أنه للوجوب ما قطع عذره حتى يخبره بالوجوب ... "[٢] .

وقد طبق هذه القاعدة في أكثر من موضع فمثلا عند تفسير قوله تعالى (**وأتموا الحج والعمرة لله**)[البقرة/١٩٦].

ذهب الشيخ -رحمه الله - إلى القول بوجوب العمرة استنادا على هذه القاعدة فقال "أئتوا بالحج والعمرة تامين بأركانهما، وشروطهما، فهما معا واجبان، لأن الله عز وجل أمر بالاتيان بهما تامين، والأمر للوجوب على الصحيح ما لم يصرفه دليل عن الوجوب"[٣] .

وعند تفسير قوله تعالى (**واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**)[النساء/١٠١].

---

(١) الهميان (٨/١/٣٠٠) وانظر ٣/٨١.

(٢) المصدر نفسه (٦/٢/٢٠) وانظر السالمي، شرح طلعة الشمس، ١/٣٨.

(٣) الهميان (٣/٨٤) وانظر اطفيش، الذهب الخالص ، ص ٢٧٦.

ذهب الشيخ – كما هو في المذهب – إلى القول بوجوب صلاة السفر، حتى في حالة الأمن، لأن الأمر المجرد للوجوب[١] . أما إذا وجدت قرينة صارفه :

فقد يكون للندب كما في قوله تعالى **(وأشهدوا إذا تبايعتم)**[البقرة/٢٨٢].

يقول الشيخ " والجمهور من الأمة على أن الأمر في هذه الآيات للندب، والنهي للتنزيه، لا للوجوب والتحريم[٢] .

وقد يكون للإرشاد كما في قوله تعالى **(كلوا من ثمره إذا أثمر)**[الانعام/١٤١].

يقول الشيخ ما معناه، إن كان بالأكل من ثمره ولو لم يدرك فالأمر للاباحة، وإن كان إذا أدرك فالأمر للإرشاد.[٣]

ويكون الأمر للإباحة أيضا إذا جاء بعد الحظر كما في قوله تعالى **(فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا)** [الانفال/٦٩].

يقول الشيخ: "والأمر الوارد بعد الخطر للاباحة، فإذا كان قد منعوا عن الفداء ثم أبيح لهم فالأمر هنا للإباحة ... "[٤] .

وكما أن الأمر المجرد للوجوب فإن النهي المجرد للتحريم كما ورد ذلك عند تفسير الشيخ لقوله تعالى **(يآ أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا)**[النور/٢٧].

يرى الشيخ أن التسليم واجب كما نصت الآية، على أن الدخول حرام حتى يكون الاستئذان والتسليم جميعا، فإن النهي للتحريم على الصحيح وهو مذهبنا ما لم تصرفه قرينه... "[٥] .

هذه هي أهم القواعد الأصولية التي تعرض لها الشيخ، ننتقل بعدها إلى بيان منهجه في عرض الأقوال.

---

(١) الهميان (١٣٦/٥).

(٢) المصدر نفسه (٤٥٥/٣).

(٣) المصدر نفسه (٢٨٩/١/٦) وانظر ٥٥/٣.

(٤) المصدر نفسه (٢٧٩/١/٧).

(٥) الهميان (٢٥٨/١١) وانظر ٣١٦/٥.

أ- يذكر أقوال المذاهب دون أن يتعقبها بشيء:

فعند تفسيره لقوله تعالى (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم، وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم)[البقرة/ ٢٢٦]

يذكر الشيخ -رحمه الله- أقوال الصحابة، والتابعين، وأئمة المذاهب فيما لو مضت الأربعة الأشهر ولم يفيئوا هل يقع الطلاق أم لا؟

فقال(١) :

"إذا لم يفيئوا إلى جماعهن، فلم يجامعوهن حتى مضت الأربعة الأشهر، فقد وقع الطلاق بلا لفظ من ألفاظ الطلاق، ولا نوى، بل بمجرد التصميم على عدم الجماع حتى مضت الأربعة ... هذا مذهبنا(٢) ، ومذهب أبي حنيفة(٣) ، وهو مروي عن عمر، وعثمان، وابن عباس، وابن مسعود، وعلي، وزيد بن ثابت، والحسن، وسفيان الثوري، وهو مذهب المعتزلة* ، وقال سعيد بن المسيب مثل ما قلنا، لكن لا تقع عليه طلقه رجعية والفاء الأولى لتفصيل المجمل أو للترتيب الذكري... والفاءان الثانيتان للتعليل قامتا مقام فاء الجواب..

وقال الشافعي، ومالك، وغيره من أهل المدينة، وهو مروي عن ابن عمر، وأحمد، واسحاق، وسعيد بن جبير، سليمان بن يسار، ومجاهد: إن رجعوا بعد الاربعة إلى الجماع فجامعوهن بعدهن، فهن أزواج لهم، والا فليجبروا على أن يطلقوا، فبعد تمام الأربعة يجبرون، إما أن يفيئوا، وإما أن يطلقوا، أخذا بظاهر الفاء المفيدة للتعقيب(٤) .

ويتعرض -رحمه الله- لمسألة ما إذا طعن الذمي في الإسلام عند تفسير قوله تعالى (وإن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم، وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر)[التوبه/١٢].

يذكر الشيخ رحمه الله أن القول الأول يفعل فيه الامام رأيه من قتل أو بيع أو نحو ذلك، إلا إن أسلم قبل أن يفعل به ذلك، كذا نقول نحن والشافعي، والمشهور من مذهب

---

(١) الهميان (٣/٢٢٢).

(٢) انظر شرح النيل للمؤلف (٧/١٨٣، ١٨٥).

(٣) انظر ابن الهمام محمد بن عبد الواحد، فتح القدير، ط/١، المطبعة الاميرية ببولاق، ١٣١٦هـ، ج٣، ص ١٨٤.

* ليس للمعتزلة مذهب فقهي خاص بهم.

(٤) انظر مالك انس المدونه ، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٣، ٣/٨٥، الدسوقي، محمد بن عرفه، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، طبعة عيسى بابي الحلبي، ٢/٤٢٨، ابن العربي، أحكام القرآن ، ١/٢٤٧، ابن قدامه، احمد بن محمد، المغنى مع الشرح الكبير ، ط/١، دار الفكر، بيروت، ٤-١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٨/٥٢٩.

مالك أنه إذا كذب الشريعة، أو سب النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو فعل نحو ذلك قتل وقيل إذا كفر وأعلن بما هو معهود من معتقده وكفره، أدب على الاعلان وترك، وإذا كفر بما ليس من معهود كفره كالسب ونحوه قتل.

وقال أبو حنيفة في هذا: إنه يستتاب، وإن سب النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلم تقية عن القتل ترك، وقال بعض المالكين يقتل.(١)

ويلحظ من المثالين السابقين أن الشيخ -رحمه الله- يبدء بالقول الراجح في مذهبه، ويذكر من وافقه ثم يثنى بباقي الأقوال، دون أن يفصل في المسألة، إلا بما توحي به عبادته من اختياره للأول، وبمثل هذه الطريقة عالج مسألة المقدار المجزيء من مسح الرأس، عند تفسير قوله تعالى **(وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)** [المائدة/٦] .

قال رحمه الله: "ويجزي ثلاث شعرات بثلاث اصابع واحدة بعد واحدة، وأجيز ما تعم أصبع واحدة بعرضها، وأجيز ثلاث فصاعدا(٢) ، وهو رواية عن أبي حنيفة(٣) .

وقال الشافعي(٤) : يجزيء ما يصدق عليه اسم المسح أخذا باليقين، وقال مالك يمسح كله حوطة(٥) ، وهو رواية عن أحمد ايضا، وعنه يجب مسح أكثره(٦) ، وعن أبي حنيفة ربعه ... "(٧) .

٢- وربما يذكر مع القول دليله :

كما فعل في عرضه لمسألة مقدار النصاب الذي تقطع فيه يد السارق عند تفسير قوله تعالى **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)**[المائدة/٣٨].

يقول الشيخ :

"وإنما يوجب القطع إذا كانت من حرز وكان المسروق ربع دينار، أو ما يساويه فصاعدا، ثم ذكر حديث عائشه - رضي الله عنها- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار* " ثم ذكر الخلاف في ربع الدينار هل هو ثلاثة

---

(١) الهميان (٣٤/٢/٧) وانظر ابن العربي، احكام القرآن، (٤٦٠/٢)، التيسير (٤٥٢/٤)، الكمال ابن الهمام، فتح القدير، (٣٨١/٤).

(٢) انظر شرح النيل (١١٩/١).

(٣) ابن الهمام فتح القدير ١١/١.

(٤) زكريا الانصاري، شرح روضة الطالب، المكتبة الاسلامية، (٤٠/١).

(٥) مالك بن انس، المدونة الكبرى، دار صادر، ١٦/١، ابن العربي، احكام القرآن ٦٠/٢، حاشية الدسوقي ٨٨/١.

(٦) ابن قدامه، المغنى مع الشرح الكبير، تصحيح محمد هراس، مطبعة الامام، مصر، ١٢٥/١.

(٧) الهميان ٣٣٣/٥، وانظر ٤٦٣/٢، ٥٩/٣، ٧٠/٢/٧، ١٠٨/٢/١٢ وانظر التيسير ٣٥/٣.

* الحديث سبق تخريجه .

دراهم أو اربعة، قال: وأكثر اصحابنا على الأول[١] وبه قال مالك[٢] ، وأحمد[٣] ، واسحاق، وهو مذهب الجمهور أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وجابر بن زيد، وأصحابنا، وعمر بن عبد العزيز، والاوزاعي، والشافعي[٤] ، إلا أنهم اختلفوا من الدينار بعدما ورد أن القطع في ربعه...

وعن أبي هريرة أن قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم، وعن عمر لا تقطع الخمس إلا في الخمسة، وبه قال ابن ابي ليلى لما روى عن أنس أن أبا بكر قطع في مجن قيمته خمسة دراهم، وقال الحسن القطع في درهم فصاعدا.

وعن أبي حنيفة[٥] : لا قطع فيما دون عشرة دراهم، وعنه، وعن ابن مسعود وسفيان الثوري: لا قطع في أقل من دينار، أو عشرة دراهم، لما روى عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- أول من قطع في مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم[٦] ومن رواية عن الحسن وابن عباس، وابن الزبير: القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير، وهو قول الظاهرية لعموم ظاهر الآية، والحق أن الآية مخصصة بالحديث..[٧] .

٣- ولا يكتفي الشيخ -رحمه الله- بسرد الأقوال، بل يفاضل بينهما بناء على الدليل العقلي، والنقلي.

فمثال الدليل العقلي ما ذكره من خلاف حول أفضلية الإفراد، أو التمتع، أو القران في الحج، عند تفسيرقوله تعالى **(وأتموا الحج والعمرة لله)**[البقرة/١٩٦]. فذكر عن مالك[٨] والشافعي[٩] أن الافراد أفضل، قال وهكذا أقول فإن قرن عبادتين أضعف من فعل ما ابيح مع كفاره وهو التمتع وروى مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أفرد الحج، وروى مسلم عن ابن عمر : أهللنا مع رسول الله -

---

(١) انظر شرح النيل ٧٩٣/١٤.

(٢) مالك بن أنس، المدونة، ٢٦٥/٦.

(٣) ابن قدامة، المغنى، ٨١/٦.

(٤) زكريا الانصاري، شرح روضة الطالب، ١٣٧/٤.

(٥) ابن الهمام، فتح القدير ٢٢٠/٤.

(٦) أخرجه الطبري عن عبدالله بن عمرو وابن عباس(٥٧٠/٤) ، واخرج النسائي عن عطاء عن مجاهد عن ايمن قال: يقطع السارق في ثمن المجن، كان ثمنه على عهد رسول الله على السلام دينارا أو عشرة دراهم، واخرج عن ابن عباس انه كان يقول ثمنه يؤمئذ عشرة دراهم، النسائي(٤٦) كتاب قطع السارق(٨) باب القدر، الذي اذا سرقه قطعت يده رقم ٤٩٤٧، ٤٩٥٠ سنن النسائي(٨٣/٨).

(٧) الهميان (٤٣٤/٥-٤٣٥)، وانظر ابن العربي، أحكام القرآن، ١٠٧/٢.

(٨) انظر، مالك بن أنس، المدونة الكبرى، الطبعة الأولى، ضبطه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥/ ١٩٩٤، (٣٩٤/١).

(٩) انظر، النووي ، يحيى بن شرف، روضة الطالبين، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت (٣٢٠/٢).

صلى الله عليه وسلم- بالحج مفردا[١] ... كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي يفردون الحج ايضا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وواظبوا على الإفراد.

وقال سفيان الثوري، وابو حنيفة[٢] : القرآن أفضل، ويدل عليه ما روى عن أنس وأخرجه البخاري ومسلم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا[٣] .

وذهب أحمد بن حنبل، واسحاق بن راهويه[٤] ، إلى أن التمتع أفضل ويدل له ما روى عن ابن عباس: تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر ، وعمر، وعثمان. فأول من نهى عنه معاوية رواه الترمذي[٥] وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر : تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع بالعمرة إلى الحج..

قال الشيخ: والافراد عندي أفضل* ... أنه بدليل أنه لا كفارة فيه ولأن الأصل أن يؤدى كل فرض على حدة، بخلاف التمتع ففيه كفارة وهي الهدي، وبخلاف القران، فإنه جمع بين فرضين حج وعمره..."

ومن الترجيح بالدليل النقلي ما ورد في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها عن تفسير قوله تعالى **(وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن)**[الطلاق/٤].

ذكر الشيخ ان الحامل المتوفى عنها زوجها أجلها أن تضع حملها كما ورد في الآية، وقيل تعتد بأبعد الأجلين، وهو قول علي، وابن عباس، ونسب لجابر بن زيد، وأبي عبيدة والعامة من فقهائنا.

ثم صحح الشيخ القول الأول وعليه ابن عمر، وابن مسعود، لحديث سبيعة الأسلمية أنها ولدت بعد موت زوجها بليال... ولما تم نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب التمتع والقران والافراد بالحج، وأخرجه مسلم في كتاب الحج باب بيان وجوه الاحرام وأنه يجوز افراد الحج.

(٢) انظر، ابن الهمام، فتح القدير، ٢/٢١٠، وفيه أن ابا حنيفة يرى أن الافراد أفضل، قال وعندنا ان التمتع أفضل.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، (٧) كتاب الحج، (١١) باب ما جاء في الجمع بين الحج والعمرة، حديث رقم ٨٢١، عن أنس بلفظ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول "لبيك بعمرة وحجه" قال ابو عيسى حديث انس حديث حسن صحيح، ١٧٥/٣.

(٤) ابن قدامه، المغني، ط/١ ، دار الفكر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ٢٣٨/٣.

(٥) الحديث اخرجه الترمذي في كتاب الحج (١٢) باب ما جاء في التمتع حديث رقم ٨٢٢، عن ابن عباس بلفظه والذي في البخاري ان عثمان كان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وان عليا أهل بالحج والعمره وقال ما كنت لأدع سنة النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد انظر، صحيح البخاري (٢٥) كتاب الحج، (٣٤) باب التمتع والقران والافراد في الحج، ٤٩٣/٣.

* ذهب في شرح النيل الى التمتع أفضل، انظر ٦٢/٤ .

رجل من بني عبد الدار فقال لها: مالي أراك تجملت للخطاب، ما أنت والله بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر، فجمعت ثيابها عليها حتى أمست فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفتاها أن تتزوج حين ولدت ان شاءت.(١)

٤- وقد يختلف رأي الشيخ في المسألة الواحدة فيرجح رأيا في موضع ثم يرجح غيره في موضع آخر ففي المسألة السابقة - أي عدة الحامل المتوفى عنها زوجها -رجح الرأي القائل أن أجلها أن تضع حملها مستدلا بحديث سبيعة الأسلمية، وكان قد رجح الرأي الآخر عند تفسير قوله تعالى **(والذين يتوفون منكم، ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا)** [البقرة/٣٤].

يقول الشيخ: وعن علي عدة الحامل المتوفى عنها أقصى الأجلين. إن وضعت قبل أربعة أشهر وعشرا، وإن مضى ذلك ولم تضع فحتى تضع، وكذا قال ابن عباس، وبقولهما نأخذ، وعليه نعتمد، وهو أحوط(٢) وبه قال سحنون، وابن أبي يعلى... ثم ذكر القول الآخر وحديث سبيعة...(٣) .

ولعل الشيخ نسي ما كتبه في تفسير آية البقرة ثم تبين له رجحان حديث سبيعة فقال به دون أن يشير إلى ما قاله سابقا وهذا كثير عند العلماء.

٥- ويتعقب القول الذي يبدو في نظره ضعيفا فيرده كما فعل عند تفسير قوله تعالى (وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وانصتوا)[الاعراف/٢٠٤].

ذكر الشيخ -رحمه الله- مسألة قراءة المأموم الفاتحة خلف الإمام، وأن الصلاة بدونها خداج حتى قال:

---

(١) الهميان (١٤/٢٩٥)، والحديث اخرجه البخاري ، صحيح البخاري، (٦٨) كتاب الطلاق، (٣٩) باب وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن رقم ٥٣١٨ قال ابن العربي في أحكام القرآن (١/٢٨٠) "والذي عندي ان هذا الحديث لو لم يكن لما صح رأي ابن عباس في آخر الاجلين لان الحمل اذا وضع فقد سقط الأجل بقوله تعالى (اجلهن أن يضعن حملهن) [الطلاق/٤] وسقط المعنى الموضوع لاجله الآجل وهو مخافة شغل الرحم، فأي فائدة في الاشهر، واذا تمت الاشهر وبقي الحمل فليس يقول أحد انها تحل وهذا يدلل على أن حديث سبيعة جلاء لكل غمه، وعلا على كل رأي وهمة" ا هـ .

(٢) وعليه جرى في شرح النيل (٧/٤٢١-٤٢٢).

(٣) الهميان (٣/٢٦٤) وانظر مالك بن انس، المدونه، (٢/٢٢). واخرجه مسلم من (١٨) كتاب الطلاق، (٨) باب عدة المتوفى عنها زوجها.

"وما ذكرت من قراءة الفاتحة للمأموم سرا وجهرا، مذهبنا معشر الاباضية[١] ، ومذهب الشافعي[٢] ، وقيل عنه: انه يقرأ السورة بعد فراغ الإمام سرا، وأن هذا السر هو المراد من قوله (**واذكر ربك في نفسك**) [الأعراف/٢٠٥] وهو باطل.

وقال قوم : لا يقرؤها في السر ولا في الجهر، ويرده ما ذكر من أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، "وأن الصلاة بدونها خداج" *، وقال مالك[٣] ، يقرؤها في السر، ويستمع لها وللسورة في الجهر لهذه الآية، ويرده لما ذكر أنهم كانوا يقرأون السورة وراءه – صلى الله عليه وسلم– وقال: "لا تفعلوا إلا بأم القرآن"[٤] .

كما تعقب ابن عباس وأبا حنيفة ومالكا في مسألة تحريم لحوم الخيل عند تفسير قوله تعالى (**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**)[النحل/٨].

قال –رحمه الله– :

واستدل ابن عباس، ومالك[٥] ، وأبو حنيفة[٦] بالآية على تحريم لحم الخيل، والبغال، والحمير، إذ علل خلقها بالركوب والزينة، ولم يذكرها للأكل بعد ذكر الانعام للأكل، ولا دليل في ذلك لأنه لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا، وهو هنا الركوب والزينة، أنه لا يقصد منه غيره أصلا وهو هنا أكل لحمها مثلا، وإلا لزم تحريم حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير حيث ذكر في الانعام دونها، ولأن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر، وهو بعد الهجرة بأكثر من ست سنين، وعن اسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنها– نحرنا على عهد

---

(١) انظر شرح النيل ٢/١٣٣-١٣٤.

(٢) النووي، روضة الطالبين، ١/٣٤٧.

* سبق اخرجه

(٣) مالك بن انس، المرونة الكبرى، ١/١٦٤ ، الحطاب الرعيني، مواهب الجليل، ط/١، ضبطه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ٢/٢١٢.

(٤) الهميان (٧/١/١١٣)، ذكر الحافظ ابن حجر ان الحديث أخرجه البخاري في جزء القراءة انظر فتح الباري (٢/٢٨٣)، وأخرجه الترمذي في (٢) كتاب ابواب الصلاة، باب (١١٥) ما جاء في القراءة خلف الامام، حديث رقم ٣١١، عن عبادة بن الصامت بلفظ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال : إني أراكم تقرؤن وراء امامكم؟ قال: قلنا: يا رسول الله، أي والله، قال: فلا تفعلوا إلا بأم القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرا بها، ٢/١١٦-١١٧. وأخرجه أبو داؤود في الاستفتاح باب ٢١.

(٥) انظر، الحطاب، مواهب الجليل، ٤/٣٥٥، وصحح القرطبي الجواز فقال عند تفسير الآية "قلت والصحيح الذي يدل عليه النظر والخبر جواز أكل لحوم الخيل، وأن الآية والحديث لا حجة منهما لازمة"، الجامع لاحكام القرآن، دار الكتاب العربي، ١٠/٧٦-٧٧.

(٦) الكاساني، بدائع الصنائع، الناشر زكريا علي يوسف، مطبعة الامام مصر، ٢/٨٨٢.

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه، وكذا ذكر عطاء عن جابر بن عبدالله، أنهم كانوا يأكلون الخيل على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وعنه نهانا زمان خيبر عن أكل البغال والحمر الأهلية، وأذن لنا في الخيل... وحجة الحسن وسعيد بن جبير والشافعي، وأحمد، واسحاق، وابن الزبير، وأنس في اباحة لحم الخيل بلا كراهة ما ذكر(١) .

٦- وقد يناقش الأقوال وأدلتها ثم يفاضل بينها مرجحا الدليل الأقوى عنده

ومن الأمثلة على ذلك حكم قصر الصلاة في السفر فذكر الشيخ أولا القول بوجوب القصر في صلاة السفر الرباعية وذكر أدلته منها :

قول السيدة عائشه -رضي الله عنها- "أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين، فأقرت في السفر، وزيدت في الحضر(٢) .

- قول عمر- رضي الله عنه - صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم -صلى الله عليه وسلم-.

- قول ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بين مكة والمدينة ركعتين لا يخاف إلا الله"(٣) .

قال وهو مذهبنا(٤) ، ومذهب ابن عباس، وجابر بن عبدالله وسعيد بن جبير، والسدي، وأبي حنيفة(٥) ، فلو صلى المسافر أربعا لم تجزه.

القول الثاني: أن الأصل أربع فنقص منها للسفر ركعتان ترخيصا وأنه لو صلى المسافر أربعا لاجزته، وهو مذهب الشافعي(٦) ومجاهد، وطاؤوس، وأحمد(٧). ومن أدلتهم:

- روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتم في السفر(٨) .

---

(١) الهميان (٩/١/٢١٥) وانظر ابن قدامة، المغني، ٧٠/١١ .

(٢) الحديث اخرجه البخاري، (١٨) كتاب تقصير الصلاة، (٥) باب تقصير اذا خرج من موضعه، رقم ١٠٩٠، ٦٦٣/٢، وحديث عمر اخرجه النسائي في كتاب تقصير الصلاة في السفر، رقم ١٤٤٠، ١١٨/٢.

(٣) أخرجه الترمذي، سنن، كتاب(٢) مواقيت الصلاة، باب ما جاء في التقصير في السفر رقم ٥٤٧ عن ابن عباس، قال ابو عيسى: هذا الحديث حسن صحيح، واخرجه النسائي في كتاب تقصير الصلاة رقم ١٤٣٥ ، ١١٧/٣.

(٤) شرح النيل (٣٥٠/٢-٣٥١).

(٥) ابن الهمام، فتح القدير، ٥/٢-٦.

(٦) النووي، روضة الطالبين، ٤٨٣/١.

(٧) ابن قدامه، المغنى، ٩٠/٢

(٨) الذي في نيل الاوطار عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في السفر ويتم، ويصوم ويفطر، قال رواه الدار قطني وقال اسناده صحيح، قال في الترخيص واستنكره أحمد وصحته بعيده قال في الهدي بعد ذكر هذا الحديث وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية، يقول هو كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد روي كان يقصر وتتم الاول بالياء والثني بالتاء قال شيخنا وهذا باطل انظر شوكاني نيل الاوطار ٢١٥/٣-٢١٦ ولم أجده في سنن الدار قطني.

- روى عن عائشه رضي الله عنها انها قالت : اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكه قلت:

يا رسول الله : بأبي أنت وأمي قصرت، وأتممت، وصمت وأفطرت، فقال أحسنت يا عائشه، وما عاب علي[١] .

- روي أنه صلى الله عليه وسلم قال في صلاة السفر لعمر "إنها صدقة تصدق الله بها عليكم فأقبلوا صدقته"[٢] .

واختلفت الرواية عن مالك: روى عن ابن وهب أن المسافر مخير في القصر والتمام، وقال جمهورهم أن القصر هو السنة، قال سحنون وغيره: القصر فرض، وفي مدونه مالك أنه إن اتم في السفر، أعاد في الوقت[٣] .

ثم يناقش الشيخ أدلة القول الثاني فيقول :

نجيب عن قول عائشة قصرت وأتممت بأنها، والله اعلم- أرادت أنها قصرت بعد حد السفر، وأتمت قبل حده، وبعد شروعها في السير له، وكذا ما وري انه صلى الله عليه وسلم أتم في السفر أما قوله (فاقبلوا صدقته) أي التزموها فمن لم يقصر صدق عليه أنه لم يقبلها كذا نقول نحن وأبو حنيفة.

قال : وأكثر علماء الأمة أن القصر في السفر واجب وبه قال عمر، وعلي وابن عباس، والحسن، وجابر بن زيد، وعمر بن عبد العزيز، وقتادة، وهو أصح الرواية عن مالك[٤] .

ومن الفقه المقارن أيضا حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج قال الشيخ أجمعوا أن الطواف بين الصفا والمروة مشروع بالقرآن والسنة، فذهب جمهور أصحابنا إلى أنه سنة تجبر بالدم، وفي الايضاح سنة واجبة معمول بها، وقيل فريضة أيضا من تركه لزمه دم، ... ، وذكر بعض أصحابنا أنه فريضة، وكذا قال أهل الكوفه، والحسن،

---

(١) اخرجه النسائي في كتاب تقصير الصلاة في السفر، (٤) باب المقام الذي يقصر بمثله الصلاة، رقم ١٤٥٦، ١٢٢/٢ .

(٢) اخرجه النسائي، في كتاب تقصير الصلاة، رقم ١٤٣٣، ١١٦/٢، الترمذي (٤٨) كتاب التفسير باب ومن سورة النساء رقم ٣٠٣٤

(٣) انظر مالك بن أنس، المدونة (٢٨٠/١)، وقال القرطبي في تفسيره للآية "وحكى ابن الجهم إن أشهب روى عن مالك أن القصر فرض، ومشهور مذهبه، وجل اصحابه، واكثر العلماء من السلف والخلف ان القصر سنة وهو قول الشافعي، انظر القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ٣٥٢/٥.

(٤) الهميان (١٣٠/١٣١/٥) وانظر القرطبي الجامع لاحكام القرآن (٣٥١/٥).

وقتادة، وقال أبو حنيفة إنه واجب(١) . يجبر بالدم وفي القواعد أن القول بفرضه هو قول عائشه والشافعي، وأحمد، ومالك، واسحق(٢) ، ولا حج لم يسع عندهم .... ، واحتج من قال بوجوبه بما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يسعى ويقول "اسعوا فقد كتب الله عليكم السعي"(٣) بأن الأصل في أن تحمل على الوجوب حتى يدل الدليل على خلافه.

وعمدة من لم يوجبه قوله تعالى **(فلا جناح عليه أن يطوف بهما)**[البقرة/١٥٨] معناه فلا جناح عليه في ألا يطوف بهما، وقراءة ابن مسعود (ألا يطوف بهما) كقوله تعالى **(يبين الله لكم أن تضلوا)**[النساء/١٧٦]. معناه لئلا تضلوا.

واستدلوا برفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك.

ثم يرد الشيخ القول الثاني بجواب السيدة عائشة لابن الزبير وحاصله "أن الآية ساكتة عن الوجوب وعدمه، مصرحه برفع الإثم عن الفاعل، والمباح يحتاج إلى رفع الاثم عن التارك، والحكمة من التعبير بذلك مطابقة جواب السائلين لتوهمهم من كونهم كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية ألا يستمروا في الإسلام، فخرج الجواب مطابقا لسؤالهم، والوجوب مستفاد من دليل آخر، ولا يلزم من نفي الإثم عن الفاعل نفيه عن التارك، فلو كان المراد مطلق الاباحة لنفى الاثم عن التارك.

وأجاب عن قراءة ابن مسعود أن اللام زائدة والقراءة شاذة وأن الشاذ لا يحتج به إذا خالف المشهور...

ثم يعقب بقوله "والصحيح عندي وجوبه(٤) لقول عائشه لابن الزبير: لو كان غير واجب كما قلت لقال ألا يطوف بهما، وتقدم أن قراءة ابن مسعود (ألا يطوف) شاذة أو أن لا زائدة ... والحديث "اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي" رواه الشافعي بسنده وصححه الدار قطني، ولرواية مسلم عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال: ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ **(إن الصفا والمروة من شعائر الله)**[البقرة/١٥٨] أبدا بما بدء الله به، فبدأ به(٥) ، فإذا ثبت أن النبي -صلى الله عليه

---

(١) انظر ابن الهمام، فتح القدير ، ١٥٧/٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٨٣/٢ .

(٢) انظر، ابن قدامه، المغنى ، ٤١٠/٣ .

(٣) الحديث أخرجه البيهقي، السنن الكبرى ، كتاب الحج، باب وجوب الطواف بين الصفا والمروة، (٩٧/٥، ٩٨)، أحمد، المسند، ٤٢٢/٦، الدار قطنى، سنن ، كتاب الحج، باب المواقيت ، ٢٥٦/٢.

(٤) وهو اختيار القرطبي انظر لجامع الأحكام القرآن، ١٨٣/٢.

(٥) حديث جابر الطويل أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ٨٨٦/٢-٨٩٢، وابو داؤد ، كتاب المناسك، باب من صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم والنسائي، كتاب الاذان، باب الأذان لمن لم يجمع بين الصلاتين.

وسلم- سعى وجب علينا السعي، لقول تعالى (فاتبعوه)، ولقوله -صلى الله عليه وسلم- (خذوا عني مناسككم)[١] والأمر للوجوب... "[٢] .

٧- يتضح لنا مما سبق أن المذهب الاباضي لا يختلف عن غيره من بقية المذاهب الا بمقدار اختلاف بعض هذه المذاهب مع بعضها الآخر، فهو إن اختلف عن أبي حنيفة، أو الشافعي، أو مالك، أو أحمد في مسالة (ما) اتفق مع باقي المذاهب في هذه المسألة، وكثيرا ما يذكر الشيخ اتفاق المذهب مع أحد هذه المذاهب في مسائل، واختلافه في أخرى.

فمثلا يتفق مع الإمام ابي حنيفة في مسألة أن من سافر في معصية فيجوز له القصر كمن سافر في طاعة[٣] .

وفي مسألة عدم جواز شهادة المشرك ولو كتابيا إلا على مثله، أو على من دونه من المشركين يقول "هذا ما عندنا وعند أبي حنيفة"[٤] . ويقوي مذهب أبي حنيفة في مسألة ما المراد بالقرء هل هو الحيض، أو الطهر يقول فسر الشافعي، والسيدة عائشة، وغيرهما كمالك القرء بالطهر .. وقالت الحنفية الحيض[٥] .

قال "واحتج أبو حنيفة بحديث "طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان"[٦] فتكون عدة الحره ايضا ثلاث حيض.. قال وكلام أبي حنيفة عندي في هذا اقوى لأن حديث "عدة الأمة حيضتان" قوي حتى انه صريح، أو كالصريح فلا يقاومه المحتمل فإنا نسلم ان الطلاق في الظهر لكن نقول الحساب من الحيض والا كان طهران وصدر من الثلاثة لا ثلاثة، طهر يطلقها أوله، وطهر بعد حيضه تليه، وصدر طهر بعد حيضه ثانية لو كان يقول تخرج أول الطهر الثالث، ولا يقول بذلك الشافعي... الخ [٧] .

ويخالفه في مسألة وجوب الترتيب والموالاة في الوضوء، قال بعد أن ذكر المسالة وأدلتها :

---

(١) أخرجه مسلم ايضا في الصحيح في كتاب الحج رقم ١٢٩٧.

(٢) الهميان (٢/٤٢٠-٤٢١).

(٣) الهميان (٥/١٣٤) وانظر ابن الهمام، فتح القدير، ١/٤٠٥

(٤) الهميان (٣/٤٤٩) وانظر فتح القدير (٦/٣١، ٤١) .

(٥) ابن الهمام فتح القدير، (٣/٢٧٠).

(٦) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الطلاق، باب ما جاء في أن طلاق الأمة تطليقتان، برقم ١١٩٣، عن عائشة، وأخرجه ابن ماجه، سنن، كتاب الطلاق، (٣٠) باب في طلاق الأمة وعدتها برقم ٢٠٧٩، عن ابن عمر، ج١، ص ٦٧٢.

(٧) الهميان (٣/٢٢٦-٢٢٧).

"وفي تلك الأحاديث دلالة على الترتيب والموالاة .. لا كما قال أبو حنيفة بعدم وجوب الترتيب[١] .

ويضعف قوله في مسالة أخذ الجزية من أهل الكتاب فقال "وتؤخذ على تمام السنة من حيث قهرهم الإمام، وضربها عليهم وبهذا قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: من حينه وهو ضعيف[٢] .

ويرده في مسالة نجاسة العصب من الميتة يقول "والعصب نجس عندنا من الميتة، وزعم أبو حنيفة انه طاهر وهو باطل[٣] .

ويوافق الشافعي في مسائل منها :

١- مسألة ان طلاق المكره لا يقع يقول الشيخ عند تفسير قوله تعالى **(إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)**[النحل/١٠٦].

"ومن اكره على طلاق أو اعتاق أو بيع أو نحوه ففعل لزمه عند أبي حنيفه، ولم يلزمه عندنا وعند الشافعي وأكثر العلماء لقوله تعالى **(لا اكراه في الدين)**[البقرة/٢٥٦][٤].

ومنها تحريم بداءة المشرك بالسلام، يقول

"أما مذهبنا، ومذهب الشافعية تحريم بداءة المشرك بالسلام، ولو ذميا... "[٥]

ويوافق المالكية كما في مسألة وجوب الغسل على من أسلم من الشرك أو الارتداد يقول "مذهبنا ومذهب المالكية غير ابن عبد الحكم منهم: وجوب الغسل على من أسلم من الشرك أو من الارتداد[٦] .

٢- ومسألة وجوب غسل المرفق ودخوله قال وبه قلنا نحن ومالك[٧] ويخالفهم في مسألة أخذ الأجرة على الطاعات قال "ولزم الإنسان ألا يأخذ مالا على عمل الطاعة ولا على المعصية، وهذا مسقط عظيم تهاونت به المالكية إلا قليلا منهم، إذ أجازوا عمل

---

(١) الهميان (٣٣٨/٥) وانظر فتح القدير، (٢٣/١).

(٢) الهميان (٨٠/٢/٧) وانظر فتح القدير (٣٦٨/٤).

(٣) الهميان (٣٥١/٢/١٢)، وانظر العيني، محمود بن احمد، البناية في شرح الهداية الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠، ج١، ص ٣٧٧.

(٤) الهميان (٣٧٨/١/٩) وانظر، ابن الهمام، فتح القدير (٣٩/٣)، النووي، روضة الطالبين، ٥٤/٦ .

(٥) الهميان (٢٢٩/٢/٩) وانظر، النووي، روضة الطالبين، ٤٣١/٧-٤٣٢.

(٦) الهميان (٢٦٩/٧)، وانظر الحطاب، مواهب الجليل، ٤٥٣/١-٤٥٤.

(٧) الهميان (٣٣٣/٥) وانظر مواهب الجليل (٢٧٦/١).

الطاعات بالأجرة كالأذان والإقامة وتعليم الصبيان، وقد رددت عليهم في الشامل...[١] .

٨- **هذا وقد يخالف الشيخ مذهبه ويرجح مذهبا آخر، إذا اتضح له دليله، كما في مسالة القاتل إذا التجأ إلى الحرم عند تفسير قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا)[آل عمران/٩٧].**

ذكر الشيخ أن مذهب أبي حنيفة[٢] وأصحابنا [الاباضية] فيما إذا وجب قصاص القتل على انسان خارج الحرم، ثم التجأ إلى الحرم، أو أرتد، أو فعل موجب القتل، أنه لا يخرج منه الحق في الحرم، بل لا يطعم ولا يسقى، ولا يباع له، ولا يتكلم معه حتى يضطر إلى الخروج، ثم يستوفي منه القصاص خارج الحرم إذا خرج لهذه الآية ...

وقال الشافعي[٣] يستوفى منه الحق فيه، ولو التجأ إليه، وأحب البقاع إلى الله ما يؤدى فيه فرائض الله تعالى، وهذا أولى عندي، لأن الله جل وعلا، ذكر منته على أهل الحرم بأنهم لا يصيبهم فيه ما يصيب الناس في غيره من الظلم، وأنزل الحدود وأوجب إنفاذها، فبقي وجوب إنفاذها على عمومه من هذا الوضع وغيره، وأجمعوا أنه إذا قتل في الحرم قتل ولو فيه[٤] .

نرى أن الشيخ قد رجح في هذه المسألة مذهب الشافعي، مخالفا بذلك الاباضية وهو مثال من إنصافه وبعده عن التعصب، أما اختياره لمذهبه وتقديمه في كثير من المسائل فهذا أمر درج عليه كثير من علماء المذاهب وهو أمر طبعي اذا كان للقول المختار دليل شرعي يستند عليه أما إذا كان القول عاريا من الدليل فتقديمه على غيره هو التعصب بعينه وسبق أن رأينا أن الشيخ رحمه الله يختار القول الذي يعضده الدليل.

٩- **بقي علينا أن نذكر نموذجا من المسائل التي خالف فيها الشيخ بل الاباضية المذاهب الأخرى ومن هذه المسائل.**

---

(١) الهميان (٤٦٩/٢) وانظر مواهب الجليل ٥٣٤/٧ .

(٢) انظر ابن عابدين، رد المختار على الدر المختار ، الطبعة الأولى، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج١٠، ص ١٩٣.

(٣) انظر النووي، روضة الطالبين، ٩٢/٧.

(٤) انظر الجامع لاحكام القرآن (١٦٩/٢) قال (وأهل الفتيا يقولون ان من زنى بامرأة فله أن يتزوجها ولغيره أن يتزوجها وهو قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وعطاء وطاؤوس ومالك بن انس، وهو قول ابي حنيفة وأصحابه، وقال الشافعي القول فيها كما قال سعيد بن المسيب ان شاء الله هي منسوخه (اي اية التحريم) قال محققه الثابت عن جابر بن زيد تحريم المزني بها ممن زنى بها.

- مسألة نكاح المزنية لمن زنى بها.

ورد ذكر هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى (**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**)[النور/٣].

يرى الشيخ أن الحرمة على ظاهرها، وأن الصحيح أن المرأة الزانية ولو اشتهرت بالزنى يحل تزوجها إذا تابت وأصلحت إلا لمن زنى بها فإن الزاني لا تحل له مزنيته.

هذا هو قول جمهور الإباضية في هذه المسألة، ونسبه الشيخ إلى جابر بن زيد، وأبي عبيدة، وصالح الدهان، والربيع، ووائل، ومحبوب، وموسى بن علي، وعبد الله بن عبد العزيز، وأبي المؤثر، ومن الصحابة ابن مسعود، وعائشه، والبراء بن عازب، وعلي، وأبو هريرة، وجابر بن عبدالله، والحسن البصري، وابن سيرين من التابعين(١) وأباحت طائفة نكاحها مع التوبة والإصلاح(٢) .

وروي عن ابن عمر وابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن المسيب، والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، أنه يجوز له نكاحها بلا شرط(٣) .

ثم ناقش الشيخ أدلة هذا القول فقال : أما ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال : "أوله سفاح، وآخره نكاح" فضعيف(٤) .

وروى جابر بن عبدالله أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : إن امرأتي لا ترد يد لامس، قال: طلقها، قال: إني أحبها وهي جميلة: قال "استمتع بها" ومن رواية غيره فأمسكها إذا"(٥) .

---

(١) انظر ابن بركة، الجامع ١٢٢/٢، أبو زكريا الجناوني، كتاب النكاح ٣٩، اطفيش، شرح النيل، ٤٧/٦، بكوش ، فقه الإمام جابر بن زيد، الطبعة الاولى، دار الغرب الاسلامي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٣٩٧، القرطبي، الجامع لاحكام القرآن ١٦٩/١٢.

(٢) نسبة في المغني لعمر وابنه، وابن عباس، وجابر بن زيد، والحسن، وعكرمه، والزهري، والثوري، والشافعي، وابن المنذر وقال به النخعي، ومكحول، وعطاء، وسليمان بن يسار، وأحمد، والظاهرية والشيعة الامامية انظر ابن قدامة، المغني، ٥١٨/٧، ابن حزم- المحلى ٤٧٦/٩، القمى، من لا يحضره الفقيه ٢٥٧/٣.

(٣) الكاساني، بدائع الصنائع، ٢٦١/٢، ابن قدامه، المغني، ٥١٦/٧، ابن عابدين، رد المختار، ١٤٢/٤.

(٤) "أوله سفاح .." من كلام ابن عباس، وليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، انظر القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، (١٧٠/١٢).

(٥) الحديث أخرجه أبو داؤد، كتاب النكاح، باب النهي عن تزوج من لم يلد من النساء ، رقم ٢٠٤٩. وأخرجه النسائي في كتاب النكاح، باب تزوج الزانية، بلفظ أخبرنا محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، قال حدثنا يزيد، قال حدثنا حماد بن سلمه وغيره عن هارون بن رئاب عن عبدالله بن عبيد بن عمير، وعبد الكريم عن عبدالله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس ، عبد الكريم يرفعه إلى ابن عباس، وهارون لم يرفع قالا: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "إن عندي امرأة هي من أحب الناس إلي وهي لا تمنع يد لامس، قال طلقها، قال لا أصبر عنها، قال استمتع بها". قال ابو عبدالرحمن هذا الحديث ليس بثابت ، وعبد الكريم ليس بالقوي، وهارون بن رئاب اثبت منه وقد أرسل الحديث... ، انظر سنن النسائي بشرح السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ٦٨/٦٧/٦.

قال الشيخ: وروى هذا الحديث عن ابن عباس، ابو داؤد، والنسائي ولا دليل فيه، لأن الكلام في نكاح الزاني مزنيته، بأن يزني بها ثم يتزوجها، نعم استدل به الخازن لبعض على جواز نكاح الزاني والجواب عندنا أن هذا الحديث غير ثابت كما قال النسائي نفسه وعلى ثبوته فالأمس طالب معروف فيكون اشتكى من سخائها.

وروى عن ابن عباس في تزوج الزاني بمزنيته أن أوله سفاح وآخره نكاح" ولا حجة في ذلك لأن ذلك في مشرك زنى بمشركة ثم تزوجها في الاسلام فهو حال جائز والاسلام جب لما قبله .

وعن جابر بن زيد "من زنى بامرأة فلا يتزوجها وليجعل بينهما البحر الاخضر، وإن قدر أن لا ينظر إليها فليفعل".

وروي عنه -صلى الله عليه وسلم- "أيما رجل زنى بامرأة ثم تزوجها فهما زانيان إلى يوم القيامة"(١) وقال "لا نكاح بعد سفاح". وذكر منع الرسول عليه السلام مرتد بن ابي مرثد من زواج عناق وأن سبب نزول الآية(٢) .

خاتمة : مقارنة بمنهجه في التيسير :

قد رأيت فيما عرضته لك من نماذج اهتمام الشيخ الكبير بالجانب الفقهي وتوسعه في عرض الأقوال ومناقشتها ثم الترجيح بينها.

واذا تتبعت كتابه الثاني "التيسير" تجده لا يستطيع أن يخفي نزعته الفقهية فاكثر المسائل التي ذكرها في الهميان يذكرها في التيسير لكن بشيء من الاختصار والحذف، وقد يستغني عن بعض المسائل الفرعية التي تكون دلالة الآية عليها غير مباشرة.

فإذا أخذنا مسالة الايلاء مثلا تجد له تفصيلا في سرد الأقوال إلى الصحابة والتابعين ثم الائمة، في حين يذكرها في التيسير باختصار شديد فيقول " وان عزموا الطلاق بالتصميم على ترك الجماع حتى مضت الاربعة أشهر وقع الطلاق واحدا.. وذلك مذهب اصحابنا وأبي حنيفة وقال غيرهم من أصحاب المذاهب فاءوا ولو بعد الأربعة منهن باقيات بلا طلاق... "(٣) .

---

(١) من قول ابن مسعود انظر القرطبي، أحكام القرآن ١٢/١٧٠، المبارك كفوري تحفة الأحوذي ٩/٢٤.

(٢) الحديث اخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النور رقم الحديث ٣١٧٧، جـ٥ ، ص ٣٢٨، واخرجه ابو داؤد، كتاب النكاح باب قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية) رقم ٢٠٥١. قال ابن العربي، وحديث مرثد حسن صحيح جدا وان كان ابو عيسى قد أغربه وحسنه، انظر عارضة الاحوذي، ١٢/٤٢، انظر الهميان ١١/٢١٠ - ٢١١.

(٣) التيسير ، ١/ ٣٤٧.

وإذا قارنت هذه العبارة بما ورد في الهميان من تفصيل في نسبة الاقوال إلى الصحابة والتابعين وائمة المذاهب ترى محاولة الشيخ في اختصار التطويل الذي يشعر به القاريء للهميان.

وتجد مثل هذا صنيعه في مسألة النصاب الذي يوجب قطع يد السارق، فإذا رجعت إلى الهميان تجد تفصيلا أشبه بالموسوعات الفقهية ثم ارجع اليها في التيسير تجده يختصر ذلك في عبارات قليلة فيقول (**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**) لربع دينار وما يساويه قيمة عندنا، وعند الشافعي، ومالك، وقيل أو أقل وبسطت الأقوال في الفروع، ومنها قول ابي حنيفة عشرة دراهم، وقول الحسن بدرهم، وعن ابن الزبير، وابن عباس في القليل والكثير بلا حد وبه قال الخوارج"[١] . ومن المسائل التي ذكرها في الهميان ولم يذكرها في التيسير : مسألة القسامة عقد لها فصلا في الهميان[٢] ، ومسألة الرمل في الطواف وحكمه[٣] ، ومسألة وقت النحر وكيفيته[٤] .

---

(١) التيسير ٣/٨٨.

(٢) الهميان ٢/١١٣ – ١١٩.

(٣) المصدر نفسه ١١/٤٤.

(٤) المصدر نفسه ١١/٥٦.

وللمزيد من المقارنة انظر :

– مباحث فقهية في أحكام الميته الهميان ٢/٤٥٧–٤٦٦، يشير إليها في التيسير باختصار ١/٢٤١:

– حكم السعي بين الصفا والمروة الهميان ٢/٤١٧–٤٢٢، يشير إليها في التيسير ١/٢٢٢.

– حكم العمرة الهميان ٣/٨٤–٩١ ، التيسير ١/٢٨٨.

الفصل السابع
الاسرائيليات في تفسيره

تمهيد :

الإسرائيليات : جمع إسرائيلية نسبة إلى بني أسرائيل، وهي تلك القصص والأحداث التي لا أصل لها إلا الخيال، ولعل بدايتها كانت من اليهود، ثم نسب اليهم كل ما كان مكذوبا من القصص تغليبا وإن كان من غيرهم، ومن عادة النفس دائما الرغبة في اكتشاف المجهول، ولما كان القرآن الكريم قد سكت عن كثير من المبهمات، وألمح إلى قصص عديدة دون أن يفصل فيها القول، وجد اليهود ضالتهم ووجد القصاص مادتهم، مع اختلاف في النية، فنسجوا حولها من وحي خيالهم الكاذب ما تقشعر منه الأبدان، وينفر منه ذوي العقول السلمية.

وقد وجدت هذه القصص طريقا إلى قلوب العامة والخاصة، وتساهل في نقلها المفسرون إلا القليل منهم، وما كان ينبغي لهم ذلك، بل كان الأجدر بهم أن يطبقوا عليها قواعد الرواية والتحديث، حتى استفحل أمرها، وعظم خطرها فانبرى لها مجموعة من المحققين والنقاد يكشفون عوارها، وبقي الكثير منهم على حسن ظنه فملأ وا بها مصنفاتهم ومن هؤلاء :

الشيخ اطفيش – رحمه الله – في كتابه الهميان.

ان القارئ لتفسير الهميان ليعجب أشد العجب من صنيع الشيخ، فهو لا يكاد يغادر صغيره ولا كبيرة مما سطره خيال الثعلبي في عرائسه إلا أحصاها، وزاد على ذلك ما نقله بعض المفسرين كالخازن من إسرائيليات، فقد جمع فأوعى دون تمييز، أو تعقيب إلا إن كان في القصة مساس بعصمة نبي، أو ملك، فقلما يسكت عنها.

وسأتحدث في هذا الفصل عن النقاط التالية :

١– المبهمات والقصص التي ليس لها صلة بالعقيدة.

٢– القصص ذات الصلة بالعقيدة والتي لم يعقب عليها.

٣– القصص التي تناولها بالنقد والتعقيب.

٤– ثم خاتمة تكون للمقارنة بما ورد في تيسير التفسير.

المبحث الأول

المبهمات

يهتم الشيخ -رحمه الله- بذكر أشياء أبهمها القرآن لأسباب ذكر بعضها السيوطي في الاتقان[١] من ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالي **(ولا تقربا هذه الشجرة)** [البقرة/٣٥]

استعرض الشيخ الأقوال في نوع الشجرة التي أكل منها آدم فقال : "والشجرة : شجرة القمح، ونسب هذا القول لابن عباس، وابن مسعود، وقتادة، وقيل شجرة التين، وقيل شجرة الكافور، ونسب لعلي بي ابي طالب، وقيل شجرة الحناء، .... ، وقيل شجرة العظلم"، ثم عقب على ذلك بقوله : "والظاهر أن الصحابة لا يقولون فيها عن رأيهم، وإن ما روى عنهم موقوفا بمنزلة المرفوع إذا صح السند"[٢]

وقد نقل الإمام الطبري هذه الأقوال بسنده ثم عقب على ذلك بقوله "فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم، وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله تعالى، ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على اليقين، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة، فأنى يأتي ذلك ؟ وقد قيل : كانت شجرة البر، وقيل كانت شجرة العنب، وقيل كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به"[٣] .

وقال ابن كثير بعد أن نقل كلام الطبري : و"هو الصواب"[٤] .ولو صح عند الإمام الطبري شيء لما قال ما قال.

ويذكر إسم الذي مر على قرية قال : هو عزير بن شرحيا عند قتادة، وعكرمة، والسدي، وقال وهب بن منبه : هو أرميا، وقال ابن اسحاق: أرميا هو الخضر، وقيل رجل كافر بالبعث وعليه أكثر المفسرين...

---

(١) انظر السيوطي، الاتقان ٢/١٤٥.

(٢) الهميان (١/٤٥٩) وانظر التيسير ١/٥٧، وسيأتي أنه لم يصح شيء في ذلك.

(٣) الطبري، جامع البيان ١/٢٧٠-٢٧١.

(٤) ابن كثير، تفسير (١/٧٧).

أما القرية فهي قرية بيت المقدس .. وقيل قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقيل قرية المؤتفكات[١] .

ومن المبهمات التي لم يرد بها خبر صحيح أسماء الطيور التي أمر ابراهيم عليه السلام بذبحها، قال الشيخ : "هن طاووس، وديك، وغراب، وحمامة وروي النسر بدل الحمامة، او بدل الغراب[٢]

واسم الذي انسلخ من آيات الله بلعام بن باعور، وقيل أمية بن ابي الصلت[٣] .

وعند تفسير قوله تعالى **(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا)** [المائدة /٢٧]، ذكر الشيخ أن قربان قابيل صرة قمح رديء، وأن قربان هابيل كبشا حسنا[٤] .

ويذكر الشيخ رحمه الله أن عدد الذين كانوا مع نوح في السفينة أربعون رجلا، وأربعون أمرأة عند ابن عباس، وقيل تسعة بنوه سام، وحام، ويافث، وستة آمنوا به، وقال اسحاق عشرة رجال، وقال الأعمش سبعة بنوح، وقال مقاتل: اثنان وسبعون رجلا وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم، فذلك ثمانية وسبعون وقال قتادة لم يكن في السفينة إلا نوح، وأمرأته، وبنوه الثلاثة ونساؤهم فذلك ثمانية...[٥]

وغير هذا كثير كأسماء أخوة يوسف، وأصحاب الكهف، وصاحبي السجن الساقي، وصاحب طعام الملك[٦]

كما يستطرد الشيخ في ذكره قصص غريبة وأخبار عجيبة، دون ان يعقب عليها بشيء، ولا يشك القارئ أنها من أصل إسرائيلي ومن هذه القصص : قصة آدم عليه السلام، وأكله من الشجرة، ثم نزوله إلى الأرض واستغرقت خمسا وعشرين صفحة[٧] .

قصة فلق البحر لموسى وغرق فرعون[٨]

---

(١) الهميان (٣/٣٦٩-٣٧٠)، ابن كثير (١/٢٩٧).

(٢) المصدر نفسه (٣/٣٨٣).
قال ابن كثير : "اختلف المفسرون في هذه الأربعة ما هي، وإن كان لا طائل تحت تعيينها إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن" (١/٢٩٨).

(٣) الهميان (٧/١/٦٠،٦١).

(٤) المصدر نفسه ٥/٤٠٣.

(٥) المصدر نفسه ٦/٢/١٢٧-١٢٨.

(٦) الهميان (٨/٢/١٤٤).

(٧) المصدر نفسه (١/٤٠٩/٤٨٤).

(٨) المصدر نفسه (٢/٣١-٣٤).

قصة البقرة التي أمر بنو اسرائيل بذبحها[١]

قصة طالوت، وداؤد عليه السلام وقتله لجالوت[٢]

خبر خروج موسى إلى الشام[٣]

قصة زواج يوسف عليه السلام من زليخا[٤]

قصة أصحاب الكهف[٥]

قصة أيوب عليه السلام[٦]

قصة يونس عليه السلام[٧]

وقصص أخرى غريبة ونظرا لطول هذه القصص اكتفي بالإ حاله عليها، وهي ظاهرة واضحة في هذا التفسير، يستطيع القارىء أن يلحظها بمجرد تصفحه للتفسير دون عناء بحث.

المبحث الثاني

القصص التي لها صلة بالعقيدة

أولا : القصص التي لم يتعقب عليها.

وهذه القصص وإن كانت خيالية ولا دليل عليها إلا أنها لا تمس جوهر العقيدة أما القصص الإسرائيلية التي تمس العقيدة مسا مباشرا والتي ذكرها الشيخ -رحمه الله- ولم يتعقبها بشيء فمن الأمثلة عليها قصة أكل آدم عليه السلام من الشجرة وإغواء الشيطان له.

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى (**فأزلهما الشيطان عنها**) [البقرة /٣٦] "....وروى أنه (أي الشيطان) أراد الدخول فمنعته الخزنة، فدخل في فم الحية، فدخلت به وهم لا يشعرون، وكان لها أربع قوائم كقوائم البعير من أحسن الدواب، وكانت من خزان

---

(١) المصدر نفسه (٢/١٠٧-١١١).

(٢) المصدر نفسه (٣/٣١٢-٣٢٤)،(٣/٣٣٤-٣٤٠).

(٣) المصدر نفسه (٦/٢/١٢٩)

(٤) المصدر نفسه (٨/٢/١٦٤-١٦٨).

(٥) المصدر نفسه (١٠/١/٥٥-٨٩).

(٦) المصدر نفسه (١٠/٢/٢٣٢-٢٥١).

(٧) المصدر نفسه (١٠/٢/٢٥١-٢٥٩).

الجنة قيل، وسم أنيابها من مكث إبليس في فيها، ومسخها الله -عزل وجل- لذلك ورد قوائمها في بطنها...

وذكر الشيخ قولا آخر مفاده أن أبليس حسد آدم لما سمع بدخوله الجنة فاحتال في إخراجه، فوقف على باب الجنة ثلاثمائة سنة حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها، وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة، فبينما هو كذلك إذ خرج الطاووس، فلما رآه ابليس قال : أيها الخلق الكريم على الله من أنت ؟ وما أسمك ؟ فما رأيت من خلق الله تعالى أحسن منك. قال أنا طائر من طيور الجنة أسمي طاووس، فقال له أبليس : أنا من الملائكة الكروبيين، وجعل يبكي، فقال له الطاووس : ما يبكيك ؟ قال: إنما بكيت على ما يفوتك من حسنك وجمالك، قال له الطاووس: أيفوتني ما أنا فيه؟ قال: نعم، فإنك تفنى وتبيد، وكل الخلائق يبيدون إلا من تناول من شجرة الخلد، ثم إن إبليس أقنع الطاووس بأن يدخله الجنة حتى يدله على شجرة الخلد، فاعتذر الطاووس لمكان رضوان فإنه لا يدخل أحد الجنة إلا بإذنه، ولكنه دله على الحية[١] فانظر كيف سكت الشيخ -رحمه الله- عن مثل هذا الخبر الذي لا يشك عاقل أنه مكذوب.

قال الإمام الفخر الرازي معقبا على هذه القصة : "وأعلم أن هذا وأمثاله مما يجب أن لا يلتفت إليه، لأن أبليس لو قدر على الدخول في فم الحية فلم لم يقدر على أن يجعل نفسه حية، ثم يدخل الجنة، ولأنه لما فعل ذلك بالحية فلم عوقبت الحية مع أنها ليست بعاقلة ولا مكلفة"[٢]

وقال ابن كثير "يرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات والله أعلم بصحتها"[٣]

ومما قاله السيد رشيد رضا في تعليق على القصة عند تفسيره قوله تعالي **(فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما)** [الأعراف/٢٠]

قال "وقد صرح النصارى منهم بأن أبليس دخل في الحية وتوسل بها إلى إغواء حواء، ونقل عنهم المسلمون ما نقلوا في ذلك، ونحن لا نعتقد بما يخالف ما في القرآن وصحيح ما في السنة من ذلك.

---

(١) الهميان (٤٦٣/١-٤٦٥) وانظر القصة في التيسير مختصرة ٤٨/١.

(٢) الروازي، مفاتيح الغيب (١٥/٣).

(٣) ابن كثير، تفسير (١٩٨/٢).

إذا علمت هذا فلا يغرنك شيء مما روى في التفسير المأثور في تفصيل هذه القصة فأكثره لا يصح، وهو أيضا مأخوذ من تلك الإسرائيليات المأخوذة عن زنادقة اليهود الذين دخلوا في الإسلام للكيد له، وكذا الذين لم يدخلوا فيه.(١)

وكفى بما قاله هؤلاء الأعلام لرد مثل هذه الأكاذيب، والترهات وإنه ليؤسفنا حقا أن نرى مثل الإمام القطب -رحمه الله- وهو من هو في النقد والتحري والتحقيق، يسود بها صفحات كتابه دون أن يتعقبها بشيء.

وعجيب من مثله -رحمه الله-، أن تجد بعض النظريات المختلفة المأفوكة، طريقا إلى فكره وقلمه، دون أن يلفظها بحر علمه، ويرفضها عميق نظره.

فعند تفسير قوله تعالى **(له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى)** [طه/٦]

ينقل الشيخ رحمه الله النظرية القائلة إن الأرضين على ظهر ثور، والثور على بحر، ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء، اخضرت السماء بها، وهي المذكورة في سورة لقمان، والصخرة على الثرى، ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله، ويوم القيامة يسيل البحر في جوف الثور"(٢)

ولا يكفي أن ينقلها الشيخ بصيغة التمريض (قيل)، بل كان الأولى أن يضرب عن مثلها صفحا، فهذه وأمثالها لا تساوي قيمة الحبر الذي تكتب به.

ومما يجعلني أشد عجبا ودهشة أن يقر الشيخ -رحمه الله- تلك القصة المفتراه، والتي دسها أعداء الله ورسله بين المسلمين، موجهين بذلك ضربة مسمومة إلى صميم هذا الدين، والعجب كيف ساغت هذه الفرية على كثير من المفسرين فتناقلوها في تفاسيرهم دون نقد او تعقيب.

هذه الفرية القائلة أن الرسول -صلي الله عليه وسلم- حين رأى زينب فأعجبته.

فقد أورد الشيخ رحمه الله عند تفسير قوله تعالى **(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك، واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه)** [الاحزاب/٣٧]

---

(١) رشيد رضا، تفسير المنار (٨/٣٥٦).

(٢) الهميان (١٠/٢/١٢)، ورد الشيخ هذ المقولة في التيسير ونسبها لليهود، انظر التيسير ١٢/٤١٥.

ذكر الشيخ "أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما زوجها من زيد ومكثت عنده حينا، أتى زيدا يوما لحاجة، فأبصرها في درع وخمار، وهي بيضاء جميلة من أتم نساء قريش، فوقعت في نفسه، وأعجبه حسنها فقال :(سبحان مقلب القلوب)، فلما جاء زيد ذكرت له ما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ففطن لذلك، وألقى الله كراهتها في قلبه في الوقت، فذهب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له (مالك أرابك منها شيء؟) قال : لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيرا، ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمسك عليك زوجك) ... فإن قلت كيف رآها رسول الله حتى أعجبته، قلت هي رؤية فجأة لم يتعمدها لسوء حاشاه وبتلك الرؤية الفجائية حصل في قلبه استحسانها وأعجبته...[١]

قال العلامة ابن العربي بعد أن تحدث عن مكانته صلى الله عليه وسلم السامية، وعصمته من صغائر الذنوب وكبائرها .. قال "وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد، إنما الصحيح منها ما روى عن عائشة أنها قالت : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - كاتما من الوحي شيئا لكتم هذه الآية **(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه)** يعني بالإسلام **(وأنعمت عليه)** يعني بالعتق-فأعتقته : **(أمسك عليك زوجك .. إلى قوله (وكان أمر الله مفعولا)**..

وإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما تزوجها قالوا : تزوج حليلة ابنه، فأنزل الله **(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم)** [الأحزاب/٤٠].

قال القاضي : وما وراء هذه الرواية فغير معتبر، فأما قولهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم رآها فوقعت في قلبه فباطل، فإنه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها، ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، وقد وهبته نفسها، وكرهت غيره، فلم تخطر بباله، فكيف يتجدد له هوى لم يكن، حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة ...

ثم يبين ابن العربي أن الذي كتمه الرسول عليه السلام هو ما أخبره به جبريل أن زينب زوجك...[٢]

والعجيب أن يذكر الإمام الطبري هذه القصة بأسانيده ولم يعقب عليها بشيء[٣]

---

(١) الهميان (٩٢/٢/١٢).

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن، ٥٧٧/٣-٥٧٨.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان (٣٠٢/١٠).

قال ابن كثير عند تفسير الآية "ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها(١)

وقد جعلها العلامة الألوسي من كلام القصاص حيث قال "وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، ثم ساق ما يشابه القصة المذكورة(٢)

ثانيا : القصص التي عقب عليها.

وفي مقابل هذا فإن الشيخ يعقب على كثير من الإسرائيليات، التي تمس عصمة نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة كما فعل عند تفسير قوله تعالى **(ولقد همت به وهم بها)** [يوسف/٢٤].

يرد الشيخ ما نسب إلى نبي الله يوسف من الهم بالفاحشة -حاشاه- فيقول : "وروي أنها همت به حتى اضطجعت له، وهم بها حتى حل سراويله، قلت : هذا لا يصح في جنبه، وأما الأول فإن كان هم عزم فالواجب أن ننزهه عنه، وإن كان هم طبع ضروريا، فلا أشكال بمدافعته يقوى الأجر له لشدة مكابدته بالدفع، ولا وزر في الهم ما لم توطن عليه النفس وإن وطنت ولم تعمل كتبت عليها خطيئة الهم، وهي أدنى من خطيئة العمل ....

قال عياض : والصحيح تنزيههم قبل النبوة أيضا من كل عيب ، قيل : لو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من المخلصين، وقيل هم بضربها ودفعها، وقيل: بالنظر اليها، وهذا أيضا لا يجوز أن يعتقد فيه...

قال في زهر الاكمام : ليس كما يقول القصاص، والمكذبون، والمتشدقون أنه حل العقد، وهم بها حتى صرفه الله عز وجل بالبرهان.

وقد زعموا عن ابن عباس : أنه حل العقد، وقعد بين شعبها الأربع مستلقية على قفاها، إن ذلك قبل النبوة غير قادح، وذلك زعم باطل، وكذب. وعن إبن عباس، عن مجاهد: حل سراويله، وجعل يعالج ثيابه.. وذلك كذب وضع على مجاهد.

قال الفخر وعن الضحاك جرى الشيطان بينهما وضرب بيده إلى عنق المرأة حتى جمع بينهما، وهذا ضعيف لا يعتقد.(٣)

---

(١) ابن كثير، تفسير (٣/٤٧٤).

(٢) الألوسي، روح المعاني، ج٢٢/ ص٢٤-٢٥.

(٣) الهميان (٨/٢/٨١-٨٢).

وقد رد هذه القصة المحققون من العلماء كالقاضي ابن العربي، والفخر الرازي، والعلامة الزمخشري، وأبو حيان، وأبو السعود، والألوسي، والسيد رشيد رضا . وانقل لك بعض ما قالوه :

قال العلامة ابن العربي عند تفسير الآية بعد ذكره ما قاله المفسرون في القصة "فإن قيل: فقد قال الله (ولقد همت به وهم بها) قلنا : قد تقصينا عن ذلك في كتاب الأنبياء من شرح المشكلين، وبينا أن الله سبحانه ما أخبر أنه أتى في جانب القصة فعلا بجارحه، وإنما الذي كان منه الهم، وهو فعل القلب، فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثا، ويقولون فعل، وفعل ؟ والله إنما قال : هم بها، لا أقالهم ولا أقاتهم الله ولا عالهم[١]

وقال الإمام الزمخشري معقبا على القصة : "وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه، وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل، ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه، وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته، وعلى داوود وعلى نوح، وعلى أيوب، وعلى ذي النون، وذكرت توبتهم واستغفارهم، كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصا، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم، ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء .. فأخرس الله اولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين، ليقتدي بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية، وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات، ويصاح به من عنده ثلاث صيحات، بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم .. وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل، ولا ينتهي، ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل، ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة، وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا ما بقى له عرق ينبض، ولا عضو يتحرك، فياله من مذهب ما أفحشه، ومن ضلال ما أبينه[٢] .

قال الفخر الرازي من كلام طويل "... ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى افسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه، فكيف يجوز اسنادها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ...."[٣]

---

(١) ابن العربي، أحكام القرآن، ٣/٤٧.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٣/٧١.

(٣) ابو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤/٢٦٧.

ثم استمر في تفنيدها بحجج عقلية ونقلية وبمثل ما قالاه قال أبو حيان[١] وأبو السعود[٢] والالوسي[٣] والسيد رشيد رضا في المنار[٤]

ومن الإسرائيليات التي ردها الشيخ قصة الملكين هاروت وماروت، وحاصلها أنهما افتتنا بامرأة بعد أن أنزلهما الله إلى الأرض، فزينا بها، بعد أن شربا الخمر، وقتلا نفسا، ثم إن الله خيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما متعلقان بشعورهما إلى قيام الساعة، أما المرأة فقد مسخها الله كوكبا وهي الزهرة".

ثم عقب الشيخ بما نقله عن القاضي البيضاوي، والقاضي عياض، وابن عرفه والفخر الرازي، ان ما يروي في ذلك من مراودتها المرأة، وشرب الخمر، وقتل النفس، والصلاة للصنم، غير صحيح عنه -صلى الله عليه وسلم- ولا عن علي، وابن عباس، وغيرهما، من الصحابة، بل كذب عنهم، وإنما ذلك من أخبار اليهود وكتبهم، وانكر الكثير من السلف ذلك أيضا.

ويذكر الشيخ -رحمه الله- أن مذهب المحققين منا ومن غيرنا أن الملائكة معصومون على الاطلاق من الصغائر والكبائر، وزعمت طائفة أنهم غير معصومين، محتجين بقصة هاروت وماروت، فنجيب بأنها لم تصح كما مر آنفا، وإنها من اليهود، وهم كاذبون على أنبيائهم وغيرهم...[٥]

واختتم هنا بموقف الشيخ مما نسج حول نبي الله داود، وولده سليمان من أساطير.

ذكر الشيخ ما نقله جماعة من المفسرين من أن نبي الله داؤد تمنى منزلة آبائه فابتلاه الله، فبينما هو في محرابه يوما جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فأعجبته، فمد يده إليها فطارت فاتبعها بصره، فأبصر إمرأة في بستان على شط بركة تغتسل، فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها، فأعجبه حسنها فسأل عنها فقيل له إمرأة فلان فأمر به فبعث إلى القتال فسلم في المرة الأولى والثانية ثم قتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها تزوجها وولدت سليمان.

قال الشيخ -رحمه الله- "وذلك كله افتراء يجب تنزيه داؤد عنه وإنما أثبته الأحباريون من أهل الكتاب ونقله بعض المفسرين، ولا يلتفت إليه ... ولو نسب ذلك إلى

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب ١٨/٩٢-٩٧.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ٥/٢٩٤.

(٣) الالوسي، روح المعاني، ١٢/٢١٤-٢٨٦.

(٤) رشيد رضا، تفسير المنار ١٦/٦٨-٦٩.

(٥) الهميان (٢/٢٠٩)، وانظر التيسير (١/١٤١).

واحد من الناس لاستنكف منه، فكيف بأمين لله نبي، ولا دليل عليه في الكتاب ولا في السنة، وقد أثنى الله على داؤد قبل هذه القصة وبعدها، فكيف يذمه بين مدحه، ولو جرى هذا في كلام أحد لاستهجنه العقلاء، فكيف يقع في كلام الله؟![1]

أما ما نسب إلى نبي الله سليمان فقد ذكره الشيخ عند تفسير قوله تعالى: **(ولقد فتنا سليمان)**[ص /٣٤].

ذكر الشيخ القصة المكذوبة أن سليمان عليه السلام ولد له ولد فخاف عليه فأمر الملائكة فرفعوه في السحاب ...

وأنه تزوج من بنت ملك يقال لها جرادة بعد أن قتل أبوها ثم صور لها صورته على هيئة تمثال فظلت تعبده دون علم سليمان وأنه كان إذا أراد الخلاء وضع خاتمه وكان فيه ملكه عند خادمه فتمثل لها شيطان يقال له صخر، فأخذه منها فتختم به وجلس مكان سليمان، وصار يدخل على نسائه ويعاشرهن ... إلى أخر ما في القصة من اساطير.

ثم يعقب الشيخ رحمه الله فيقول : "قال الحسن : لا يسلط الله الشيطان على نساء نبيه وكذا قال المحققون لا يقدر الشيطان على التصرف في ملكه ونسائه، وإنما اثبت ذلك اليهود[2]

وما ذكرناه ما هو إلا نموذج لقصص كثيرة، أوردها الشيخ في تفسيره حتى غدت سمة بارزة لهذا التفسير عرضته لنقد الباحثين من جهة، وكانت سببا لعزوف القراء عنه من جهة أخرى.

---

(١) الهميان (١٣/٢٤-٢٥).

(٢) الهميان (١٣/٣٩) ، وانظر التيسير (١/١٤٠).

خاتمة : مقارنة بالتيسير.

بعد أن تتبعنا موقف الشيخ من القصص الاسرائيلي في كتابة الهميان ورأينا أنه ملأ تفسيره بالكثير منها يمكننا أن نلتمس له عذرا في ذلك.

أولا : أنه ألف كتابه الهميان من صغر السن ويلاحظ أن أكثر همه الجمع لا التحقيق.

ثانيا : أن قصده من ذكر هذه القصص ليستريح إليها القارئ ولا شك أنه يعلم أن فيها الضعيف والمكذوب حتى أنه صدر كتاب المعجزات* بقول القائل :

وليعلم الطالب أن السيرا تجمع ما صح وما قد أنكرا.

ثالثا : أن الشيخ أهدى كتابه الهميان إلى سلطان زنجبار وهو مازال مسودة لم يحرره بعد مما جعل الشيخ يندم على انتشار الكتاب وتمنى لو استطاع جمع نسخه وأنى له ذلك، وقد كنا نأمل من الشيخ والحال هذه أن يخرج تفسيره الآخر "التيسير" خاليا تماما مما ورد في التفسير الأول من قصص لكنه وإن حذف كثيرا مما نقله عن عرائس المجالس فقد أبقى على عدد منها.

فمن القصص التي تكررت من التيسير مع اختصار شديد ودون نقد قصة وسوسه إبليس إلى آدم عليه السلام ودور الحية والطاووس(١)، وقصة تصرف الشيطان في ملك سليمان بعد أن قبض على خاتمة(٢) ، وقصة الرسول عليه السلام مع زينب رضي الله عنها(٣) ومن القصص التي فندها، قصة الملكين هاروت وماروت(٤) ، وقصة يوسف مع زليخا(٥) وقصة الغرانيق(٦) ، وخرافة أن الأرض على قرن ثور(٧) ، هذه هي الإسرائيليات في تفسيري الشيخ وإن كنا نود أنه لم يذكرها، ولكنها لا تنقص من القيمة العلمية لهذين التفسيرين.

---

* كتاب السيرة الجامعة في المعجزات اللامعة، للمؤلف تحدث فيه عن معجزات النبي عليه السلام. (مطبوع)

(١) انظر التيسير (٤٨/١).

(٢) المصدر نفسه (١٤٠/١).

(٣) المصدر نفسه (٢٦٣/١٠-٢٦٤).

(٤) المصدر نفسه (١٤١/١).

(٥) المصدر نفسه (١١٠/٦).

(٦) المصدر نفسه (٤٣٨/٨).

(٧) المصدر نفسه (٤١٥/١٢).

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا وبعد ،،،

فإن التفسير الذي بين أيدينا- رغم أن الشيخ -رحمه الله- قد كتبه في صغر سنه، إلا أنه ينم عن علم غزير، واطلاع واسع، وثقافة عريضة بفنون كثيرة وربما يؤخذ عليه بعض الملاحظات منها :

- توسعه في مباحث لا علاقة لها بالتفسير كالمباحث اللغوية، ومباحث في القراءات وعلوم القرآن، والأحاديث الكثيرة التي يوردها في الموضوع الواحد.. وما إلى ذلك.
- توسعه الكبير في نقل القصص العجيبة والإسرائيليات المفتراه، التي يشين وجودها الكتاب.
- ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور خاصة، دون أن يعقب عليها بشيء.

والحاصل أن ما يميز هذا التفسر كثرة النقل دون تمحيص في الغالب، ولعل استعجال الشيخ في إخراج الكتاب، ودفع مسودته إلى المطبعة دون مراجعة هما السبب في ذلك، ومن العجيب جدا أن الظروف السياسية الاستعمارية التي عاشها الشيخ لم تكن ظاهرة في كتابه ، اللهم إلا ما كان من دعائه على النصارى عقب كل سورة أما في تفسير الآيات فلا تجد ذلك واضحا.

ولاحظت ايضا عند المقارنة بين التيسير والهميان، أن التيسير وإن كان الشيخ قد أنشأه انشاءا جديدا إلا أنه يوجد قدر من التوافق في المعلومات الواردة في التفسيرين خاصة في المأثور، وفي أسباب النزول وفي الجانب الفقهي، مع حذف واختصار في الثاني مما يعني أن الشيخ قد أخذ من تفسيره الأول، وبعض الإحالات تدل على ذلك.

وكل ذلك النقل لا ينقص من قيمة هذا التفسير، فقد بحث الشيخ فيه كثيرا من مسائل اللغة وبرز في الناحية الإعرابية مستوعبا أكثر وجوه الاعراب في الألفاظ كما بحث كثيرا من مسائل الفقه بحثا موضوعيا خاليا من التعصب، يقرن القول بدليله ثم يختار الدليل الأقوى، أما القضايا العقدية فإن الشيخ ينطلق من قاعدة التنزيه المطلق لله سبحانه، ولذلك فهو يدافع عنها جهده وما العنف الذي تراه في بعض الأحيان القليلة، إلا ردة فعل لعنف مضاد نسأل الله أن يعفو عن الجميع وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

المراجع

- اطفيش محمد بن يوسف، شرح النيل وشفاء العليل، الطبعة الثالثة، مكتبة الارشاد، جده ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- اطفيش محمد بن يوسف، الذهب الخالص، المنوه بالعلم القالص. علق عليه أبو اسحاق ابراهيم اطفيش، المطابع العالميه، روي، سلطنة عمان.
- أغوشت بكير بن سعيد، قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش، حياته وآثاره الفكرية، وجهاده، مطابع دار الهلال بيروت، الناشر مكتبة الضامري، سلطنة عمان.
- الألباني محمد ناصر الدين، صحيح سنن ابن ماجه، الطبعة الأولى، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م الألوسي: شهاب الدين محمود.
- الألوسي : شهاب الدين محمود، روح المعاني، الطبعة الرابعة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الآمدي : سيف الدين علي الأمدي ت ٦٣١هـ،

  غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- الانصاري، جمال الدين ابن هشام، مغنى اللبيب، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة.
- الانصاري: زكريا، شرح روضة الطالب، المكتبة الاسلامية.
- الباقلاني: القاضي أبو بكر بن الطيب ت ٤٠٣هـ، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- البنا : أحمد بن عبد الغني، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، صححه علي محمد الصباغ ، دار الندوة الجديدة، بيروت.
- البياضي: كمال الدين أحمد، إشارات المرام من عبارات الإمام، الطبعة الأولى، حققه يوسف عبد الرزاق، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

- البيجوري : ابراهيم بن محمد،
تحفة المريد على جوهرة التوحيد، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- البيجوري : ابراهيم بن محمد، شرح جوهرة التوحيد، تحقيق أحمد محمد أديب الكيلاني، عبد الكريم نتان.
- البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- البيهقي ، أحمد بن الحسين،
الأسماء والصفات، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مطبعة السعادة، مصر.
- البيهقي ، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٣٥٢هـ .
- التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر،
شرح المقاصد، الطبعة الأولى، تحقيق عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر، شرح العقائد النسفية، الطبعة الأولى، تحقيق أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، الطبعة الأولى، حققه عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، حققه على النجدي ناصف وآخرون المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي
زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الأولى، حققه محمد عبد الرحمن عبد الله، خرج أحاديثه السعيد زغلول، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ، دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، الطبعة الثالثة، تحقيق حسن السقاف دار الإمام النووي، عمان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ، الموضوعات، دار الفكر.

- الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الثالثة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الجويني عبد الملك بن عبدالله بن يوسف ت ٤٧٨هـ.

الشامل في أصول الدين، حققه : فيصل بدير عون، سهير مختار، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٩م.

- الجويني عبد الملك بن عبدالله بن يوسف ت ٤٧٨هـ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في اصول الاعتقاد، حققه محمد بن يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
- الحطاب، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن.

مواهب الجليل، شرح مختصر خليل، الطبعة الأولى، ضبطه وخرج احاديثه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- الحطاب، ابو عبدالله محمد بن عبد الرحمن، مواهب الجليل، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- أبو حسان : جمال محمود أحمد، تفسير ابن عاشور، دراسة منهجية ونقدية، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا الجامعة الاردنية، عمان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، الطبعة الأولى، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الخفاجي : الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، دار صادر، بيروت.
- الخليلي، الشيخ أحمد بن حمد، الحق الدامغ، مطابع النهضة، روي، سلطنة عمان، ١٤٠٩هـ.
- الخواجا محمد مصطفى درويش، منهج الشيخ محمد بن يوسف اطفيش في تفسيره تيسير التفسير، رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٤م.
- الداني: أبو عمرو عثمان بن سعيد، التيسير في القراءات السبع، الطبعة الثانية، عني بتصحيحه، أوتويرتزل دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- أبو داؤد: سليمان بن الأشعث، سنن ابي داؤد، الطبعة الأولى ، تعليق عزت الدعاس وآخر، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- الدسوقي: محمد بن عرفه، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، طبعه عيسى بابي الحلبي، مصر.
- أبو دقيقه : محمود، القول السديد في علم التوحيد، دار الطباعة الحديثة، مصر، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
- الدوري : قحطان ، أصول الدين الاسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- الديلمي : شهرويه بن شهريار ت ٥٠٩هـ، فردوس الأخبار، الطبعة الأولى، حبققه فواز الزمرلي وآخر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الذهبي محمد حسين، التفسير والمفسرون، الطبعة الثانية، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- الراشدي: مبارك بن عبدالله، الإمام ابو عبيدة وفقهه، الطبعة الأولى، مطابع الوفاء، المنصورة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- الرغب الاصفهاني: الحسين بن محمد ت ٤٢٥هـ، مفردات الفاظ القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق عدنان داؤودي، دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- رشيد رضا : تفسير المنار، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.
- زاده : محيي الدين شيخ زادة، حاشية علي البيضاوي، دار صادر بيروت.
- الزجاج : ابراهيم بن السري ت ٣١١هـ، معاني القرآن وإعرابه، الطبعة الأولى، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، ت ٧٩٤هـ، البرهان في علم القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق يوسف مرعشلي، جمال الذهبي ابراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- أبو زهرة محمد، الامام الشافعي حياته، وعصره، وآراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة.
- السالمي، عبد الله بن حميد، مشارق أنوار العقول، الطبعة الثانية، تعليق سماحة الشيخ أحمد الخليلي، سلطنة عمان.
- السخاوي: محمد عبد الرحمن ٩٠٢هـ، المقاصد الحسنه في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، صححه عبد الله محمد الصديق مكتبة الخانجي، مصر.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، بحر العلوم، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الطبعة الأولى، تحقيق د/أحمد الخراط دار القلم، دمشق، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن.

  الاتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣م.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- شربجي محمد يوسف، تحقيق الجزء الأول إلى نهاية البقرة من كتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل للمهدوي ، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- الشماخي، عامر بن علي- الايضاح، وزارة التراث القومي.
- الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الاشموني، دار الفكر.
- الطبري : محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ابن عابدين محمد أمين، رد المختار على الدر المختار، الطبعة الأولى، تحقيق عادي عبد الموجود، علي معوض دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- عباس حسن، النحو الوافي، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر.
- العبري: سعيد بن عبدالله، فقه الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- ابو عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١٠هـ ، مجاز القرآن، الطبعة الأولى، علق عليه فؤاد سزكين، مكتبة الجانحي، مصر، ١٩٥٤م.
- العجلوني: اسماعيل بن محمد ت ١١٦٢هـ ، كشف الخفا ومزيل الالباس لما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الاباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش. مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عمان.
- ابن العربي: ابو بكر محمد بن عبدالله ت ٥٤٣هـ.

  أحكام القرآن، الطبعة الأولى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن العربي، عارضة الأحوذي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن العربي ، الناسخ والمنسوخ، تحقي د/عبدالكريم المدعري، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- العسقلاني : أحمد بن حجر :

  فتح الباري : شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، رقم أحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي راجعه محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- العسقلاني : أحمد بن حجر : إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي، الطبعة الأولى، حققه د/زهير الناصر دار ابن كثير، دار القلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- العسقلاني : أحمد بن حجر : تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- العسكري أبو هلال، الفروق اللغوية، ضبطه وحققه حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن عطية عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، تحقيق عبدالله الأنصاري طبع على نفقة امير قطر، الدوحة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، إملاء ما من به الرحمن، تحقيق ابراهيم عطوه، دار الحديث، القاهرة.
- أبو علبه عبد الرحيم فارس، اسباب نزول القرآن ، الوكالة العربية للتوزيع.
- علواني محمد عكي، الشيخ محمد اطفيش ومنهجيته في تفسيره التيسير، رسالة ماجستير، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، البناية في شرح الهداية، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٤١١ه//١٩٩٠م.
- الفراهيدي، الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح، الطبعة الأولى، خرج أحاديثه محمد أدريس، راجعه عاشور يوسف، دار الحكمة، بيروت، مكتبة الاستقامة، مسقط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الفارسي، ابو علي الحسن بن عبدالغفار.
  الحجة للقراء السبعة، الطبعة الأولى. حققه بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، دار المأمون للتراث بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الفارسي، ابو علي الحسن بن عبدالغفار، المسائل الحلبيات، الطبعة الأولى، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم دمشق، دار المنارة بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.
- د. فضل حسن عباس
  لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، الطبعة الأولى، دار النور، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- د. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، المعاني، البيان، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- القاريء علي الهروي، المصنوع في معرفة الموضوع، الطبعة الخامسة، حققه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ابن قدامة موفق الدين عبدالله بن احمد، المغني والشرح الكبير، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- القدسي: ابن ابي الشريف كمال الدين محمد بن محمد، المسامرة بشرح المسايرة، مطبعة السعادة بمصر.
- القرطبي ابو عبدالله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي.
- القشيري مسلم بن الحجاج ، صحيح الامام مسلم، الطبعة الثانية، رقم احاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- القضاعي : سلامة، فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان، مطبعة السعادة بمصر.
- القيسي، مكي بن أبي طالب، الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، الطبعه الأولى، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الكاساني علاء الدين، بدائع الصنائع، الناشر زكريا علي يوسف، مطبعة الإمام، بمصر.
- ابن كثير أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- د. الكردي راجح عبد الحميد، علاقة صفات الله تعالى بذاته، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- الكندي، ابو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى ، المصنف، تحقيق عبد المنعم عامر، د. جادالله أحمد، طبعة عيسى بابي الحلبي، الناشر، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان.
- الكوثري، محمد زاهد، تعليق على السيف الصقيل للسبكي، مكتبة زهران ، مصر.
- مالك بن أنس.

المدونة الكبرى، الطبعه الأولى، ضبطه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٣هـ.

- مالك بن أنس، الموطأ ، الطبعة الثانية، حققه بشار عواد، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- المباركفوري، محمد عبد الرحمن ، تحفة الأحوذي، اشرف على تصحيحه عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- المبرد: ابو العباس بن محمد بن يزيد، الكامل، الطبعة الثانية، حققه د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣، هـ/١٩٩٣م.
- المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- النسائي : سنن النسائي (المجتبى)، الطبعة الثانية، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الاسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- النسائي، سنن النسائي بشرح السيوطي، دار الحديث، القاهرة.
- النووي – أبو زكريا يحيى شرف ، روضة الطالبين، تحقيق عادل عبد الموجود علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت
- النيسابوري ابو عبدالله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين، اشراف يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبدالواحد.
  فتح القدير، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى المكتبة التجارية، مصر.
- الهواري، هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، الطبعة الأولى، حققه بالحاج سعيد شريفى، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
- الوارجلاني، ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم ، العدل والانصاف، دار نوبار للطباعة، الناشر، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الواحدي، ابو الحسن علي بن أحمد.
  الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الطبعة الأولى، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الواحدي، اسباب النزول، الطبعة الأولى، خرج احاديثه عصام الحميدات، مؤسسة الريان بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية/ سلطنة عمان، ندوة الفقه الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

Abstract

Sheikh Mohammad Bin Yousif Etfaish's Methodology in his Interpretation "Hemyan Al-Zad"

٤٧٠٥١٦

Suleiman Bin Ali Bin Amir Al-Shuaili

Supervisor : Dr. Fadhl Hasan Abbas

This Study was initiated by a preparatory note introducing one of the Imams of Muslims, and a prominent figure among their personalities, i.e. the scholar Sheikh Mohammad Bin Yousif Etfaish- may god bestow mercy on his soul - who was Ibadhi as to his sect, and Algerian as to his birth place and residence. This study dealt briefly with his early life, education, his practical and theoretical Career, his attitudes towards colonialism and his works.

The study dealt then with the Sheikh's methodology in his first Interpretation "Hemyan Al-Zad", bringing to light his resources in this Interpretation, the variety of these resources and the way he dealt with them. It also summarized the general approach he adopted in his interpretation.

The study demonstrated then the Sheikh's interest in the passed down heritage in his Interpretation, and his way of citing the Hadith, with all its authentic, weak and fabricated categories.

The study also mentioned some of the issues that fall under the term "Uloom Al-Qur'an" (the sciences of Qur'an) , and how the Sheikh utilised it to serve the meaning and demonstrate it.

The study had also taken an interest in discussing some of the doctrinal issues which were included in the Interpretation, and towards which the Sheikh had adopted certain attitudes. Focus, in this respect, was given to points of agreement, whereas controversial points were avoided as much as possible.

Then the study surveyed some of the grammatical, morphological and rhetorical aspects of the Interpretation.

The study concerned itself also with the "Fiqh" issues (the knowledge of juristic judgement), and the Sheikh's approach to them. The study demonstrated the various stories of Jewish and Christian origins in that Interpretation. The study concluded that the Sheikh was more of a compiler than a researcher.